

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_234927

UNIVERSAL
LIBRARY

کتاب

البحار

كتاب التاج

• في

أَخْلَافُ الْمُلُوكِ

لِلْجَحْظَا

بِتَحْقِيقِ

الأستاذ أحمد زكي بشا

كاتب أسرار مجلس النواب

(الطبعة الأولى)

بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٢ هـ

١٩١٤ م

فذلكة المضامين

١ - فهرس التصدير

لأحمد زكى باشا محقق هذا الكتاب

(أرقام هذا الفهرس موضوعة في أسفل الصفحات)

صفحة

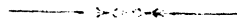
٢٣	...	...	...	...	...	...	...	نظرة عامة في الكتاب ومؤلفه
٢٦	...	...	...	...	...	...	...	النسخة المخطوطة الأولى لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٢٩	...	...	...	...	...	...	...	تحقيق بشأن هذا الكتاب
٣٠	...	...	...	...	...	...	...	ما أسم هذا الكتاب
٣١	...	...	...	...	...	...	...	تحقيق في أسم "التاج"
٣١	...	...	...	...	...	...	...	النسخة المخطوطة الثانية لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٣٢	...	...	...	...	...	...	...	عود إلى التحقيق في أسم "التاج"
٣٤	...	...	...	...	...	...	...	عود الكلام على أسم "التاج" والكتب المسماة بهذا الأسم
٣٧	...	...	...	...	...	...	...	من هو المؤلف لهذا الكتاب
٣٧	...	...	...	...	...	...	...	نظرة في أسلوب الكتاب من حيث الإنشاء
٤١	...	...	...	...	...	...	...	الناقلون السارقون
٤٢	...	...	...	...	...	...	...	مراجعة العيون التاريخية
٤٢	...	...	...	...	...	...	...	إستفتاء ابن النديم، وتحقيق بشأن المطبوع من كتابه
٤٦	...	...	...	...	...	...	...	إستفتاء أبي حيان التوحيدي
٤٧	...	...	...	...	...	...	...	بحث عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك"
٤٧	...	...	...	...	...	...	...	التعريف بالفتح بن خاقان

فهرس التصدير

صفحة	
٥٠	كلام عن محمد بن الحارث ...
٥٢	استفتاء الكتاب نفسه لمعرفة مؤلفه ...
٥٢	أسلوب الجاحظ ...
٥٣	مثلة من صياغته ...
٥٧	بعض مصادره ...
٥٧	تكرار الجاحظ وترداده ...
٥٨	إشارته إلى كتبه المتقدمة ...
٥٩	تصريحه بكتاب معين له ...
٥٩	تأكيده لهذا التصريح ...
٥٩	النتيجة والحكم ...



٦١	بعد التحرير (تعريف بنسخة ثالثة من "التاج" مكتوبة في حلب) ...
٦٧	صورة كتاب من الأستاذ كروتشوفوسكى، المستشرق الروسى ...
٦٩	جدول ببيان بعض المؤلفات التى نقلت عن "التاج" ...
٧٠	بيان الرموز المستعملة فى هذه الطبعة ...
٨٣ - ٧٣	رواميز لتمثيل بعض الصفحات المنقولة عن الثلاث النسخ الأصلية ...



(يليه فهرس كتاب "التاج")

٢ - فهرس كتاب "التاج"

للمحافظ

صفحة ..

١

المقدمة

إهداء الكتاب إلى الأمير الفتح بن خاقان الوزير العباسي ٤

الفاتحة

٧

باب في الدخول على الملوك

٧

فما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

٧

الأشراف وسلامهم وقعودهم وأنصرافهم

٧

الأوساط : سلامهم وقعودهم وأنصرافهم

٨

استقبال الملك للساوئين له وتشيعه إياهم

٩

مقدار الإقامة بحضرة الملك

باب في مطاعمة الملوك

١١

تخفيف الأكل بحضرة الملك

١٢

ما فعله حاجب المنصور العباسي مع الفتى الهاشمي ، لتأديبه

١٣

تخفيف الندماء والخواص على مائدة الأكابر

١٣

عقوبة الشره عند الفرس

١٤

مباشرة الملك لمواكليه

١٤

بين معاوية والحسن بن علي ، بشأن دجاجة

فہرس کتاب ”التاج“

١٥	...	...	...	...	ضيافات معاوية في عاصمته وسائر قواعد مملكته
١٥	...	...	...	...	إختبار سابور لرجل ، رثَّه لقضاء القضاة ...
١٦	...	...	...	...	عدم النظر للملك عند مؤامركته
١٦	...	...	...	...	التسوية بين الملك وبين مدعويه
١٧	...	...	...	...	غسل اليد بحضور الملك
١٧	...	...	...	...	إناس الملك لمدعويه
١٧	...	...	...	...	مباينة الملوك لمن سواهم
١٧	...	...	...	...	قيام الملك عن الطعام
١٧	...	...	...	...	منديل الغمر أى منشفة الذفر
١٨	...	...	...	...	حديث الملك ومحدثه على المائدة
١٨	...	...	...	...	زمزمة الفرّس على الطعام، وأمتناعهم عن مطلق الكلام
٢٠	...	...	...	...	ما كان يفعلُه عبد الأعلى القرشي لإكرام ضيوفه

باب في المنادمة

٢١	...	...	...	...	...	مراتب الندماء ، واحتياج الملوك لجميع الطبقات
٢٢	...	...	...	...	...	آداب الخروج من حضرة الملك ، والرجوع إليها
٢٢	...	...	...	...	...	كمية الشرب وكيفيته موكلتان للملك ، وعليه العدل بين الندماء
٢٢	...	...	...	...	...	طبقات الندماء والمغنيين عند الفُرس ، وفي الإسلام
٢٥	...	...	...	...	...	أقسام الناس عند الفُرس أربعة
٢٥	...	...	...	...	...	مقابلة كل طبقة من الندماء بمثلها
٢٦	...	...	...	...	...	احتفاظ الفُرس بهذا الترتيب
٢٧	...	...	...	...	...	معاينة أردشير لنفسه ، لمخالفته هذا القانون
٢٨	...	...	...	...	...	اختلال هذا النظام أيام بهرام جور ، وإعادة أنوشروان له

فهرس كتاب "التاج"

صفحة

٢٨	...	...	احتجاب ملوك الفرس عن الندماء بمقدار المسافة بين الطبقات
٣٠	...	...	التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك الأموي
٣٠	...	...	أول خليفة شيم في وجهه، هنزلاً
٣٢	...	...	أحوال الأمويين في الشرب واللهو
٣٢	...	...	معاوية، ومروان، وعبد الملك، والوليد، وسليمان، وهشام، ومروان الجعدي
٣٢	...	...	يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد
٣٣	...	...	عمر بن عبد العزيز
٣٣	...	...	أحوال الخلفاء العباسيين في الشرب واللهو
٣٣	...	...	السفاح
٣٤	...	...	المنصور
٣٤	...	...	(كلمة المنصور في الشكر والصنعة والمودة وقضاء الحاجة)
٣٤	...	...	المهدي
٣٥	...	...	الهادي
٣٧	...	...	الرشيد
٤٢	...	...	الامين
٤٣	...	...	المأمون
٤٥	...	...	مباشرة الملك لندمائه
٤٥	...	...	حد الإغضاء عن الزلات
٤٥	...	...	مواطن المعاقبة عليها
٤٦	...	...	الآقتصاد في العقوبة
٤٦	...	...	تفرد الملك بالتطيب والتجمل ونحوهما
٤٧	...	...	سنة ملوك الفرس في ذلك
٤٧	...	...	سنة سادات العرب والخلفاء في ذلك

فهرس كتاب "التاج"

صفحة

٤٩	...	...	...	...	...	...	...	عند الملك في مجلس الشراب
٤٩	...	...	...	...	...	...	...	مكالمة الندباء للملوك
٥٠	...	...	...	...	...	...	...	من الملوك بنعمهم عند الضرورة فقط
٥١	...	...	...	...	...	...	...	عدم المعاقبة في حال الغضب
٥٢	...	...	...	...	...	...	...	آداب البطانة عند قيام الملك
٥٢	...	...	...	...	...	...	...	عدم الدنو من الملك، إلا بشروط
٥٣	...	...	...	...	...	...	...	الاستماع لحديث الملك
٥٣	...	...	...	...	...	...	...	(كلمة لعمر بن العاص عن جليسه وثوبه ودأبته)
٥٤	...	...	...	...	...	...	...	(كلمة للشعبي عن قوم يتناقدون ويتفاهمون)
٥٤	...	...	...	...	...	...	...	كلمة المأمون لسعيد بن سلم الباهلي عن حسن إفهامه وحسن فهمه
٥٤	...	...	...	...	...	...	...	ما حصل لرجل كان أنوشيروان يسأله
٥٥	...	...	...	...	...	...	...	ما وقع لأبن شجرة الرهاوي حينما حادثه معاوية
٥٨	...	...	...	...	...	...	...	ما وقع لأبن بكر الهذلي حينما حادثه السفاح
٥٩	...	...	...	...	...	...	...	(كلمة ابن عيَّاش المتوفى في آداب المحادثة)
٦٠	...	...	...	...	...	...	...	(كلمة رَوْح بن زُبَاع في هذا الموضوع)
٦٠	...	...	...	...	...	...	...	(كلمة أسماء بن خارجة الفزارية في هذا الموضوع)
٦٠	...	...	...	...	...	...	...	(كلمة معاوية في هذا الموضوع)
٦١	...	...	...	...	...	...	...	آداب أهل الزُّلفى بعد المضاحكة مع الملك
٦١	...	...	...	...	...	...	...	تنكر أخلاق الملوك
٦١	...	...	...	...	...	...	...	صبر الملوك على مضض الحقد حتى تحين الفرصة للانتقام
٦٢	...	...	...	...	...	...	...	معاينة أنوشيروان لمن خانته في حريمه
٦٥	...	...	...	...	...	...	...	نكبة عبد الملك بن مروان بمن فازعه الملك
٦٦	...	...	...	...	...	...	...	نكبة الرشيد بالبرامكة

فهرس کتاب "التاج"

[illegible]

باب في صفة ندماء الملك

٧١	...	...	...	...	...	...	...	...	...	صفة خُلِقَ النديم
٧١	...	...	...	...	...	...	...	...	...	آداب النديم في المزاملة ، وعلومه
٧٢	...	...	...	...	...	...	...	...	...	عُدَّة الملك في خروجه لسفر أو نزّهة
٧٢	...	...	...	...	...	...	...	...	...	خلال الندماء
٧٢	...	...	...	...	...	...	...	...	...	مساواة الملك للملّاعبه
٧٢	...	...	...	...	...	...	...	...	...	حقّ الملّاعب على الملك
٧٣	...	...	...	...	...	...	...	...	...	ملاعبة سابورلنديمه على أمرٍ مجهول
٧٣	...	...	...	...	...	...	...	...	...	آداب الملاعبة بالكُرّة وغيرها
٧٤	...	...	...	...	...	...	...	...	...	لُعبة الشّطرنج بحضرة عبد الله بن طاهر
٧٥	...	...	...	...	...	...	...	...	...	آداب الندماء، إذا أخذت الملك سِنَةً من الزّوم
٧٦	...	...	...	...	...	...	...	...	...	إمامة الملك للصلاة
٧٧	...	...	...	...	...	...	...	...	...	آداب مسامرة الملك
٧٧	...	...	...	...	...	...	...	...	...	سِتّة أكابر العجم عند تبيّهم للسّائرة

فہرس کتاب ”التاج“

٧٨	...	...	...	...	...	...	...	ما حصل للوبذ أثناء مسيرته لُقْبَاز
٧٩	...	...	...	...	...	...	...	ما حصل لِشَرَحِيل أثناء مسيرته لمعاوية
٨٠	...	...	...	...	...	...	...	تَحْذِيرُ مَنْ يَسِيرُ الْمُلُوك
٨٠	...	...	...	...	...	...	...	تَطْيِيرُ الْعَجَم من مسيرة الملك المتصلة
٨٠	...	...	...	...	...	...	...	ما حصل من صاحب الشرطة وهو يسير بين يَدَيِ الخليفة الهادي
٨١	...	...	...	...	...	...	...	ما قاله عبد الله بن الحسن للسَّفَّاح عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٢	...	...	...	...	...	...	...	ما قاله الهاشمي لأبي مُسلم الخُرَّاسانيّ عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٣	...	...	...	...	...	...	...	عدم تسمية الملك أو تكنيته
٨٧	...	...	...	...	...	...	...	الأدب في حالة مشابهة الأسم لإحدى صفات الملك أو لأسمه
٨٩	...	...	...	...	...	...	...	الأمور التي يتفرد بها الملك في عاصمته
٩٠	...	...	...	...	...	...	...	الحجامة - الفصد - شرب الدواء
٩٠	...	...	...	...	...	...	...	عدم تشميت الملك، وعدم التأمين على دعائه
٩١	...	...	...	...	...	...	...	عدم تعزية الملك
٩١	...	...	...	...	...	...	...	سرعة الغضب وبُطء الرضا
٩٢	...	...	...	...	...	...	...	غضب السَّفَّاح على أحد رجاله
٩٢	...	...	...	...	...	...	...	غضب الرشيد على أحد قوادده
٩٤	...	...	...	...	...	...	...	كَتْمُ الْمَلِك أسرارَه
٩٤	...	...	...	...	...	...	...	إِمْتِحَانُ أَبْرَوِيَز رِجَالَه فِي حِفْظِ السِّرِّ
٩٥	...	...	...	...	...	...	...	إِمْتِحَانُهُ رِجَالَهُ فِي حِفْظِ الْحُرْمِ
٩٨	...	...	...	...	...	...	...	إِمْتِحَانُهُ مَنْ يَطْعَنُ فِي الْمَمْلَكَةِ
٩٩	...	...	...	...	...	...	...	تَغافلُ الْمَلِك عن الصغائر ...
١٠٠	...	...	...	...	...	...	...	تغافل بهرام جور عن سرقة الحمام المُحِلَّى بالذهب
١٠١	...	...	...	...	...	...	...	تغافل أنوشروان عن سرقة جام من الذهب

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٠١	تغافل معاوية عن كيس الدنانير
١٠٢	الرد على قولهم : "المغبون لا محمود ولا مأجور"
١٠٣	كلمة معاوية في هذا المعنى
١٠٣٠	كلمة الحسن بن علي بن أبي طالب في المعنى أيضا
١٠٣	سليان بن عبد الملك والأعرابي الذي أخذ رداءه
١٠٤	جعفر بن سليان وسارق الدرّة الرائعة
١٠٤	إكرام أهل الوفاء وشكرهم
١٠٥	قُبّاذ ومادح الجاني على الملكة
١٠٦	وفاء سعيد بن عمرو الخزومي في مجلس السفّاح لمروان بن محمد الجعديّ ، بعد قتله
١٠٩	كتاب قيس بن سعد بن عبادة والى مصر إلى معاوية
١٠٩	الإسكندر والأساورة المتقرّبون إليه بقتل ملكهم
١٠٩	شيوخه ومادحه على قتل أبيه أبرويز
١١٠	المنصور العباسيّ والضارب رأس أبْن عمّه الخارج عليه ، بعد قتله
١١١	المنصور العباسيّ ومادح هشام الأمويّ
١١٢	الادب عند ما يتكلّم الملك
١١٢	الأدب في تحديث الملك
١١٣	عدم الضّحك من حديث الملك
١١٣	عدم إعادة الحديث مرّتين على الملك
١١٣	كلمة رَوْح بن زِنْبَاع في المعنى
١١٤	كلمة الشّعبيّ في المعنى
١١٤	كلمة السّفّاح في المعنى
١١٤	كلمة أبْن عِيَّاش المتوفى في المعنى
١١٥	مواطن إعادة الحديث على الملوك

صفحة	
١١٧	(عود إلى) الأدب في تحديث الملك ...
١١٨	أمارات الملوك للجلساء بالانصراف ...
١٢٠	عدم ذكر أحدٍ بالعب في حضرة الملك ...
١٢٠	تحرير الملك بين رجاله ...
١٢١	آداب السفير ...
١٢٢	سنة ملوك العجم في اختبار السفير ...
١٢٢	كلمة أردشير في حق السفير ...
١٢٢	كلمة ثانية له في المعنى ...
١٢٣	ما فعله الإسكندر بسفير كذب عليه ...
١٢٤	احتياط الملك في منامه ومقيله ...
١٢٤	سنة ملوك الفرس في النوم ...
١٢٤	السنة النبوية في النوم ...
١٢٥	إطلاع الوالدين فقط على منام الملك ...
١٢٥	معاملة الأبْن للملك ...
١٢٥	ما فعله يزيد مع آبنه بهرام ، وما فعله الحاجب مع بهرام أيضا ...
١٢٦	ما فعله معاوية مع آبنه يزيد ...
١٢٦	ما فعله المهدي مع آبنه الهادي ...
١٢٦	ما فعله الحاجب بولد المأمون ...
١٢٧	ما فعله الحاجب بولد المعتصم ...
١٢٧	واجبات أبْن الملك ...
١٢٩	شهوة الاستبدال عند الملوك ...
١٢٩	الحيلة في معالجتها ...

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٢٩	ماصنعه ما زيار المضحك مع أحد ملوك العجم
١٣٠	ماصنعه روح بن زنباع لإضحاك عبد الملك بن مروان وأستعادة رضاه عليه ...
١٣٢	ما فعله جرير الشاعر مع عبد الملك للتخلص من غضبه ولأخذ جائزته
١٣٤	ما فعله عبد الملك بن مهامل الهمداني لأسترضاء سليمان بن أبي جعفر المنصور في أيام الهادي ...
١٣٥	تلون أخلاق الملوك
١٣٦	ثمرات التأديب بالجفوة
١٣٧	صفات المقترين
١٣٨	كلمة أنوشروان ، وأمثولة "كليلة ودمنة"
١٣٩	سخاء الملك ورحمته
١٤٠	الرد على من وصف المنصور بالبخل
١٤٣	الأدب في آعتلال الملك ، ونظام التشريفات
١٤٤	جوائز البطانة وصلاتهم
١٤٥	سنة ملوك ساسان في الجوائز
١٤٦	هدايا المهرجان والنيروز ، من الملك وله
١٥٠	أمير مسلم آقندى بالفرس في تفريق كسوته
١٥٠	لهو الملوك
١٥٠	ترك الإدمان في الملاءة
١٥١	سيرة الملوك والخلفاء في الشرب
١٥٣	لبس الملوك
١٥٥	تطييب الملوك
١٥٦	زيارة الملوك تكريماً لرجالهم ، وأنواعها
١٥٩	استقبال الناس في الأعياد
١٦٠	التظلم من الملك إلى القاضي

فهرس كتاب "التاج"

صفحة

١٦٣	...	...	...	...	...	...	العقوبة الربانية للملك الضالم
١٦٤	...	...	...	...	...	...	ما صنعه بهرام جور لأخذ ملك أبيه
١٦٧	...	...	...	...	...	...	استقصاء الملك لأحوال رعيته
١٦٧	...	...	...	...	...	...	الملوك والمخلفاء الذين أشتهروا بذلك
١٧١	...	...	...	...	...	...	التمييز بين الأولياء والأعداء
١٧٢	...	...	...	...	...	...	بماذا تطول مدة الملك
١٧٣	...	...	...	...	...	...	واجبات الملوك عند الأحداث الخطيرة
١٧٣	...	...	...	...	...	...	سنة الأعاجم إذا دهمتهم الكوارث والعظائم
١٧٥	...	...	...	...	...	...	ما فعله معاوية أمام صفين
١٧٥	...	...	...	...	...	...	ما فعله عبد الملك بن مروان عند خروج ابن الأشعث عليه
١٧٥	...	...	...	...	...	...	ما فعله مروان بن محمد عند ظهور العباسيين
١٧٧	...	...	...	...	...	...	مكايدة الملوك في الحروب
١٧٧	...	...	...	...	...	...	خدعة بهرام للعدو الذي قصد دار ملكه
١٨٠	...	...	...	...	...	...	مكايد أبرويز (ملك الفرس) في حرب الروم، قُيِّل الإسلام

خاتمة الكتاب

١٨٦	...	...	...	...	...	...	التمويه بالأمر الفتح بن خاقان، الوزير العباسي

(يليه "الملحقات")

٣ — ملحقات الكتاب

صفحة	
١٨٩	تكميل للروايات والملاحظات الانتقادية
٢١٢	تصحیحات لأغلاط مطبعية
	استدراك للمهم من الاختلاف في رواية النسخة الحلبية، وخصوصا الزيادات
٢١٣	التي أنفردت بها
٢٢١	التعريف بكتاب "تنبيه الملوك والمكايد" المنسوب غلطا للمحافظ
٢٢٧	التعريف بكتاب "محاسن الملوك" لبعض الفضلاء

٤ — الفهارس الأبجدية لكتاب "التاج"

	الفهرس الأبجدي الأول بأسماء الكتب المستخدمة للمراجعة وتحرير الحواشي
٢٣٥	والتكميل
	الفهرس الأبجدي الثاني بأسماء المصنفات المذكورة في الكتاب وحواشيه
٢٤١	وتكميله
٢٤٣	الفهرس الأبجدي الثالث بأسماء الرجال المذكورين في الكتاب وحواشيه وتكميله
٢٥٩	الرابع بأسماء الأمم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها ...
	الخامس [وهو الأخير] بأسماء البلاد والمدن والمواضع
٢٦٣	والأماكن ونحوها

تصـدیر

لکتاب ”التاج“

—•••••

بقلم محققہ

الأستاذ أحمد زکی باشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

لمحقق هذا الكتاب

”واجبٌ على كلِّ ذى مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها، كما بُدئَ
بالنعمة قبل استحقاقها^(١)“.

نظرة عامة
في الكتاب ومؤلفه.

وبعد، فهذا الكتاب، كتاب ”التاج“، وهو المشهور أيضاً بكتاب ”أخلاق الملوك“.
هذا الكتاب : وضعه الجاحظ أيامَ كانت بغدادُ دارَ السلام، وقُبَّةَ الإسلام،
ومركز الخلافة، وجَنَّةَ الأرض، وقطب العالم، ومعدن الطرائف، ومنشأ أرباب
الغايات؛ أيامَ كان العراق بستاناً زاهراً بأنوار المعارف والمعالى، وكانت أمصاره وقُراه
مناهلَ عذبةٍ يزدهم عليها طُلاب العلم والآداب .

هذا الكتاب : قد ضَمَنَه الجاحظ طائفةً كبيرةً من نظمات الدولة العباسية على عهده،
مما تَقَرَّاهُ هو بنفسه أو كان متعارفاً في عصره . ولقد أودعه ما وصل إليه علمه مما يندمج
تحت هذا الباب من الرسوم والأصطلاحات التي كانت فاشية بين العرب أو شائعة
في صدر دولتهم، على ما بلغ المؤلف بالسند المتصل عن الحجة الصادق والثقة الأمين .

(١) هكذا صَدَّرَ سهلُ بن هارون أحد كتبه . وكان معاصراً للجاحظ . أنظر ”البيان والتبيين“

(ج ١ ص ١٨٨) .

هذا الكتاب : قد جعله الجاحظ مرآة تتجلى فيها مشاهد الخلفاء والأكابر في حفلاتهم الرسمية وحشودهم العاقمة ، إلى ما هنالك من طرائق ملوكية وترتيبات سياسية اقتبس العرب بعضها من الفرس حينما دالت الدولة إلى الإسلام ، واجتمعت الكلمة في العرب الكرام : لا سيما بعد ما سادت المسودة من آل عباس ، وخفقت على رؤوسهم البنود والأعلام ، وجلس على سرير الخلافة سابعهم ، الميمون النقيية ، المبارك الناصية ، وأعني به المأمون بن هارون . وكان ذلك بفضل أشيائه وأوليائه من أهل خراسان وما والاها ، على ما هو معلوم .

هذا الكتاب : نتعرف به مقدار التأثير الكبير الذي كان للحضارة الفارسية في الحضارة الإسلامية على عهد العباسيين ، حتى لقد ينسب الجاحظ خطته ومنهجه في سرد بعض عادات الفرس ورسومهم القديمة ، كأنها مألوفة في تلك الأيام ، وهي مما لا يمكن أن يكون تحت حكم الإسلام .^(٣)

(١) هذه النسبة قد استعملها كثير من فحول البلغاء . قال الجاحظ : " ولو شئنا أن نقول إن سره بالليل ونوه بالنهار خصلة ملوكية ، لقائنا . ولو كان خلاف ذلك ألد ، لكنت الملوك بذلك أولى " . أنظر كتاب الحيوان . (ج ١ ص ١٣٧) . وقال الهمداني في " صفة جزيرة العرب " : وبها آلة الحرير النفيسة الملوكية (ص ٢٠٢) - ومعلوم أن الإمام ابن جني ألف كتابا سماه " النصريف الملوكي " .

(٢) كان السواد شعارا لبني العباس ، وكان أشياعهم يرتدون به . ولذلك سماهم التاريخ " المسودة " [بكسر الواو المشددة] . أما بنو أمية فكان شعارهم البياض ، وذوهم والمتصرون لهم يسمون " المبيضة " [بكسر اليااء المشددة] . وقد اصطلاح الكتاب والمؤرخون على أن يقولوا : " سود أهل المدينة الفلانية " أو " بيضوا " دليلا على أنصوائهم تحت لواء العباسيين أو أنضمامهم إلى بني أمية .

(٣) أنظر حاشيتي (رقم ٤ ، ٥ من ص ١٤٦) ، ثم (س ١١ من ص ١٦٠) من كتاب " التاج " . وفيه مواضع أخرى كثيرة من هذا القبيل .

هذا الكتاب : شرح لنا فيه الجاحظ أحوال أضرأ المؤمنين، وسادات المسلمين في أَخَوِيَّتِهِمْ^(١) الخصوصية، وفي أُنْدِيَتِهِمُ العمومية، ووقفنا فيه على سَمَرِهِمُ في سَهَرِهِمُ، وقَضَفِهِمُ في لِيَالِي أَنَسِهِمُ، إلى ما كانوا يصنعون في مجالِي حَظِّهِمُ، ومسارح كَهْوِهِمُ، ومراتع طَرَبِهِمُ . وناهيك يجالسهم في الأغاني والمنادمة، ومجامعهم في الملاعبة والمداعبة، ومشاهدهم في المسيرة والمباشطة !

هذا الكتاب : فيه تبصرة لنا بأساليب القوم في اللبس والطيب وغير ذلك من الرسوم والآداب التي كانت معتبرة لدى السَّراة والأُمائل في أيام العرب، وفيما بعد الإسلام .

هذا الكتاب : تدلُّنا عباراته على أن الجاحظ أستخدم بعض التصانيف التي وضعها الفُرس في هذا المعنى^(٢) . بل نراه قد آنساق بعامل الاستمرار في النقل عنها إلى إيراد بعض السُّنن التي قلنا إنها لم يبق لها مجالٌ بعد ظهور الإسلام^(٣) . لذلك يغلب على ظني أن المؤلف أستعان بالكتب التي نقلها المترجمون من الفارسية إلى العربية في أيام

(١) مفردته "جِراء" وزان كتاب . وهي جماعة البيوت المتدانية . وقد أستعمل الجاحظ "الأخوية والأندية" في كتاب "البخلاء" (ص ٢٣٥) . فقال : "إن صاحب المأذبة وولى الدعوة إذا جاء رسوله - والقوم في أخويتهم وأنديتهم - فقال : أجيئوا إلى طعام فلان . فجعلهم جَفَلَةً واحدة - وهي الجُفالة - فذلك هو محمود . وإذا آنقر ، فقال : قم أنت ، يا فلان ، وقم أنت ، يا فلان . فدعا بعضاً وترك بعضاً ، فقد آنقر" . | والْتَقَرى هي المذمومة | . وقد ورد في طبعة العلامة فان فلوتن "أخويتهم" بالخاء المعجمة . ولا وجه للاعجام في هذا المقام ، والإهمال هو المتعين في هذه الحال .

(٢) أنظر (ص ١٩ و ٢٣) من كتاب التاج .

(٣) نقل الجاحظ صفحات كاملة من آيين الفرس وقوانينهم . | أنظر (ص ١٤٥ - ١٥٠) من كتاب التاج ، وأنظر أيضا (ص ١٥٨ و ١٥٩ - ١٦٣ ثم ص ١٧٣) | . فقد توسل بهذين الاستطرادين الطويلين العربيين لإيراد ثلاثة سطور ثم سطرين .

أبي جعفر المنصور، ومن كان قبله من بني مروان، ومن أتى بعده من سلالة هاشم .
ولعله يكون قد اعتمد أيضا على كتاب "التاج" المصنف بأسم كسرى أنوشروان ،
ذلك الكتاب الذي فسره ابن المقفع، وهو لا يزال إلى الآن سرًا مكتومًا في ضمير
الزمان .

هذا الكتاب : يتضمن من أساليب التعبير والتفكير مالا يكاد يجرى به قلم غير قلم
الجاحظ، أو يرتع فيه رجل سوى شيخ الأدب، أو يتجبح فيه غير ذلك العميد لكل
مفيد ومستفيد .



النسخة الأولى
هذا الكتاب

ظفرتُ بنسخة مخطوطة منه في خزانة طوب قيو^(١) بمدينة القسطنطينية في مجلدة
- هي لعمري ! - من أنفس الذخائر التي خلفها الأوائل للأواخر. ذلك بأنها تحوى
ثلاثة كتب قيمة :

١ - كتاب الآداب^(٢) ، لابن المقفع ؛

٢ - الأدب الصغير^(٣) ، له أيضا ؛

٣ - التاج ، للجاحظ .

(١) تحت (رقم ٢٤١٧ ورقم ١٣٣ أدب) .

(٢) وقد حققنا أنه " الأدب الكبير " بعينه ، كما أشرنا إليه في طبعتنا الأولى وكما بيناه في التصدير الذي
وضعناه في مقدمة طبعتنا الثانية التي شرعت جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية في إصدارها في هذه السنة (١٩١٤) .

(٣) وفي آخر صفحة منه ما نصه : " يتلوه كتاب " التاج " للإمام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .
رحمه الله ورحم جميع المسلمين ! " .

فسرعان ما تجردت لنقل هذه المجلدة من أولها إلى آخرها بالتصوير الشمسي! وقد أحضرتها معي - إلى مقرها الأصيل على ضفاف النيل - في جملة ما تصيّدته من مفاخر العرب وكنوز الإسلام : من غرر التصانيف وروائع الأسفار .

غير أن هذه المجلدة لا تحتوى - لا في أولها ولا في آخرها - على شيء من البيانات التاريخية التي توجد عادة في الكتب المخطوطة . فهي خلوة من كل أثر للعلوم التي تدل الباحث على أسم الخزانة التي كتبت برسمها، أو على أسم مالك هذه النسخة، أو على الذين آلت إليهم، أو على كاتبها، أو على سنة نسخها وموضع كتابتها، أو على مقابلتها بنسخة أخرى، ونحو ذلك من التفاصيل الجزئية أو العرضية التي قد يكون من ورائها فائدة كلية أو جوهرية في معرفة تاريخ الكتاب وهويته وماهيته .

وغاية ما يوجد فيها من هذا القبيل هو تعليقة مكتوبة في أسفل طرة المجموعة ، تفيد أن رجلا أسمه " يوسف الحلبي " قرأها من أولها إلى آخرها، وأن ذلك كان في سنة ٨٩٤ هـ . فيجوز أن تكون هذه النسخة مكتوبة في حلب نفسها أو في القاهرة .

وهذه المجموعة مشكولة من أولها إلى آخرها بالحركات . على أن هذا الضبط مما لا يصح الاعتداد به أو الاعتماد عليه في كثير من الأحيان، إن لم نقل في أغلب الأحوال . ولكنها - مهما كان الأمر - من ذخائر مصر . إذ أن حلب كانت في ذلك الوقت عمالة تابعة لسلطان مصر (وهو السلطان قايتباي الممودي المشهور) . وبقيت في حوزة خلفائه إلى أن انتزعها السلطان سليم العثماني من السلطان قانصوه الغوري في سنة ٩٢٢ للهجرة . فلا بد أن تكون هذه المجموعة قد وصلت إلى القسطنطينية

في ضمن الغنائم التي آستولى عليها السلطان العثماني ، فإنه نقل خزائن الكتب في جملة^(١) ما نقل إلى ضفاف البوسفور من ذخائر وطننا وتحفه وطرائفه .

فأما "الأدبَان" لأبن المقفع ، فقد أكلت طبعهما على ما يليق بمكاتهما في عالم الأدب والتصنيف ، وبمقام مؤلفهما المنقطع النظير^(٢) . وكان ذلك بالإسكندرية : مدينتي التي بها درجت ، وفيها ترعرعت ، وإليها انتسبت . قدمتهما هدية لجمعية "العروة الوثقى" القائمة بنشر العلم والتهديب في أرض أحن إليها وأحنو عليها .

أما "التاج" وهو هذا ، فإنه يقع في ١٥٨ صفحة بخط نسخي من النوع المصري الذي كان مستعملا في القرن التاسع للهجرة . وكل صفحة منه تتألف من ١٥ سطرا . وليس على طرته أو على خاتمه بيان من البيانات التي توجد عادة في أوائل المخطوطات وأواخرها سوى ما على طرة المجلدة التي هو في ضمنها مما يدل على قراءة هذا الكتاب في سنة ٨٩٤ وأن القارئ له هو "يوسف الحلبي" الذي سبق لنا الكلام عليه . اعتمدت هذه النسخة وأنقطعت إلى تحقيقها حولين كاملين حتى وصلت بها إلى الغاية التي جعلتها نصب عيني بما انتهى إليه وسعي وبلغه مدى جهدي . ويعلم الله - ويشهد الكثير من أخصائي الذين كانوا يترددون على بمصيفي برمل الإسكندرية

(١) أنظر مقالنا باللغة الفرنسية على الفنون الإسلامية والديبل إلى إحيائها على ضفاف النيل :

Le Passé et l'Avenir de l'Art Musulman en Egypte (Mémoire sur la genèse et la floraison de l'art musulman et sur les moyens propres à le faire revivre en Egypte), par Ahmed Zéki Pacha.

Le Caire 1913, p. 15.

(٢) وقد قررت نظارة المعارف العمومية استمالهما في مدارسها ، ونالنا من فضل الشيوخ والأنتشار ما هو خليق بفضل مؤلفهما القدير .

أو "بخزانتى الزكية" فى القاهرة - أننى راجعتُ فى هذه السبيل أكثر من خمسمائة ديوان فى اللغة والأدب والتاريخ، وأننى كنتُ فى بعض الأحوال أفوز بنيل الأمل^(١)، ولكننى فى أكثر الأحيان كنتُ أرضى "من الغنيمة بعد الكد بالقفل!".



تحقيق بشأن
هذا الكتاب

الجاحظ هو صاحب تلك البدائع الرائع التى يتطَّلَع إليها أهل الأدب من العرب ومن غير العرب . ولقد أمتاز هذا النابغة بمزية لم يَشْرِكْهُ فيها إلى اليوم أحدٌ غيره من المتقدمين والمتأخرين : بين الشرقيين أو الغربيين . تلك الميزة - ولا أدرى أهذه التسمية مطابقة لمرادى أم لا - هى أن نَفَثَاتِ صدره ونَفَحَاتِ قلبه ماعَمَّتْ أَنْ أصبحتَ متاعاً مُشاعاً ونَهَباً مُقسماً بين فُرسانِ الكتابة وقُرْصانِ الأدب . فقديمًا سطا عليها المتقدمون من أرباب الأقلام، ثم هذه بقاياها التى وصلت إلينا : لا تزال ملكاً مُباحاً لكل من يتعاطون الإنشاء، يرونها طُرفة لكل خاطف، وثمرة لكل قاطف .

قاعدة قَرَرها القاضى الفاضل ، وناهيك بمكانته التى لم يصل إليها أحد من بعده ! أفا تراه قد سَجَّلَ اعترافه على نفسه ، وشرَعَ هذا المورد لمن أقتدى به أو حاول الجرى على سَنَنِهِ ، منذ قال كلمته المأثورة : "وأما الجاحظ ، فما منا معاشر الكُتَّاب إلا من دخل داره ، أو شَنَّ على كلامه الغارة ، وخرج وعلى كتفه منه الكارة"^(٢) ؟

(١) لذلك أقتصرتُ فى الفهرس الأبعدى الأول من الفهارس الملاحقة بهذا الكتاب على سرد المصنفات التى أنفَعْتُ بها أو نقلتُ عنها أو أشرتُ إليها فى الحواشى وفى تكميل الروايات .

(٢) روى هذه الكلمة ابن فضل الله العمري صاحب "مسالك الأبصار" والصنيدى صاحب "الوفاى بالوفيات" وابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" فى ترجمتهم للجاحظ . والكارة ما يحمله الرجل على ظهره من الثياب . وهى تقارب التى نسميها الآن فى مصر "بُقْعَة" . كلمة تركية ، وعربيتها الفصحى "عِكة" .

حُكِّمَ اعتمدته الجماعة، وقابلته بالسمع والطاعة، وما زالت تدأبُ في تنفيذه إلى هذه الساعة ! حتى إن المتصفح لدواوين الأدب ليرى كثيرا من المتقدمين والمتأخرين ينقلون عبارة الجاحظ برمتها فينسخونها نسخا، وآخرون يبترونها بتر أو يمسخونها مسخا. وكأنني بهم قد تمألؤوا كلهم على عدم الإشارة إليه، اللهم إلا في النادر.

أمرُ يراه الناظر في تضاعيف هذا الكتاب وأعطافه، وفيما علَّقته عليه من الحواشي والشروح، وفيما أضفته إليه في "تكميل الروايات"^(١).



ما أسم هذا
الكتاب ؟

لكن العجب العجيب ، أنه مع كثرة الناقلين عن هذا الكتاب ، لم يُشر إليه واحدٌ منهم على الإطلاق ! بل إنني لم أعر على أسمه في كل ما وقفتُ عليه من أسفار المتقدمين والمتأخرين ، مع شدة التنقيب والبحث ، ومداومة التقلب والحِرث.^(٢)

زد على ذلك أن التاريخيين الذين كتبوا لنا سيرة الجاحظ، وأن الأخباريين الذين أفادونا بعض ما له من الكتب والرسائل ، لم يسيروا قط إلى هذا الكتاب بأسم "كتاب التاج"^(٣).

(١) وأنظر أيضا الجدول المضمن للكتب النائلة عن "التاج" في ص ٦٩ التالية .

(٢) في "أساس البلاغة" : "حرث القرآن : أطلت دراسته وتدبره". وفي "تاج العروس" : "الحرث تفتيش الكتاب وتدبره . . . وفي حديث عبدالله : أحرثوا هذا القرآن ، أى قنوه وتوروه". ومثل هذا في لغة الفرنسيين حرث الأرض وحرث العلم ، فيقولون : Cultiver une terre و Cultiver une science (٣) مع أنه هو المكتوب على طرة النسخة المحفوظة بخزانة طوب قبر ، كما تراه في أحد الروايز الفتوغرافية التالية لهذا التصدير (ص ٧٣) . ومع أنه مكتوب أيضا بطريق العرض على نسخة آيا صوفيا كما تراه في الرموز المطبوع (ص ٧٥) التالية . | وهو مكتوب أيضا في آخر نسخة "الأدب الصغير" الموجودة في ضمن المجموعة المحفوظة بطوب قبر .

فكان من الواجب أن أتوفر على تحقيق هذه النقطة لإظهار غامضها وإيضاح مشكلها .



تحقيق في اسم
"التاج"

فِرْعَتُ حينئذ إلى الجاحظ نفسه . فقد نوه ببعض مصنفاته في مقدمة مصحفه الكبير المعروف بكتاب "الحيوان" وفي تضاعيفه أيضاً، وكذلك فعل في "البيان والتبيين" .
ثم رجعتُ إلى ثَبَتِ مصنفاته في "معجم الأدباء" لياقوت الحموي ، وراجعتُ ما كتبه عنه الصفدي في "الوافي بالوفيات" ، وما أورده ابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" ، ونظرتُ فيما أورده كاتب جلبي صاحب "كشف الظنون" .

فلم أرَ في كل ذلك أثراً لكتاب اسمه "كتاب التاج" منسوباً إلى الجاحظ . ولكنني وجدتُ ياقوت والصفدي وابن شاكر وكاتب جلبي يذكرون كلهم لصاحبنا كتاباً عنوانه "أخلاق الملوك" . فتخيلتُ أن الكتاب واحد ، وله اسمان .

النسخة الثانية
لهذا الكتاب

أُكِّدُ ذلك الظنَّ عندى وجعله عين اليقين أن النسخة المخطوطة الثانية الباقية من هذا الكتاب لا تزال محفوظة في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية ، وعنوانها "كتاب أخلاق الملوك" .

(١) طبع بالقاهرة . وفيه نسخة مخطوطة في مجموعة الإمام الشيخ محمد محمود الشنقيطى بدار المكتب الخديوية . تطلب الصحة على الجزء الأول منها ، وأما الثاني فشأنه كالنسخة المطبوعة .

(٢) في الجزء السادس الذى تم طبعه أخيراً بالقاهرة بعناية صديق الأستاذ مرجوليوت ، المستشرق الإنكليزى .

(٣) وقد استحضرت القطعة المتعلقة بترجمة الجاحظ من نسخة "الوافي بالوفيات" من مجموعة كتب الطيب الذكر العلامة جيانجوس Gayangos . وهذه المجموعة النفيسة موجودة الآن (تحت رقم ٩٢) بخزانة جمعية التاريخ الملكية بمدريد عاصمة إسبانيا . نقلها لى بالفتوغرافية صديق الشيخ فرنسكو قداره D. Francisco Codera المستشرق الإسبانى الشهير . فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

(٤) فى حوادث سنة ٢٤٠ هجرية . وقد تفضل الأب شابو (Liabbé Chabot) المستشرق الفرنسى ، فأتحفنى بصورة فوتوغرافية مقلولة عن النسخة المحفوظة بمكتبة باريس الأهلية (تحت رقم ١٥٨٨) . فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

وقد وضع بعضهم في طرتها فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" كلمة "التاج" مكتوبة بخط غير الخط الأصلي؛ وكذلك تحت كلمة "كتاب" وضع قوله "في أمور الرياسة"^(١).

وقد حصلتُ، بحمد الله، على صورتها الفتوغرافية في الوقت المناسب . وهي التي رمزت لها بحرف (سـ) وتمكنتُ من استخدامها بكل دقة في تحقيق هذه الطبعة، على ما يراه الناظر في كل صفحة .

وهذه النسخة تقع في ١٦٦ صفحة ، وكل صفحة تحتوي على ١٣ سطرا . وهي مجزأة من البيانات التاريخية التي قد تكون لها علاقة بأصلها وما هيته . وغاية ما فيها أن ناسخها وضع في آخرها حاشية مختصرة دلما نصها : "وكان في المنقول عنها سقامة" . فلا غرو أن جاءت السقامة فيها مزدوجة .

والراجح عندي أن أسم "التاج" قد صار إطلاقه على هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه بزمان . أعني فيما وراء القرن الثامن للهجرة ، أي بعد عصر ياقوت والصفديّ وأبن شاكر الكتبي . على أنني لا يتسنى لي أن أعين - ولو بطريق التقريب أو التخمين - الوقت الذي أطلقوا فيه أسم "التاج" على كتاب "أخلاق الملوك" .

عرد إلى التحقيق
في أسم "التاج"

هذا . وأنا أستبعد كل البعد أن يكون ذلك المجهول الذي كتب لفظة "التاج" على طرة النسخة الموجودة في آيا صوفيا قد آسَمَدَ ذلك من النسخة الموجودة في خزانة طوب قيو . فإن هذه الخزانة كانت لا تزال موصدة الأبواب إلى سنة ١٩٠٨ ليلالاد .

(١) أنظر هذا العنوان في الرموز الثاني من الروايز الفتوغرافية (Fac-simile) التالية لهذا التصدير

وفوق ذلك ، فهذا فهرسها خُلُو من العنوانين : ”التاج“ و ”أخلاق الملوك“ . بل يسوغ لي أن أحكم بأن واضع ذلك الفهرس لم يعرف عن كل من العنوانين شيئا على الإطلاق . لأن القرائن كلها - فيما يتعلق بهذا الكتاب وبغيره - تدلنا على أن واضع ذلك الفهرس إنما آكتفى بأخذ العنوان الموجود في الورقة الأولى من كل مجلد ، دون أن يتصفح المجلد بأكمله ، ليرى ما إذا كان في تضاعيفه وثنائاه كتب أخرى : كما هي العادة في كثير من كتب المشاركة ، وكما هو حاصل بالفعل في تلك الخزانة نفسها .

لذلك أجزم أن واضع الفهرس الخاص بطوب قيو ، قد اقتصر على ما رآه في صدر الورقة الأولى ، وقد فعل .

وكيف لا ، ونحن إنما نرى في الفهرس قوله : ”كتاب الآداب للشيخ الإمام العالم العلامة عبد الله بن المقفع رحمة الله عليه“ دون أن تكون هنا لك أدنى إشارة إلى ”الأدب الصغير“ أو إلى ”كتاب التاج“ ، مع أن الثلاثة موجودة بين الدفتين .

لا يصح القول بأن ذلك العنوان جامع يشمل الكتب الثلاثة معا . وذلك لأنه لم يرد في طرزة الكتاب الأول وهو ”الأدب الكبير“ عنوان خاص له ، وذلك بخلاف ما حصل في طرزة الكتاب الثاني حيث أورد عنوانه هكذا ”آداب عبد الله بن المقفع الصغرى“ وكما حصل في الكتاب الثالث حيث أورد عنوانه هكذا : ”كتاب التاج تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رحمة الله عليه“ .

فيكون من الصعب - والحالة هذه - أن يطلع على كتاب ”التاج“ إنسان آخر ، اللهم إلا أن يكون قد صادف ما وفقني الله إليه من تقرري الكتب التاريخية والأدبية كلها في طوب قيو ، واحداً واحداً ، كما أتيج لي منذ بضع سنين . وذلك أمرٌ تحققت من رب الدار أنه ما كان .

عود الكلام على
اسم التاج
والكتب المسماة
بهذا الاسم



(١) وهناك باب للتظني. ذلك أن المتقدمين كثيرا ما يسمون كتبهم بأسماء متعددة .
وها هي كتب الجاحظ نفسه ، نرى لبعضها عناوين مختلفة . بل هو نفسه يسميها
بأسماء ؛ بعضها مختصر وبعضها فيه شيء من التلويل .^(٢)

وبعد ، فنحن نعلم أن الجاحظ كان مؤلفا بأبن المقفع ، ومُعجبا به وبآثاره .
أفلا يصح القول بأنه اختار في بعض الأحيان اسم "التاج" متابعة لذلك الكتب
العظيم ، صاحب كتاب "التاج في سيرة كسرى أنوشروان" ؟^(٣)

ومن جهة أخرى نرى هذا العنوان "التاج" قد استُعمل به كثير من أكابر المصنفين .
فاختاره نفر من صدور الصدر الأول ، وعنونوا به بعض كتبهم ، مجازاة لما وصلهم
عن أهل فارس الذين سبقوا العرب بتأليف "كتاب التاج" وما تفاءلت به ملوكهم .
وهو الذي ذكره ابن النديم في ضمن الكتب التي "أنفها الفرس في السير والأسمار
الصحيحة التي لملوكهم" .^(٤)

(١) نكتفي بذكر "معجم الأدباء" لياقوت . فإنه مشهور أيضا باسم "إرشاد الأريب" ، وباسم "طبقات
الأدباء" . ومثل ذلك كتاب المقرئ ، فإن اسمه "المواعظ والأعتبار" ، وهو مشهور باسم "الخطوط" .
أوليس القليلون هم الذين يعرفون العنوان الأصلي لتاريخ ابن خلدون ؟ وأشبه ذلك كثيرة جدا يعرفها الذين
يعانون هذا النوع من الأبحاث ، أو كما يقول الجاحظ : "كل من كان كلفا بتعرفها وكان له في العلم أصل وكان
بينه وبين التبيين نصيب" . أنظر كتاب الحيوان (ج ٣ ص ٧٣) .

(٢) وأنظر الرسالة التي كتبها بعنوان : "من هو الجاحظ ، وما هي مصنفاته" ؟ وسأشرها فيما بعد .
(٣) من مؤلفات ابن المقفع أو من ترجمته عن الفارسية . وذكره صاحب كتاب الفهرست . وعليه بحث
مفيد وضعه باللغة الروسية الأستاذ إينوسترانسف C. Inostrancew في كتاب "المباحث الساسانية"

المطبوع في بطرسبورج سنة ١٩٠٩ (ص ٢٨ - ٣٢) .

(٤) كتاب الفهرست (ص ٣٠٥) .

فما ظهر من المصنفات في اللغة العربية بهذا العنوان، مرتبا على حسب تواريخ وفيات المؤلفين :

١ - كتاب التاج في سيرة أنوشروان ، لعبد الله بن المقفع (وهو أزل كتاب صدر بالعربية بهذا العنوان) .

٢ - كتاب التاج، لأبي عبيدة، المتوفى فيما بين سنتي ٢٠٧ و ٢١٣ للهجرة .

(١) كتاب الفهرست (ص ١١٨) . [ولعله هو الذي نقل عنه صاحب العقد الفريد - لأنني لم أجد في كتاب الجاحظ الذي أقدمه اليوم للقراء ما أورده ابن عبد ربه عن كتاب "التاج" - في الجزء الأول من العقد الفريد (ج ١ ص ١١، ٢٦، وغيرهما) ، ولا ما أورده ابن قتيبة في كتاب "عيون الأخبار"] .

(٢) ذكر القفطى في كتاب "إنباء الرواة على أنباء النحاة" كتابين لأبي عبيدة أحدهما باسم "التاج" والثاني باسم "الديباج" ، أنظر النسخة المنقولة بالفتوغرافية الموجودة بدار الكتب الخديوية) . كذلك فعل ابن خلكان في ترجمة أبي عبيدة (أنظر طبع بولاق وطبع باريس والترجمة الانكليزية) . ولم يذكر هذين الكتابين ابن الأنباري في "نزهة الألباء" ، ولا السيوطي في "نزهة الوعاة" . وقد نقل ابن عبد ربه في العقد الفريد عن "كتاب التاج" الذي لأبي عبيدة (أنظر ج ٢ ص ٥٣ و ٥٥ و ٦٩) . ولكن ابن النديم (ص ٥٢) وابن خير الأندلسي (ص ٣٦١) وصاحب "تاج العروس" في مادة (ج م ر) لم يذكروا له غير كتاب الديباج . وما ينبغي التنبيه إليه أن العبارة التي نقلها صاحب "تاج العروس" عن جمرات العرب (وقال إنها عن أبي عبيدة في كتاب الديباج) نراها واردة بنصها تقريبا عن "كتاب الديباج" أيضا في كتاب "الكامل" للبرد (ص ٣٧٢ من طبعة ليبسك و ص ١١ من ج ٢ طبعة القاهرة) . وهي واردة أيضا مع زيادة ونقص طفيفين في الألفاظ في العقد الفريد (ج ٢ ص ٦٩) وصاحبه يقول بأنه نقلها عن كتاب "التاج" لأبي عبيدة . نعم إن التعريف كثير في العقد الفريد المطبوع في بولاق ، ولكنه ذكر هذا "التاج" ثلاث مرات وقد شهد القفطى وابن خلكان بأن لأبي عبيدة هذا كتابين أحدهما "التاج" ، والثاني "الديباج" . فهل هما كتاب واحد؟ ربما يكون ذلك كان . ولعل الرجل سمى كتابه بالديباج ثم لقيه هو أو غيره بالتاج . وذلك لأن القول التي أوردها صاحب العقد الفريد تدل على أنه موضوع في بيان مفاخر العرب وبيوتاتها ، وذلك مما يحمل على الظن بأن صاحبه أراد أن يضاهي به كتاب التاج الذي ألفه الفرس . على أن المعلوم أن أبا عبيدة كان من الشعوبية وكان يكره العرب ، وقد ألف كثيرا في مثالبهم .

- ٣ - كتاب التاج، لأبن الراوندى، المتوفى سنة ٣٠١. [ونقضه أبو سهل إسماعيل النوبختي^(١) في كتاب سمناء "السبك"^(٢)].
- ٤ - كتاب التاج، للصابي، المتوفى سنة ٣٨٤. ويسمى "التاجي" ويسمى "المتوج^(٣) في العدل والسياسة"^(٤).
- ٥ - كتاب التاج، لأبن فارس، صاحب "مجل اللغة"، المتوفى سنة ٣٩٥.^(٥)
- ٦ - التاج في زوائد الروضة على المنهاج، في الفقه، لأحد علماء القرن التاسع.^(٦)
- هذه هي بعض الكتب التي عرفناها بهذا الاسم، فيما قبل الجاحظ وبعده، مما قد بلغنا خبره وإن لم يصلنا أثره.^(٧)

- (١) ذكره في كشف الظنون، ولم يعرفنا بموضوعه.
- (٢) أنظر كتاب "الفهرست" (ص ١٧٧).
- (٣) ذكره في كتاب "الفهرست". ونقل عنه البيروني في الآثار الباقية (ص ٣٨).
- (٤) ذكره في كتاب الفهرست (ص ١٣٤)، وذكره ابن خلكان في ترجمة الصابي.
- (٥) عرفناه به ابن خير الأندلسي في جملة الكتب التي رواها عن أشياخه بالسند المتصل إلى مؤلفيها، في كتابه المطبوع بمدينة سرقسطة Saragosse من أعمال إسبانيا سنة ١٨٩٥ (ص ٣٧٤).
- (٦) ذكره صاحب "كشف الظنون" في حرف التاء ثم في حرف الراء والميم (وأنظر أعداد ٢٠٦، ١٣٢٤٢، ٦٦٦٦ من طبعة العلامة فلوجل).
- (٧) ثم إن العرب أضافوا هذا الاسم إلى غيره. فآلفوا: تاج الأسماء، تاج الأنساب، تاج التراجم في طبقات الحنفية، تاج الحرّة للعري، تاج السلاطين في معرفة الأباليس والشياطين، تاج العارفين، تاج العروس في الزهد، تاج المداخل، تاج المذكرين، تاج المصادر، تاج المعاني، تاج المعلّ، تاج المفرق، تاج النسرين. [ذكرها كلها صاحب كشف الظنون. وقد أهملت ما هو بالتركية أو الفارسية]. ثم تاج الحلية ذكره ابن خير الأندلسي، التاج في كيفية العلاج، تاج المجاميع، التاج المرصع في شرح رجز أبي مرقع، تاج المعارف وتاريخ الخلائف، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، وهذه الكتب موجودة بمخزاة باريس الأهلية. ثم تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي، التاج الخ.

إلى هنا آتينا من أنه لا مانع أن يكون الكتاب الذى بين أيدينا قد سماه صاحبه
أو الذين جاؤوا من بعده بأسم "التاج" . ولا شك عندنا ولا عند غيرنا فى أنه هو
كتاب "أخلاق الملوك" .

ولكن ...



من هو المؤلف لهذا
الكتاب ؟

بقى علينا أمر آخر، وهو من الجلالة بمكان .

فمن هو المؤلف لهذا الكتاب ؟ ... ألاحظ أم غيره ؟

إن الجاحظ ترك نحواً من ٣٦٠ مؤلفاً، رآها سبط ابن الجوزى كلها تقريباً فى مشهد
أبى حنيفة النعمان ببغداد، وإن كان لم يذكر لنا شيئاً من أسمائها فى "مرآة الزمان" .

ولما كان الجاحظ لم يُشر فى مقدمة كتاب "الحيوان" إلا لشيء يسير جداً من
تأليفه (وليس فيها كتاب "التاج" ولا كتاب "أخلاق الملوك") وكذلك الحال فيما
وقفنا عليه من أسفاره الأخرى، فقد بقينا من ذلك الأمر فى شكٍّ مُريب .

نظرة فى أسلوب
الكتاب من
حيث الإنشاء

ويزداد هذا الشكُّ متى قلنا بأن أسلوب الكتاب فى مجموعه قد لا يوافق ما هو معهود
من كتابة الجاحظ وظرافته ومجانتته، أو ما هو معروف عنه من التمسك بأوهى الأسباب
للتلاعب بالألباب .

ذلك لأننا نراه قد خالف هنا عادته فى الاستطراد والاسترسال، والتنقل من حال
إلى حال، اللهم إلا فيما لا يؤبُّ به به ولا يمكن اتخاذه حجة فيما نحن بصدد من الأبحاث .
لكننا إذا قررنا أن هذا الكتاب سفرٌ آداب وأخلاق لا دفتر تبيين وبيان، وأنه
خاصٌ بموضوع معين محصور فى أمر واحد معلوم، فقد يزول ذلك الارتياب الذى
ربما يعلق ببعض الأذهان .

نعم، فلقد كانت وظيفة الجاحظ في هذا الكتاب أن ينقل ماراقه من الآداب التي دقنها الفرس في آيينهم وقوانينهم^(١)، وأن يسطر ما تلقاه عن شيوخه أو سمعه من أقرانه أو تلقفه عن صحابته مما يتعلق بأحوال الخلفاء والسادات . فكان عمله قاصرا على ربط الأفكار بعضها ببعض، ولم يكن له مجال يتبسط فيه ويسرح، أو ميدان يتنشط فيه ويمرح. كذلك كان شأنه في طائفة من مقالاته التي قصر فيها الكلام على موضوع واحد، كما فعل في "مقالة الشيعة" وفي غيرها من رسائله العديدة وفصوله الكثيرة التي وصلتنا .

على أننا مع ذلك نراه في "التاج" - كلما تراءت له سائحة أو هزته نشوة - قد يغلبه طبعه فيستطرد ويستدرك ثم يعود أدراجه ، ولكن في المعنى الواحد وفي البأية الواحدة^(٢) .

(١) أنظر شرح هذه الكلمة في كتاب التاج، في حاشية (ص ١٩) .

(٢) البأية معناها : الحد، الوجه، الخصلة، الشرط، القليل، النوع . واستعمالنا لها هنا هو بالمعنيين الأخيرين . قال الجاحظ في الحيوان (ج ٢ ص ٤٥) : "فليس الديك من بأية الكلب، لأنه إن ساوره قتله قتلا ذريعا" . وقال أيضا (ج ٧ ص ٤٣) : "وقد أيقنا أنهما ليسا من بأيته" . ثم روى أيضا (ج ٧ ص ٣٦) أبياتا لعميم بن مقبل، هذا محل الشاهد منها :

بني عامر، ما تأمروني بشاعر * تخير بابات الكتاب هجائيا ؟ ...

نعم إن طابع "الحيوان" صحف الكلمتين الأوليين من الشطر الثاني من البيت الأول (كما صحف وحرف ومسح وشوه في كثير من المواضع التي لا تعد ولا تحصر) فأوردهما هكذا "يجربايات" ولكن الصحيح ما أورده هنا . ويؤيد ذلك أن صاحب تاج العروس روى البيت الأول في مادة (ب وب) مثل روايتي وقد فسره بقوله : معناه تخير هجائي من بابات الكتاب .

وقال الجاحظ أيضا في كتاب البهلاء : "أنت من ذى البأية ... ؛ وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه البأية" (ص ٤٥، ١٤٣) =

وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما تضمنه "التاج" من بعض العبارات، نرى أسلوبه يتجلى فيها على أحسن مثال. فبينما هو ينقل عن آداب الفرس وأحوال ملوكهم، إذا به قد أخذته النعرة العربية فعقب بمائيل هذه الأحوال أو ما يجانسها مما كان قد وقع للعرب قبل الإسلام أو بعد الإسلام. وذلك كله على سبيل الاستطراد والاسترسال، اللذين هما من أخص سجايه.

= ومثل ذلك (في نفح الطيب، ج ١ ص ٥٥٩ طبعة ليدن؛ ج ١ ص ٣٩٨ طبعة بولاق سنة ١٢٧٩ هـ) قول القاضي محمد بن بشير الأندلسي:

إنما أزرى بقدرى أنني * لست من "بابة" أهل البلد...

وفي "تاج العروس" ما خلاصته: "هذا بابته أى شرطه؛ وإذا ذال الناس: من بابتي، فعناه من الوجه الذى أريده ويصالح... .. والبابة فى الحساب والحدود ونحوه الغاية".

وقال البيرونى فى كتاب "تحقيق ما للهند": وبسببه أقول فيما هو بابتي منهم... (ص ١٢). وفى "شفاء الغليل" أنهم يقولون للعب خيال الظل بابة [أى لكل نوع وقسم من أنواع التمثيل وأقسامه التى نسميها الآن فصول الرواية = Scène] فيقولون بابات خيال الظل. وقد أورد الخفاجى هناك تفصيلا لطيفا وتورية بديعة فى أشعار رائقة. فأنظرها.

وعلى ذلك قول ابن إياس المؤرخ المصرى: "فكانوا مثل بابات خيال الظل: فتشئ يجيئ، وشئ يروح" (بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ١ ص ٣٤٧).

(١) أنظر ص ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩،

ولنا دليل آخر ، وهو أننا نرى الكتاب ينمُّ على مؤلفه . ذلك لأن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد والتكثير حتى لقد عابه النقاد من أهل زمانه ، بل أشار هو في مقدمة كتاب الحيوان إلى تلك الزرابة على طبعه ونحيزته .^(١)

ولكنه مع هذا التكرار الذي نراه فاشيا في كتبه ، ومع هذا الانتقاد الذي عابه به قوم من أهل زمانه ، لم يرجع عن دينه ودينه وعادته في نفس كتاب "الحيوان" ثم في كتاب "البيان والتبيين" . فقد نراه في تضاعيفهما يذكر الحكمة التي تدعوه إلى ذلك ، وقد يكرر فصولا من الكلام ومقطعات من الأشعار ، كما حانت له نُهْزَة أو تجددت لديه الفرصة ، بل كلما تراآى له شقٌّ ضئيل يفضي به إلى ميدان فسيح يسمح له بالتوسع في التعبير .

ثم هو فوق ذلك ينقل في بعض كتبه ما قد تقدّم له في بعضها الآخر . فإذا علمنا ذلك كلّهُ ، فلننظر في كتابه هذا لتبين منه أهذه السليقة موجودة فيه أم لا . نحن نجد ذلك ، بلّه نجد ما هو أبلغ .

أما تراه ينقل في "التاج" شيئا كثيرا مما أورده في "البيان والتبيين"^(٢) ؟ وهذا أيضا كتاب "الحيوان" قد نقل عنه في "التاج" في موضع واحد . ومثلهما كتاب "البخلاء"^(٣) في موضع واحد أيضا .

(١) أنظر مقدمة "الحيوان" (ص ٣ س ٤) .

(٢) أنظر (ج ٣ ص ١٢ ؛ ج ٣ ص ٥١ ؛ ج ١ ص ٦٩ ؛ ج ٣ ص ١٠٩) . وأنظرا ما أورده في تكميل الروايات في (ص ١٩٢ عن ص ٢٠) و (ص ١٩٦ عن ح ٤ ص ٤٧) وفي (ص ١٩٧ عن ص ٥٣ ، ٥٤) و (ص ٢٠٣ عن ح ٤ ص ٨١) .

(٣) أنظر في تكميل الروايات في (ص ٢٠٣ عن ح ١ ص ٨٩) .

(٤) فإن الحكاية التي أوردها في "التاج" (ص ٢٠) عن الجارود بن أبي سبرة وعبد الأعلى ، نراها بنفسها وحرفها تقريبا في كتاب "البخلاء" (ص ١٩٣) . وقد رواها في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٢) .

فلو كان المؤلف رجلا غير الجاحظ، لكان قد أشار - ولو عرضاً أو مرة واحدة - إلى المنقول عنه بطريقة التصريح أو التلميح، أو كان أستعمل عبارة منهمة تفيد النقل على أى وجه كان .

وإذا نظرنا الآن من جهة أخرى، رأينا أن جماعة من المؤلفين قد سطوا على هذا الكتاب ، كما أغار غيرهم على كثير من بقية الآثار التي دمجها بنان الجاحظ . وقد أشرتُ إلى شيء كثير من هذا القليل في الحواشى التي حليتُ بها صفحات هذه الطبعة، ولكنني رأيت - لزيادة الفائدة ولتمحيص الحقيقة - أن أجمع ذلك كله في جدول خاص في آخر هذا التصدير .^(١)

فعلينا أن نبحث فيما إذا كان القلم قد خان بعض الناقلين فتركوا أثرا محسوسا ملموسا نستدل به تصريحاً أو تلميحاً على أن كتابنا هذا إنما هو من نفثات يراع الجاحظ . فهذا المسعودي، قد أستحوذ على حديث يزيد بن شجرة مع معاوية . ولما أضطر لنقل حكم الجاحظ، حاسب ذمته وراجع ضميره فلم ينسبه لنفسه بل أكتفى بقوله : "قال بعض أهل المعرفة والأدب ممن صنف الكتب في هذا المعنى وغيره"^(٢).

وهذا البيهقي، هذا حذو المسعودي . ولكنه تحبَّط عند ما نقل حكم الجاحظ والحديث الذي يرويه عن ألقاه إليه .^(٣)

(١) في (ص ٦٩) التالية .

(٢) أنظر (ص ٥٧) من التاج و(ح ٤) فيها .

(٣) أنظر (ص ١٧٠) من التاج و(ح ٣ و ٤) فيها، وأنظر أيضاً (ص ١٧١) و(حواشى ٢ و ٣ و ٤) فيها .

وهذا صاحب "محاسن الملوك". سطا على "التاج" فنقله كله تقريبا: تارة بالحرف وغالبا بالاختصار. وكأنه قد عاهد نفسه أن لا يذكر الجاحظ قط، غير أنه سها في آخر الأمر فذكره وسماه بأسمه مرتين وأورد ألفاظه بمعناها^(١).

على أن هذه الشواهد - وإن كان التدليل بها، كما يقول الجاحظ، قائما في العقل مُطَرِّدا في الرأي غير مستحيل في النظر^(٢) - فإنها، والحق يقال، لم تصل بنا إلى حدّ اليقين الذي يحسن التسليم به والسكوت عنده، لأنها لا تتضمن القول المقنع ولا الدليل الذي تتلج به الصدور. ونحن إنما نتلمس البرهانات النيرة الناصعة، والحجج الظاهرة الساطعة، والشهادات القائمة اللامعة، التي ينتهى إليها العلم، ويقف عندها البيان.



وحيث فلا سبيل لإزالة الإبهام واستجلاء الحقيقة بطريقة حاسمة إلا إذا استفتينا رجلين هما عمدة التحقيق في هذا الباب، لأن قولهما هو الفصل الذي لا نقض فيه ولا إبرام. أعنى بهما: محمد بن إسحاق النديم، وأبا حيان التوحيدى الكتّاب الشهير. فكان حقا علينا أن نسألهم، فعند جهينة الخبر اليقين.

مرآة العيون
التاريخية

١ - إن "كتاب الفهرست" الذي ألفه العلامة ابن النديم، قد طبعه الأستاذ فوجل (Flügel) سنة ١٨٧١ في ليبسك، مدينة العلم بألمانيا. ولكننا لا نرى فيه شيئا عن الجاحظ، إلا من طريق العرض ومن باب الاستطراد.

استفتاء ابن النديم،
وتحقيق بشأن
المطبوع من كتابه

(١) أنظر (ص ١٤٠) من التاج و (ح ٢) فيها.

(٢) كتاب "المجوان" (ج ٣ ص ١١٧).

فهل يُعقل أن ذلك العلامة الاختصاصي^(١)، الواسع الاطلاع، المنقطع لمثل هذا الشأن، يهمل رجلا كالمحافظ ؟

اللهم لا ! وكيف وقد ذكره كثيرا من العلماء والمصنفين الذين هم أقل من صاحبنا بدرجات كثيرة !

بيد أن الحق الصراح هو أن النسخة المطبوعة مبتورة. وقد ثبت ذلك مثل وصح النهار، بأمور ثلاثة :

أزلا - أن ياقوت يذكر في "معجم الأدباء" أسماء كثير من العلماء ، ويورد عنهم تفصيلات متعددة ، ويذكر لهم تصانيف متنوعة ، ثم يصرح بنقله عن كتاب الفهرست لابن النديم^(٢) . فإذا ما رجعنا إلى النسخة المطبوعة (أو إلى تلك الفصول التي عثر عليها الأستاذ هوتسما كما سيجيء قريبا) لانجد لذلك أثرا على الإطلاق . ومعلوم أن ياقوت حجة في النقل وأهل للتصديق فيما يتعلق بالكتب والتعريف بها .

(١) ولا أقول الإخصائي . لما في هذه اللفظة من الخلط الذي يتبادر إلى الأذهان ، ولأنها غير واردة بالنص . وكان حقا على الذين آخاروها أن يقولوا "المُخصي" وينظروا بعد ذلك إن كانوا يريدون الإصرار على اسم الفاعل ، وهو كما يرون . فغاية ما في شرح القاموس أنهم يقولون : "أخصى الرجل تعلم علما واحدا . نقله الصانغاني . وهو مجاز" . ولكننا نحن نريد بالاختصاصي الذي يبرع في الاختصاص والأفراد بعلم واحد ويكون مع ذلك قد شدا بعضا من المعارف المتعلقة به . هذا فضلا عن أننا نريد الحقيقة لا المجاز . ولذلك ننسب إلى كلمة الاختصاص ، ويكون اللفظ بالمعنى الشائع في هذه الأيام من المولدات . وقد قال في تاج العروس : "إِخْتَصَّ فلان بالأمر وتخصص له إذا آفرد" . فإن كان إخصاء الإخصاء يريدون النسبة إلى المصدر ، فقد جاريناهم ؛ ولكننا دفعنا اللبس العالق باختيارهم .

(٢) أنظر (ج ١) حواشي (ص ٤٦ و ١٢٧ و ١٤١ و ١٤٣ و ١٥١) ؛ ثم (ج ٢) حواشي (ص ١٧ و ١٧٧ و ٣٧ و ٤٧ و ١٣١ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٣٥ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٣٥٠ و ٣٨٨ و ٣٩٦ و ٤٠٠ و ٤١٩ و ٥٢٥) ؛ ثم (ج ٣) حواشي (ص ١٣ و ٨٦ و ١٤٠) ؛ ثم (ج ٥) حواشي (ص ٥٦ و ٢٢١ و ٢٧٠ و ٣٧٦ و ٤٣٢ و ٤٣٥) ؛ ثم (ج ٦) حواشي (ص ٤٩ و ١٤١ و ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٤) .

ثانيها - أن الأستاذ هوتسما Houtsma عثر على جملة تراجم مما كتبه ابن النديم^(١) (وهي غير واردة في النسخة المطبوعة) فنشرها في المجلة النمساوية للعلوم الشرقية بنصها العربي، مع خلاصة عليها باللغة الألمانية. وكل ما جاء فيها عن الجاحظ لا يزيد على أحد عشر سطرا، مبتورة من الأول ومن الوسط ومن الآخر. وما هي إلا تُتفة من رسالته إلى محمد بن عبد الملك الزيات، الوزير العباسي المشهور. ولا مُشاحة في أنها كانت مبثوثة في فصل كبير طويل.

ثالثها - (وهو أبلغها) أن ياقوت قد أورد ترجمة الجاحظ في الجزء السادس من "معجم الأدباء" ونقل فيها عن كتاب الفهرست أن صاحبه يقول إنه رأى كتابين من كتب الجاحظ بخط ورّاقه^(٢). ونحن نبحت على غير طائل عن هذه العبارة في النسخة المطبوعة من كتاب ابن النديم!

فلم يبق بعد ذلك أدنى ريب في أن ابن النديم ترجم للجاحظ، وعرف به تعريفا وافيا، وأفاض في سرد أسماء كتبه، وشرح أحوالها كلها أو بعضها.

لذلك تعلّقت همتي بمواصلة البحث وأستقصائه فيما أعلمه من النسخ المخطوطة التي لا تزال محفوظة ببعض الخزائن المعروفة لنا.

(١) عن : واصل بن عطاء، العلاف، النظام، ثمامة بن أشرس، الجاحظ، ابن دؤاد، ابن الراوندي، الناشئ، أبوعلی الجبّائي، الرّماني، ابن زبر، هشام بن الحَكَم، شيطان الطاق.

(٢) راجع (ص ٢١٨ - ٢٣٥ من ج ٣) ن المجلة المذكورة (WZKM) الصادر في سنة ١٨٨٩.

(٣) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٧٥)، وهذا نصه: قال ابن النديم: "ورأيت أنا هذين الكتابين بخط ذكرى بن يحيى، ويكنى أبا يحيى، ورّاق الجاحظ".

فكان أول ما باشرتُ البحث فيه (بالواسطة) هو النسخة الباقية من ذلك الكتاب النفيس بمكتبة المرحوم عارف حكمت بالمدينة المنورة . ولكنني تحققت أنها لا تتضمن الضالة المنشودة .

كذلك كان الشأن في النسخ الثلاث الباقية بالقسطنطينية ، والأولى منها محفوظة بخزانة يكي جامع ، والثانيتان في مكتبة الكوپرلي .

ولكن هذه النتيجة السلبية لم تثبط همتي ولم تُقعد عزيمتي . بل واصلتُ البحث والتنقيب حتى عثرتُ في خزانة الشهيد على باشا بالقسطنطينية على النصف الثاني من كتاب "الفهرست" ، وعليه أماراتٌ ربما يؤخذ منها أنه بخط المصنف نفسه . وهي نسخة جليظة جداً ، وبخط واضح في غاية الصحة والضبط . فنقلتها بالفتوغرافية وضممتها دُرّة فاحرة إلى خزانة كُتبي بالقاهرة . غير أن سوء الحظ قضى أن لا تتحقق فيها الأمانة ، وأن يبقى الظلام حائلاً دون بلوغ المرام . فإن هذا النصف يتبدى من الكلام على «الواسطى» المعتزلى ، وينتهى إلى آخر الكتاب .

وهذا الاسم واردٌ في النسخة المطبوعة تحت عنوان المقالة الخامسة ، مباشرة . ولكنه جاء في نسختنا في رأس الصفحة ، بما يدل على أنه تالٍ لكلام آخر تقدّم عليه

(١) تحت رقم (٤٤٧) بعنوان "فهرست العلوم القديمة" .

(٢) تحت رقم (٨١٥) وعنوانها "أسماء الكتب المسماة بالتذكار الجامع للآثار" .

(٣) تحت رقم (١١٣٤ ، ١١٣٥) ، وكل منهما عنوانه "فهرس العلوم" .

(٤) وفهرسها غير مطبوع للآن .

(٥) محفوظة تحت رقم (١٩٣٤) .

(٦) ص ١٧٢ .

(٧) وقد نبّه الطابع في تعليقاته باللغة الألمانية على سقوط بعض الفصول التي يجب أنها كانت تكون واردة في هذه المقالة قبل الكلام على "الواسطى" .

تحت عنوان تلك المقالة التي يدور فيها الكلام على المعتزلة. وبديهي أن القسم الذي عثر عليه العلامة هو تسهما هو متقدم أيضا على الواسطي المذكور : لأنه يشتمل على أسماء كثير من كبار المعتزلة ، وفي جملتهم الجاحظ .

فلا بد أن يكون الكلام على الجاحظ قد جاء في ختام النصف الأول بَلَّه في رأس النصف الثاني من هذه النسخة الثمينة . ولكن أين هي تلك الورقات التي تزيل الشك المريب ، وتقول لأهل البحث والتقيق : ” قَطَعْتُ جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ “ ؟

فلم يكن لي مناص بعد جميع هذه النتائج السلبية سوى أن أحسب على الله ما تجشمت من العناء ، وأن أتربص إلى أن تُتَّيحَ لنا الأقدار نسخة كاملة صحيحة من كتاب ” الفهرست “ فتقف منها على ما قاله صاحبه عن الجاحظ ونعرف ما أورده له من أسماء الكتب والمصنفات ، وهل فيها إشارة إلى ” التاج “ أم لا .

٢ - أبو حيان التوحيدى الكاتب الطويل النفس ، ألف كتابا في ” تقرير الجاحظ “ . وقد رآه ياقوت الحموى ونقل عنه فصولا كثيرة في ” معجم الأدباء “ وأفادنا أنه نقل ما نقل من خط أبي حيان^(١) . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا أيضا . غير أن الذى نقله عنه ياقوت يدل على أن الرجل قد أستوعب فيه الكلام عن الجاحظ ، ولا بد أن يكون قد أستوفى فيه التعريف بكتبه أيضا . وأين ” أين السَّما من كَفَّ المتناول “ ؟ بل أين ” أين الثَّريا من يدِ المتناول “ ؟

استفناه أبي حيان التوحيدى

(١) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٥٨ ، ٦٩) في ترجمة الجاحظ .

بحث عن
الكتب المسماة
بأخلاق الملوك

حينئذ لم يبق لدينا سندٌ صحيح، ولا نصٌّ صريح - قبل ياقوت - على أن الجاحظ هو صاحب كتاب "أخلاق الملوك".

فكان حقا علينا أن نقف هنيئة لنرى هل هذا النقل صادق وهل هذا الخبر مطابق للواقع .

ترك جانباً ما لنا من الثقة التامة في أمانة ياقوت الذي كان من أعرف الناس بالكتب ومصنفها، ونقول :

إذا ما نظرنا فيما وصل إلينا عن الكتب المسماة بـ "أخلاق الملوك" نرى أن الأمر لا يتعدى ثلاثة من الناس، وهم : الفتح بن خاقان ، ومحمد بن الحارث الثعلبي (أو الثعلبي)، والجاحظ .

فلننظر أيهم هو صاحب كتابنا هذا !

التعريف بالفتح
ابن خاقان

١ - الفتح بن خاقان . هذا الوزير كان من المغربين بالكتب غراما شديدا . وكانت له خزانة حكمة لم ير الناس أعظم منها : كثرة وحسنا . جمعها له علي بن يحيى المنجم من كتبه ومما أستكتبه الفتح نفسه .^(١)

وقد كان يشمل برعايته كثيرا من أكابر العلماء^(٢)، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء البصرة والكوفة . ومن كان في جملة المفضل بن سامة اللغوي المعروف .^(٣)^(٤)

(١) أنظر كتاب الفهرست ، والوافي بالوفيات (عن القطعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب الخديوية : في ترجمة الفتح بن خاقان) .

(٢) أنظر كتاب الفهرست في ترجمته .

(٣) الوافي بالوفيات (عن النظمة السابق ذكرها قبل) .

(٤) أنظر كتاب الفهرست (ص ٧٣) .

وكان الفتح يتبارى في تفسير الآيات مع المبرد وأمثاله . وللبحتري فيه مدائح كثيرة ،
هى من غرر ديوانه .^(٢) وصنف جماعة منهم كتباً بأسمه - أى قدموها إليه - ومن حملتهم
الملاحظ ، وكذلك العلامة الشهير أبو جعفر محمد بن حبيب الذى صنف بأسمه "كتاب
القبائل الكبير"^(٣) . ومثلهما صاحبنا محمد بن الحارث ، صاحب الكتاب المسمى
"أخلاق الملوك" الذى سيأتى الكلام عليه عما قريب .

فلا غرابة أن رجلاً مثل الفتح فى محبته للكتب واجتماعه بالعلماء ومشاركته لهم
فى المباحث الدقيقة يكون هو أيضاً من جملة المصنفين . فقد روى له صاحب
"الفهرست" أربعة كتب ؛ وهى :

(١) كتاب الصيد والجوارح ،

(٢) كتاب الروضة والزهر ،

(٣) كتاب البستان ،

(٤) كتاب اختلاف الملوك . (هكذا بالناء والفاء)

(١) أنظر مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٧) .

(٢) يوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب الخديوية ، ثنتان واسعتان متشابهتان ، والثالثة مختصرة .
(أنظر الفهرست فى قسم الأدب) . وذلك خلاف النسخة المطبوعة فى "الجوانب" وفيها أغلاط مطبعية كثيرة .
وليست المخدوشات من الطراز الأول من حيث الصحة والضبط .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٠٧) .

فأما الكتاب الأول، فهو خارج عن موضوعنا وعن دائرة "اختصاصنا" وبحشنا . ولا شبهة لنا في أنه من تصنيف هذا الوزير، لاسيما أنه يتعلق بأمور، يأنفها الملوك والأمرء والوزراء والسادات . ونحفي نعلم أنه كان فارساً مقداماً وأنه قتل أسداً ، على ما تشهد به إحدى القصائد الطنانة التي مدحه بها البحترى .

أما الكتاب الثاني، فسيأتي الكلام عليه عند ذكر محمد بن الحارث .

وأما الثالث (وهو كتاب البستان) فقد صرح المسعودي بأنه ألفه في أنواع من الأدب^(١) . ولكن ابن النديم (الذي هو أعرف بهذه الشؤون) نفى ذلك وأكد لنا أنه "منسوب إليه والذي ألفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل"^(٢) . وهكذا الصفدي، فإنه لم يذكر لفتح سوى الكتاب الأول (الصيد والجوارح) ثم كتاب البستان هذا، وقد قال عنه : "صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل، ونسبه إليه"^(٣) .

فهذه أول شبهة يصح لنا أن نستنبط منها أن من الكتب المصنفة برسمه، ما قد اشتهر بعده بأسمه، حتى قال الناس إنه من وضعه .

وأما الكتاب الرابع، فالظاهر أن اسمه ورد محرّفاً عن "أخلاق الملوك". ولا نستشهد بأن صاحب "معجم الأدباء" ولا صاحب "كشف الظنون" ولا صاحب

(١) مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٢) .

(٢) أنظر ترجمته في كتاب الفهرست .

(٣) في ترجمته في الوافي بالوفيات (عن القطعة السابق ذكرها قبل) .

”الوافى بالوفيات“ لم يذكروا أن للوزير كتابا بأسم ”اختلاف الملوك“ أو ”أخلاق الملوك“. لأنه ربما يكون قد فاتهم، هذا إن كان. ولكننا نقول هنا إنه يجوز أن يكون هذا الكتاب للفتح، أو لمحمد بن الحارث، أو للجاحظ.

فإن كان للفتح كتاب بأسم ”أخلاق الملوك“ أو ”اختلاف الملوك“ فهو على كل حال ليس الذي بأيدينا. لأن كتاب ”التاج“ يتضمن في أوله وفي آخره مدحا للفتح ابن خاقان وتوبيها بذكره، وينادي صاحبه بأعلى عقيرته أنه قدمه للفتح بن خاقان^(١).

ولنا أن نتوهم أن صاحب ”الفهرست“ إنما أراد - عند الكلام على الفتح - أن يشير إلى الكتاب المترجم بأخلاق الملوك الذي ألفه محمد بن الحارث أو الجاحظ بأسم الفتح، ثم نتوسع فنقول إن ابن النديم لم يذكر لنا مؤلفه الأصلي كما فعل عند كلامه على ”كتاب البستان“. ولسنا نبحث عما إذا كان الإهمال حصل من نفس ابن النديم، أو حدث بسبب النقص الكثير الموجود في النسخة المطبوعة^(٢).

وعلى كل حال فليس للفتح بن خاقان شأن فيما نحن بصددده.

كلام عن محمد
ابن الحارث

بقى علينا أن نبحث عما يتعلق بابن الحارث التغلبي (أو النعلبي) الذي يؤكد لنا ابن النديم بأنه ألف كتابا بأسم ”أخلاق الملوك“^(٣).

أنا لا أمتنع أن يكون هذا الرجل ألف كتابا بهذا الاسم وقدمه إلى ذلك الوزير. وإنما أقول إن ذلك لا يعارض أن يكون الجاحظ أيضا قد ألف كتابا آخر وترجمه

(١) أنظر (ص ٤ و ١٨٦) من كتاب التاج.

(٢) ففي نسخة كتاب الفهرست مواضع كثيرة لأهل النقد والنظر. مثال ذلك أنها نسبت إلى حسن بن محبوب ثمانية عشر كتابا من الكتب التي ثبت أنها من تأليف الكوفي. أنظر معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٣).

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٤٨).

بنفس ذلك العنوان ثم قدمه إلى الوزير نفسه . فكثيرا ما نرى المتعاصرين يؤلفون كتباً بعنوان واحد ويقدمونها إلى سري^(١) واحد .

ولكننى أرى هنالك شبهة قوية تمنع أن يكون الكتاب الذى بأيدينا هو من تأليف محمد بن الحارث .

بيان ذلك :

إن هذا الرجل ألف كتابين آخرين بشهادة ابن النديم . أحدهما كتاب رسائله ، والثانى كتاب "الروضة" .

نقف قليلا عند هذا الكتاب الثانى ، مترددين فى شأنه . أفلا يكون هو نفس الكتاب الذى نسبته ابن النديم للفتح بعنوان "الروضة والزهر" ؟ فيكون شأنه حينئذ شأن كتاب "البستان" الذى ألفه رأس البغل ونسبه الناس للفتح !

ولكننا نرجع مسرعين إلى كتاب "أخلاق الملوك" المنسوب لابن الحارث ، ونأتى بما عندنا من الدلائل على أنه إذا صح وجوده ، فهو غير الذى بأيدينا .

نعم إن "مروج الذهب" المطبوع فى باريس أشار إلى "محمد بن الحارث الثعلبي صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان"^(٢) . ولكن النسخة المطبوعة فى بولاق تسميه "أخبار الملوك"^(٣) ومثلها نسخة أخرى مخطوطة فى "خزانة الزكية" .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، ومعجم الأدباء ، وكشف الظنون (فى غير ما موضع) .

(٢) طبعة باريس (ج ٢ ص ١٢) .

(٣) طبعة بولاق (ج ١ ص ٥ س ١) .

فلم لا يكون ذلك الرجل كتب كتابه وترجمه "أخبار الملوك" ثم تصحفت الكلمة في النسخة أو النسخ التي كانت أصلا لما أعتمدته في طبع "الروح" بباريس ؟ ولم لا يكون حصل مثل ذلك عند طبع "النهضة" في إيبسك^(١) ؟

ولكن ذلك - والحق يقال - لاعتباره بهانا حاسما في أن هذا الكتاب الذي بأيدينا ليس لأبن الحارث .

لذلك كله لم يبق لدينا سوى وسيلة واحدة لاستطلاع الحقيقة من الكتاب نفسه .



فعلوا بنا نسائله ليخبرنا هو عن مؤلفه الحقيقي بما يزول معه كل آرتياب وتنجلي به الحقيقة ناصعة دون حجاب .

استفتاء الكتاب
نفسه لمعرفة مؤلفه

الكتاب يُدلى بحجة صاحبه وينادى على رؤوس الأشهاد بأنه من تأليف الجاحظ .

أولا - إن الجاحظ قد أمتاز بأسلوب مخصوص من الكتابة والتعبير: أسلوب فيه حلاوة، وعليه طلاوة، وله رشاقة؛ أسلوبٌ تنجلى فيه الألفاظ العذبة، والمخارج السهلة، والدياجة الكريمة، والطبع المتمكن، والمعاني التي إذا طرقت الصدور عمرتها، وإذا صارت إلى القلوب أصلحتها من الفساد القديم، وإذا جرت على الألسنة فتحت لها أبواب البلاغة .

أسلوب الجاحظ

وها هو "التاج" إذا أجلنا النظر في تضاعيفه وثنائاه وأعطافه، وجدناه حاليا بعيون الكلم الروائع والفقر الحسان، والتنف الجياد، مما ينادى بأن صانعه الماهر، وصائغه الحاذق، هو هو "الجاحظ" صاحب السبك الجيد، ورب الكلام الذي له ماء

(١) وقد ثبت لنا عن ياقوت أن فيها تحريفا كثيرا، كما أشرنا إليه في إحدى الحواشي المتقدمة (ص ٤٣) .

ورونق، وفيه قرة العين وجلاء الصدور . تلك الصنعة عليها طابع الجاحظ كما هو معهود عند نقاد الألفاظ وصيارفة النثر والنظام وجهابذة المعاني .

والشاهد الصادق والحجة القاطعة على ما نقول يتجلىان في أجمل حلة عند ما ينظر القارئ في الصفحات التي سبقت الإشارة إلى أرقامها^(١) .

هنالك يشنف القارئ سمعه بالألفاظ المستحسنة في الآذان، التي تدخل على الأذهان بغير استئذان . هنالك يذوق في كل سطر تلك الحلاوة ويتهيج فؤاده حيال تلك الطلاوة وهاتيك الرشاقة التي آختص بها "الجاحظ"، إلى ما هو معروف عنه من السهولة والعذوبة التي تحبسه إلى النفوس . هنالك نجد المعنى يسابق اللفظ، ونشهد اللفظ يجارى المعنى : بطريقة تهش لها الأسماع، وتلتحم بالعقول، وترتاح إليها القلوب . هنالك نجد اللفظ كريما في نفسه، متحيزا إلى جنسه، متخيلا في نوعه . هنالك نرى الكلام سليما من الفضول . بريئا من التعقيد .

وإليك أمثلة تؤيد بها قولنا . وننقلها هنا حجة على صدق رأينا . ونترك للقارئ أمثلة من صياغته مراجعة الباقي في سائر المواطن التي نهناه إليها .

قال صاحب "التاج" في صفحة ٢١ :

فإننا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضع للهو ، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه ؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته ، كما يحتاج إلى الناسك لعظته ؛ ويحتاج إلى أهل الهزل ، كما يحتاج إلى أهل الجد والعقل ، ويحتاج إلى الزامر المطرب ، كما يحتاج إلى المتقن .

(١) في (ح ١ ص ٢٩) من هذا التصدير .

وفي صفحة ٢٤ :

لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضعه ، ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مؤوف ولا مرمى بأبنة ، ولا مجهول الأبوين ، ولا آبن صناعة دنيئة كآبن حائك أو حجام ، ولو كان يعلم الغيب مثلاً .

وفي صفحة ٤٥ :

وللسكرحة إذا بلغه نديم الملك ، فأجمل الأمور وأحراها بأخلاقه أن لا يزاخذه بزلة إن سببته ، ولا بلفظة إن غلبت لسانه ، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .

والحد في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له ، وإن خلى ونفسه رمى بها في مهواة ، وإن أراد أحد أخذ ثيابه لم يمانعه .

فأما إذا كان ممن يعرف ما يأتي وما يذر ؛ وكان إذا رام أحد أخذ مامعه ، قاتله دونه ؛ وكان إذا شتم ، غضب وأنصر ؛ وإذا تكلم ، أفصح وقل سقطه ؛ فإذا كانت هذه صفته ثم جاءت منه زلة ، فعلى عمد أتاها وبقصد فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه . فإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه ، قدح في عزه وساطانته .

وفي صفحة ٤٨ :

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس . دخل على (أحمد) بن أبي دؤاد (بن علي) وعليه مبطنة ملونة من أحسن ثوب في الأرض ، وقد أعم على رأسه رصافية بمامة نر سوداء لها طرفان خلفه وأمامه ، وعليه خف أصفر ، وفي يده عكازة آبنوس ملوح بذهب ، وفي أصبعه فص ياقوت تضيء يده منه . فنظر إلى هيئة ملأت قلبه ، وكان جسيماً ، فقال : "يا إبراهيم ! لقد جئتني في لبسة وهيئة ما تصالح إلا لواحد من الخلق" . فأنصرف فلم يأت حتى مات .

وفي صفحة ٦١ :

ألا ترى أن الملك قد يغضب على الرجل من حماته ، والرجل من حامته وبطانته : إما لحناية في صلب مال ، أو لحيانة حرمة الملك ، فيؤخر عقوبته دهرًا طويلاً ، ثم لا يظهر له ما يوحشه ، حتى يتق ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك .

وليست هذه أخلاق سائر الناس ، إذ نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الحنایات وعند أول بوادر الغضب .

فأما الملوك وأبناؤهم ، فليست تقاس أخلاقهم ولا يعاير عليها . إذ كان أحدهم يضع أعدى خلق الله له بين أذنه وعاتقه ، وبين سحره ونحوه . فتطول بذلك المدة وتمرّبه الأزمنة ، وهو لو قتله في أول حادثة تكون وعند أول عثرة يعثر ، لم يكن بين هذه القتلة وبين الأخرى بعدها بعشرين سنة فرق . إذ كان لا يخاف تأرا . ولا في الملك وهنا .

وفي صفحة ٦٦ - ٦٨ :

ومن حق الملك أن لا يرفع أحد من خاصته وبطانته رأسه إلى حرمة له ، صغرت أم كبرت . فكم من فيل قد وطئ هامة عظيم وبطنه حتى بدت أمعاؤه ، وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع وتمششته ، وكم من جارية كانت كريمة على قومها ، عزيزة في نادياها قد أكلتها حيتان البحر وطير الماء ، وكم من جمجمة كانت تصان وتعلّ بالمسك والبان ، قد ألقيت بالعراء ، وغيت جثتها في الثرى بسبب الحرم ، والنساء ، والخدم ، والأولياء ! ولم يأت الشيطان أحدا من باب قط حتى يراه بحيث يهوى منقسم اللحم والأعضاء ، هو أبلغ في مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمنيته من هذا الباب ، إذ كان من أطف مكايده وأدق وساوسه وأحلى تزيينه !

فعلى الحكيم المحب لبقاء هذا النسيم الدقيق ، وهذا الماء الرقيق ، أن يطلب دوامهما لنفسه بكل حيلة يجد إليها سبيلا ، ويدفع مقارقتها لكل شئ . يقع فيه التأويل بين أمرين من سلامة تجبى أو عطب يتلف ، ولا يتكل على خيانة خفيت أو فجرة حظى بها أحد من أهل السفه والبطالة . فإن تلك لا تسمى سلامة ، بل إنمائها حصرة وندامة يوم القيامة . وكم من فعلة قد ظهر عليها بعد مرور الأيام وطول الأزمنة بها ، فردّت من كان قد أحسن بها الظن حتى تركته كأمس الذاهب كأن لم يكن في العالم !

وفي صفحة ٧١ :

ومن حق الملك — إذا زامله بعض بطانته — أن يكون دارفا بمنازل الطريق وقطع المسافة ، دليلا بهدايته وأعلامه ومياده ، قایل الثاؤب والنعاس ، قایل السعال والعطاس ، معتدل المزاج ، صحيح البنية ، طيب المفاكهة والمحاذنة ، قصير المياومة والملايلة ، عالما بأيام الناس ومكارم أخلاقهم ، عالما بالنادر من الشعر والساثر من المثل ، متطرقا من كل فن ، آخذا من الخير والشر بنصيب . إن ذكر الآخرة ونعيم أهل الجنة ، حدّثه بما أعد الله تعالى لأهل طاعته من الثواب فرغبه فيما عنده ؛ وإن ذكر النار ، حدّثه ما قرب إليها . فزهده مرة ، ورغبه أخرى . فإن بالملك أعظم الحاجة إلى من كانت هذه صفاته . وبالحرى إذا أصاب هذا ، أن لا يفارقه إلا عن أمر تنقطع به العصمة وتجب به النعمة .

- ١ - في كلامه على تفرد الملوك (ص ٤٧، ١٧)؛
 - ٢ - في بيانه لكمية الشرب وكيفيته (ص ٨٩، ٤٩، ٢٢)؛
 - ٣ - في شرحه لاستماع حديث الملوك (ص ١١٢، ٥٣)؛
 - ٤ - في ذكره لطريقة تحديث الملوك (ص ١١٧، ١١٢، ٤٩)؛
 - ٥ - في سرده سيرة الخلفاء والملوك في الشرب (ص ٣٢ - ٤٣ و ص ١٥١)؛
 - ٦ - في إتيانه على آداب أهل الزلفى بعد المضاحكة (ص ٦١، ٦٨)؛
 - ٧ - في دلالاته على وجوب الاحتياط على الملك عند الدنومنه (ص ٧٠، ٥٣).
- وهناك مواضع أخرى من هذا القليل، أضربنا عن ذكرها لأنها مبثوثة في الكتاب يراها المتأمل بغير عناء .

إشارته إلى كتبه
المتقدمة

رابعا - لأن المؤلف نفسه يقول في صفحة ٥ من "التاج":

وأمل قائلا يقول ، إذا رأنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب : "قد ناقض واضع هذا الكتاب إذ زعم أنه ليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية" . فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال . وأولئك الملوك هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النبط الأعلى . أنت تجد ذلك عيانا وتشهد عليه بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقو لها من نظر في سير من مضى وسير من شاهد . وبالله التوفيق !

وبديهي أن محمد بن الحارث لا يصح له أن يقول مثل هذه الكلمة لأن كتبه الثلاثة "الصيد والجوارح"، "الروضة والزهر"، و"البستان" لا تتحمل أن تكون موضوعا لبعض "أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب". أما الذي له الحق الصراح في أن يأتي بمثل هذا القول فإنما هو الجاحظ دون صاحبه . وها هي كتب الجاحظ التي وصلت إلينا نراها مفعمة بتفاصيل من هذا القليل ! فما ظنك بالتى ضن بها علينا الزمان ؟

تصريحه بكتاب
معينه له

خامسا - لأن مصنف "التاج" يقول في خطبته : "إنا ألفنا كتابا قبل كتابنا هذا فيه أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة . وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا وأحرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يوجب للملك من ذكر أخلاقها وشميها"^(١).

تأكيده لهذا
التصريح

سادسا - إن المؤلف يعود فيؤكد ذلك بقوله : "فرأينا إذ أخطأنا في تقديمنا أخلاق أهل البطالة - وإن كان فيها بعض الآداب وما يحتاج إليه أهل الشرف من محاسن الأخلاق - أن نتلافى ما فرط منا بوضع كتاب في أخلاق الملوك وخصائصها التي هي لها في أنفسها"^(٢).

فهذان نصان صريحان في أن الذى ألف كتابا فى أخلاق أهل البطالة هو نفس الذى صنف كتاب "أخلاق الملوك" . ولا مَرِية عند أحد فى أن الجاحظ هو الذى صنف كتاب الفتيان وأخلاق أهل البطالة (كما يشهد به ياقوت والصفدى وآبن شاكر) .



النتيجة والحكم

فوجب علينا حينئذ أن نجزم القول ونبرم الحكم بأن الجاحظ هو هو صاحب هذا الكتاب .

أما محمد بن الحارث التغلبي (أو الثعلبي) فلم يقل أحد قط إنه كتب شيئا فى أخلاق الفتيان وأهل البطالة .

(١) أنظر كتاب التاج (ص ٣ س ٢ - ٤) .

(٢) أنظر كتاب التاج (ص ٤ س ١٠ - ١٢) .

وبناء على ذلك فليس يصح لإنسان أن يقول بعد الآن إن لهذا الرجل شأنًا ما في الكتاب الذي تقدمه اليوم إلى أهل الفضل والأدب .

وها نحن ، بحمد الله ، قد وقَّينا البحث حقه بما وصلت إليه طاقتنا وأتتهى إليه وسعنا . ولم نأل جهدًا فيما شرطه الجاحظ (في البيان والتبيين ، ج ١ ص ٤) من حيث الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق إليه أميل والعقول عنه أفهم والنفوس إليه أسرع . والله ولي الهداية والتوفيق .

أحمد زكي

عن "الخزانة الزكية" بالقاهرة في سنة ^{جمادى الأولى ١٣٣٢} _{أبريل ١٩١٤} سنة

حاشية :

أرى من واجبي أن أذكر بالشكر المعونة الثمينة التي بذلها لي صديق المفضل نعمت الله أفندي البغدادي المشتغل بمهنة المحاماة بالقسطنطينية . فقد جعل نفسه وقفًا على خدمتي ومساعدتي أثناء اشتغالي في عاصمة الخلافة الإسلامية بجمع المواد التي كانت أساسًا لمشروع "إحياء الآداب العربية" . وكان في كل معاملاته معي مثالًا للإخلاص وعنوانًا للأمانة . وله اليد الطولى في خدمة هذا الكتاب بنوع أخصر ، لأنه تفضل وراجع بمزيد الدقة تجارب المطبعة على النسخة المحفوظة في آياصوفيا قبل أن تصان صورتها الفوتوغرافية . فكان حقًا على أن أسطر له آية من الشكر في تضاعيف هذا السفر .

أ . زكي

بعد التحرير

وفيه تعريف بنسخة ثالثة من كتاب "التاج"

مكتوبة في مدينة حلب الشهباء.

كان إرسال كتاب "التاج" إلى المطبعة الأهلية في يوم ١٧ محرم بسنة ١٣٣٠ (٧ يناير سنة ١٩١٢) بأمر رسمي من نظارة المعارف العمومية .

من ذلك العهد توفرت على خدمته بتحقيق ألفاظه وعباراته وإنعام البحث في مبانيه ومعانيه وتحلية حواشيه وتصحيح مسوداته وتجاربه ، ثم أنقطعت لكتابة "التصدير" وتكامل الحواشي وتحرير الفهارس حتى فرغت من ذلك كله في يوم الأربعاء ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٣١ (١٩ نوفمبر سنة ١٩١٣) . فأرسلت للطباعة الأميرية الإذن بأعتماد الطبع نهائيا .

ولكن الأقدار ساقطت لي نسخة ثالثة من "التاج" على غير انتظار . فتمد حضر إلى القاهرة في يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ رجل من الذين يتعاطون تجارة التحائف والطرائف بمدينة فلورانس ، من أعمال إيطاليا ، وهو جناب المسيو شرمان S. Sherman ومعه طائفة من الكتب الخطية باللغة العربية والتركية والفارسية مما اشتراه من القسطنطينية من المجموعة التي تضمنتها خزانة خالص بك . وقد طلب مني مشادة مامعه من الأسفار ، فتصفحها واحدا واحدا ، وليس في وسعي أن أصف آتراجي وسروري حينما عثرت في جملتها على نسخة من كتاب "التاج" .

لذلك أسرع فطلبت من المطبعة إيقاف طبع التصدير والفهارس إن أن يتم لي تصفح هذه النسخة الثالثة التي أسميتها "بالحلبية" .

راجعتُ هذه النسخة على طبعتي كلمة كلمة وحرفا حرفا . فأنفيت في "الحلبية" أغلوطات كثيرة، وتحريفات متعددة . ووجدتُ فيها بعضا من العبارات التي أعتمدتها في طبعتي ، نقلا عن نسخة آيا صوفيا . ولست أتكلم عما في "الحلبية" من التحريف الذي قلما تخلو منه صفحة واحدة بل سطر واحد، ولا عما تضمنته من الحروف والكلمات الزائدة أو الناقصة، ولا عن العبارات المبتورة . فإن الذي يعينني منها إنما هو بعض ما تضمنته من الزيادات التي فيها فائدة جوهرية، أو قد يكون لها شبه مزية عَرَضِيَّة . هذه الزيادات هي التي آكتفيتُ بتحريرها في باب عنوانته باسم "استدراك" وأضفته عقب باب "التصحيجات" حتى يكون "التاج" متحليا بكل ما يمكن من مزايا الجمال والكمال .



أما وقد سبق لي وصف النسخة السلطانية (سـ) في صفحة ٢٧ و ٢٨ ونسخة آيا صوفيا (صـ) في صفحة ٣١ و ٣٢ من هذا التصدير ، فلا بد لي من أن أقول في هذا المقام إنني أكلتُ كلاً من هاتين النسختين بالأحرى، وأتعبتُ نفسي كثيرا في تصحيح ما أودعه فيها الناسخان الماسخان من سخافات وحماقات وضلالات، ومن تشويهاات وتبديلات وجهالات .

ذلك بأنني شمرْتُ عن ساعد الجِدِّ ، وراجعتُ كتب الثقات، وبذلتُ كل ما في الطوق لتقويم المعوجِّ وإصلاح الخطل بما وسعه الجهد وبلغه المقدور، حتى جاءت طبعتي لكتاب "التاج" جامعة لكل ما جاء في النسختين المذكورتين على قسطاس مستقيم، فأصبحتُ وافية من كل وجه بما يتطلبه أهل العلم والتحقيق، ويستغني بها القارئ عن الأصليين متحدين أو منفردين .



والآن أرى من الواجب تخصيص كلمة أخرى للتعريف بالنسخة "الحلبيّة" فأقول :
إنها موجودة في مجموعة تشتمل على كتابين ، وليس في أحدهما عنوان . .

فأما الأول فيتضمن آداب الملوك ونصائحهم ، وأما الثاني فهو كتاب "التاج" .
على الصفحة الأولى من هذه المجموعة عبارة تفيد أنها دخلت في نوبة "حويدم
الفقراء النقشبندية السيد أحمد نجل المرحوم المبرور الشيخ داود أفندي النقشبندی الخالدي عني عنهما
في ١٩ شوال سنة ١٣٠٨" .

وأنا أعلم علم اليقين أن هذه المجموعة قد دخلت بعد ذلك التاريخ في خزانة كتب
خالص بك من رجالات السلطان عبد الحميد الثاني المخلوع في عصرنا هذا . فإن
الخواجه شرمات وشركاه قد اشتروا هذه الخزانة أو معظمها منذ سنة أو أقل
من سنة من خالص بك المشار إليه .

وأعود لوصف نسخة "التاج" الموجودة في هذه المجموعة "الحلبيّة" فأقول
على وجه الإجمال : إنها تشترك مع (ص) في كثير من الزيادات التي تضمنتها ،
وتشارك مع (س) في بعض العبارات التي انفردت بها . (وحيث أنه هذه النسخ
الثلاث التي وقعت لي هي صادرة عن ثلاث أمهات أصلية متغايرة) .

أما هذه النسخة "الحلبيّة" فهي مكتوبة بقلم النسخ العادي الذي كان
مستعملاً في القرن التاسع الهجري . وهي تقع في ١٠٥ صفحات ، في كل صفحة
منها ١٧ سطرا . ولكنها مبتورة من آخرها . ذلك لأنها تنتهي عند قول الجاحظ :

”ولولا أن يطول كتابنا في إسحاق وذكره وحكيته (كذا) مناقبه لحكينا عنه أخبارا كثيرة ، وهى من هذا الجنس وفيما ذكرناه كفاية . والله أعلم بالصواب“ .

فهذه العبارة هى الواردة فى صفحة ١٧١ من طبعتنا . وإنما أضاف إليها الناسخ الحلبى قوله ”والله أعلم بالصواب“ ليختم الكتاب . وعلى ذلك تكون النسخة الحلبية ناقصة ١٥ صفحة من طبعتنا ، أى ١٧ صفحة من النسخة السلطانية ، أى ١٣ صفحة من نسخة آيا صوفيا .

ومما ينبغى إعادة التنبيه اليه أن هذه النسخة خلّو من العنوان . والأمر المهم فيها أنها تتضمن فى الصفحة الأولى نسبة الكتاب إلى الجاحظ . فإنها مصدرة بعد البسملة بهذه العبارة :

”قال الشيخ الإمام العالم العلامة ذو التصانيف المفيدة والمقاصد الحميدة أبر عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله“ .

والأمر الأهم فيما يعيننا أن آخر صفحة منها تتضمن أسم الكاتب لها وموضع نسخها والخزانة التى كانت بها . فقد ورد فيها مانصه بالحرف الواحد :

”بلغ المقابلة من هذا الكتاب بالمدرسة المعروفة بإنشاء الخوaja أمير حاج بن جنيد بآنقوس^(١) بحلب المحروسة ، فى السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة . وكتبه عبد الله بن عمر الشافعى“ .

(١) أنظر الرموز الفتوغرافى فى صفحة ٨١ وقد نقلناه عن الأصل بإذن صاحبه المسيو شمران .

(٢) بآنقوسا (بفتح النون كما فى ياقوت ، ولكن أهلها ينطقون به ساكنا الآن) هى قرية كبيرة كانت خارج سور حلب وفيها جامع قديم مشهور . وقد اتصلت العمارة بينهما حتى صارت الآن جزءا من المدينة . ولا تزال بها آثار تلك المدرسة ولكن أطلالها دارسة ، ومعالمها طامسة . وهى من المدارس المهجورة . وأنظر الرموز الفتوغرافى فى صفحة ٨٣ وقد نقلناه عن الأصل بإذن صاحبه المسيو شمران .

(٣) كلمة ”الشافعى“ قرأناها بالتحسين . وفى كتابها إبهام كثير فلذلك لا أضمن صحة القراءة .

فهذه العبارة الأخيرة لها فائدة كبيرة في التحقيق . لأنها تدل أولاً على أن هذا الكتاب كان معروفاً في سنة ٨٨٣ بأنه من تأليف الجاحظ ، ولأنها جاءت مؤكدة لما قاله ياقوت قبل ذلك بثلاثة قرون . من حيث إن الجاحظ كتاباً في أخلاق الملوك . فهذا هو السند التاريخي الذي تخيلناه في مباحثنا وتحقيقاتنا على ما يراه القارئ في "التصدير" حينما سقنا الدليل وراء الدليل على أن هذا الكتاب من تأليف الجاحظ بلا جدال ولا إشكال .

ومن سوء الحظ أن الناسخ الحلبي لم يضع لنا في أول نسخته اسم "التاج" ولا اسم "أخلاق الملوك" . فسواء كان الكتاب معروفاً في ذلك الوقت بهذا الاسم أو بذاك العنوان فلا ريب بعد هذه الشهادة التاريخية الثابتة ثبوتاً حاسماً في أن هذا الكتاب هو من كتب الجاحظ دون سواه . وكأن الأقدار أرسلت لنا هذا الدليل الناطق وهذا البرهان القاطع لتأييد البحث الذي سهرنا عليه الليالي وأوفيناه قسطه من التحقيق الدقيق حتى وصلنا إلى الغاية التي جاءت النسخة الحلبية مصدقة لها بما فيه تمام الإقناع ونهاية اليقين .

أ. زكي

رامـُوز

لكتاب أرسله لى أحد أفاضل العلماء المستشرقين بالروسيا، وهو الأستاذ
أغناطيوس كروثشوسكى : وقد كان قابلنى بالقاهرة وفاوضته فى شأن "التاج"
وغيره من نقائس المصنفات .

رأيتُ من الواجب إثبات هذا الكتاب على صورته الأصلية وبخط صاحبه ،
لكى يعرف قومنا مقدار عناية الأفرنج بآثار أجدادنا وتفانيهم فى البحث عنها . وإنى
أشكره على هذه العناية ، وأهنيّ على بلوغه فى فن الإنشاء العربى هذه الغاية

(كما تراه فى الصفحتين التاليتين)

جناب الاستاذ الفاضل والعالم المدقق الكامل

بعد الاحترام الوافر والسلام العاطر اعرض لمقامكم السامي انه قد
قضت على الظروف بمغادرة مصر ليلاً باسرع وقت ولذلك لم اتجاسر على
ازعاج خاطركم للشرىف ثانية حسب سابق الوعد . ها هنا ذا قد بسطت لكم
مذربي والعذر عند كرام الناس مقبول

قد وصلت الى بيروت وتطول اقامتى ههنا شهراً او تزيد حسب

الظروف فان الرياح تجري بما لا تشتهي السفن....

وبحثت في هذه الايام على قدر امكاني من كتاب التاج الذي ابرقوني

عن اكتشافه في محاورتنا الاخيرة ورايت ان له قدراً اهمّ مما كنت اراه

في الاول . وما وجدت كتاب التاج بين تاليفات الجاحظ ولكن صاحب الفهرست

يذكر كتاباً لابن المقفع تحت هذا العنوان (طبعة اوروبا ١١٨, ٢٨) ولا يبعد

ان يكون مهذب الكتابين واحداً ، مما يؤيد ذلك وجود كتاب بهذا الاسم

نفسه بين " الكتب التي ألفها الفرس في السير (راجع الفهرست ١١, ٣٥٥)

وعلى هذا الوجه ربما يكون كتابا الجاحظ وابن المقفع مستنديين على

الكتاب المذكور . وهذا كما لا يخفى على ذهنكم الوقاد من الاهمية بكان

وكيفما كان الحال فليس بين ايدينا حتى الآن شئ من كتابي الجاحظ

وابن المقفع اما كتاب التاج الفارسي فيذكره ابن قتيبة في عيون

الاخبار وقد جمع منفرغاته استاذنا المرحوم البارون رورين قبل طبع

يعين الانبارني مقالته المدربة في *Mélanges Asiatiques*
 وقد بحث عنه مطرلاً وأمد من تلامذته. *vol VII, 1885, p. 474 sq.*
 المستشرق الروسي *Kratchkovsky* في رسالته التي طبعت حديثاً في
Mémoires de l'Académie Impériale des sciences de St. Pétersbourg, VII série, vol. VII,
 # 13, p. 26-29. ولعل هذا الكتاب نفسه هو الذي ذكره المسعودي
 في كتاب التنبيه والاشراف (طبعة ليدن ١٦٠٥) وعلى كل حال فنحن
 في انتظار ظهور تقريركم المطرل عن هذه الاكتشافات الجديدة ذات
 الأهمية ولا شك أنه سيكون له صدق بعيد عند المستشرقين كما هو
 الجدير به .

وفي الختام التمس معذرة من جنابكم على الزماني خاطركم الشريف
 بهذا العجالة واطلب لكم من الله نجاحاً وتوفيقاً في امالكم كلها التي
 تخدمون بها العلم خدمة تذكركم فتشكر

ودمت لمحترمكم

Ign Kratchkovsky

بيروت في ١٢ شباط ١٩١١

Beirut (Syrie)

Consulat Impérial de Russie

كتاب التاج

جدول

بيان بعض المؤلفات التي نقلت عن كتاب "التاج"

المحاسن والمساوي	محاسن الملوك	مروج الذهب	تنبيه الملوك
ح ٢ ص ١٢	ح ٨ ص ١٣	ح ١ ص ١١	ح ٢ ص ١٦
ح ٥ ص ١٢	ح ٣ ص ١٤	ح ٣ ص ٢٣	ح ٤ ص ٥٥
ح ٤ ص ٥٥	ح ٢ ص ١٦	ح ٣ ص ٢٩	ح ٣ ص ٥٦
ح ٢ ص ٥٧	ح ٤ ص ٣٣	ح ٥ ص ٣٣	ح ٢ ص ٥٧
ح ٢ ص ٥٩	ح ٣ ص ٣٧	ح ١ ص ٥٣	ح ١ ص ٦٥
ح ٣ ص ٧٨	ح ٢ ص ٤٥	ح ٣ ص ٥٥	ح ٥ ص ٦٦
ح ٣ ص ٧٩	ح ٤ ص ٥٥	ح ٣ ص ٥٦	ح ٢ ص ٩٩
ح ٤ ص ٨١	ح ٣ ص ٥٦	ح ٣ ص ٥٧	ح ١ ص ١٢٢
ح ٢ ص ٨٢	ح ٢ ص ٥٧	ح ٢ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٨٠
ح ٣ ص ٨٣	ح ٢ ص ٥٩	ح ٤ ص ٥٩	ح ٣ ص ١٨٠
ح ١ ص ٨٨	ح ٣ ص ٧٣	ح ٢ ص ٦٠	
ح ٣ ص ٨٨	ح ٤ ص ٧٦	ح ١ ص ١١٢	
ح ٢ ص ٩١	ح ٣ ص ٧٨	ح ٣ ص ١٣٠	
ح ١ ص ٩٤	ح ٣ ص ٧٩	ح ٢ ص ١٣١	
ح ٢ ص ٩٩	ح ٢ ص ٨٢	ح ٣ ص ١٣٢	
ح ٥ ص ١٠٠	ح ١ ص ٨٨	ح ٥ ص ١٣٥	
ح ٣ ص ١٠١	ح ٢ ص ٩١	ح ٤ ص ١٧٦	
ح ٢ ص ١٠٢	ح ١ ص ٩٥		
ح ١ ص ١٠٤			

المحاسن والأضداد	العقد الفريد	الطبري	الأغاني	محاضرات الراغب
ح ٢ ص ٦٥	ح ٧ ص ٢٠	ح ٢ ص ٣٧	ح ٢ ص ٨٢	ح ٢ ص ٦٩
ح ٢ ص ٦٧	ح ٤ ص ٨١	ح ٢ ص ١٤٣	ح ٤ ص ١٣٤	
ح ٦ ص ٦٧	ح ٢ ص ٨٢			
ح ١ ص ٨٨				
ح ٣ ص ٨٨				
ح ١ ص ٩٧	ص ١٩٠	ح ٥ ص ١٤	ح ١ ص ١٢٢	ح ٢ ص ٥٨
ص ٢٠٠	ص ٢٠٢	ح ٤ ص ١٦٩		

بيان

الرموز المستعملة في هذه الطبعة

١ - الحروف

س يدل على النسخة السلطانية الموجود أصلها في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية .

ص « النسخة الموجود أصلها في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية .

س « سطر .

ص « صفحة .

ح « حاشية .

ج « جزء .

م « مكرر، إذا وضع وراء أحد الأعداد . (وحيث يدل على أن الكلمة

مكررة في الصفحة مرتين فأكثر).

[| هذان القوسان المربعان حصرتُ فيهما الكلام المكمل للثنى، وأشارت

في الحاشية إلى موضع النقل . وقد أحصر بينهما إضافات من عندى يستوجبها

المقام، وحيث لا أشير إلى شيء في الحاشية . أما الكلام المحصور بينهما في الحواشي

فيتضمن تنبيهات وبيانات من عندى .

٢ — الأرقام

الأرقام الصغيرة الموجودة على الهوامش الداخلية تدل على عدد السطور ، خمسة
خمس.

الأرقام المكتوبة في العلة (١١١١) على الهوامش الخارجية تدل على عدد الصفحات
في النسخة الأصلية (أى السلطانية التى أعتمدتها فى الطبع) .

أما أعداد الصفحات المتسلسلة ، فقد وضعت ما يختص بالتصدير فى أسفلها ،
وأما ما يختص بالكتاب نفسه وماحقاته وفهارسه ، فوضعت فى أعلى الصفحات مثل
المعتاد ، وذلك منعا للالتباس .

٣ — الحركات

هذه العلامة تدل على الشدة المكسورة ، كما أن = تدل على الشدة المفتوحة .

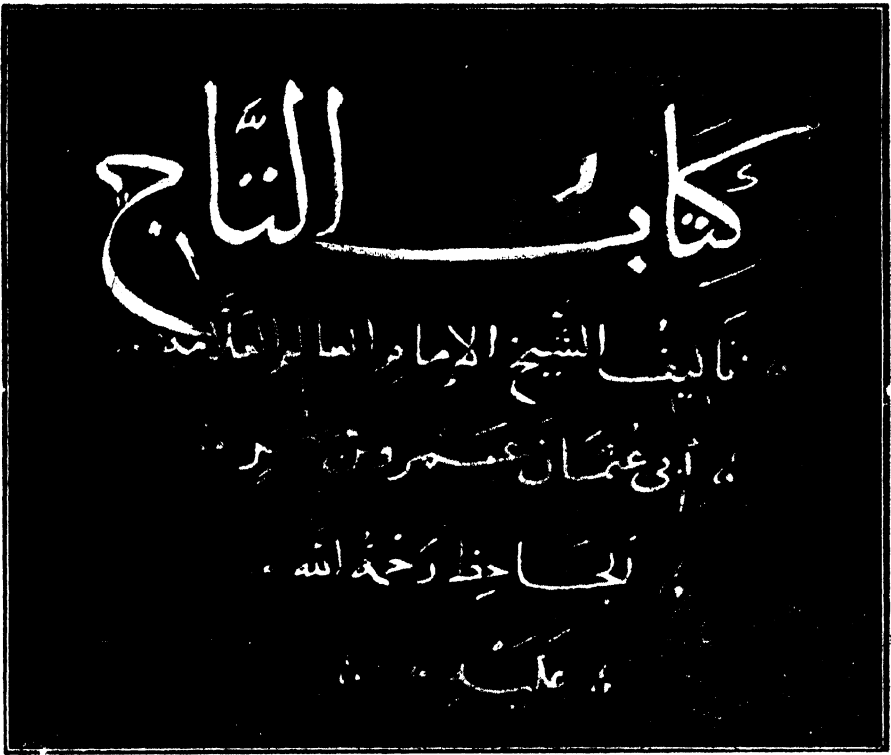
= » » » » بكسرتين ، كما أن = تدل على الشدة بفتحتين .

عن ألف الوصل - أضع فوقها دائما العلامة الخاصة بها (ء) . إلا إذا جاءت
هذه الألف فى أول الكلام ، فإننى أضع فوقها أو تحتها الحركة التى تستلزمها (فتحة
أو ضمة أو كسرة - و -) لئلا تكون ممثلة عن ألف القطع التى تكون الهمزة دائما
فوقها أو تحتها . وذلك لتعريف القارئ بأن هذه الحركة تسقط وتزول إذا اتصلت
ألف الوصل بحرف أو بكلمة قبلها .

عن الألف المهموزة - أضع الهمزة دائما فوقها أو تحتها للدلالة على أنها مفتوحة
أو مكسورة . فإذا كانت مضمومة أو ساكنة ، فإننى أضع فوق الهمزة علامة الضم
أو السكون .

٤ - ضبط الكلمات والأعلام

- ١ - إذا كان للكلمة ضبطان (أى صورتان من الحركات)، فإننى أعتد الضبط الأول الوارد فى كتب اللغة ، وكذلك الحال فى أوزان الأفعال ؛ اللهم إلا إذا كان مما يميّزه الذوق المصرى العصرى .
- ٢ - الأعلام التاريخية والجغرافية ، ضبطتها بحسب القول الأول أو الأشهر ، معتمدا على المصادر المعتمدة



(الرموز الاول)

تمثل فيه طرة النسخة السلطانية (المرموز لها في حواشى هذه الطبعة بحرف سه)

وهذه النسخة محفوظة بخزانة طوب قيو بالقسطنطينية ، رقم ١٣٣ أدب .

كتاب التاج
في امور الدنيا
اخلاق الملوك
تصنيف ابي عثمان عمرو بن بحر
المشهور بابي الجاحظ تغمد الله
بغفرانه ورضوانه



دور مع السجدة العظمى وحسنات
الكبرياء والبرهان
الحمد لله الذي جعل
العلم راحة النفس
والعلم راحة النفس

(الرموز الثاني)

تمثل فيه طرة النسخة الثانية المحفوظة بخرانة آياصوفيا تحت رقم ٢٨٢٧
وهذه النسخة هي الرموز للمجاهظ صه في هذه الطبعة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ ابْنُ رُوَيْزٍ عَلَى يَدَيْكَ وَمَلَكَكَ مَا خَتَّ أَحْوَجُ
 مِنْهُ وَأَرْحَ آلَ سَاسَانَ مِنْ جَبْرِتِهِ وَعُتُوهُ وَنَجَّلَهُ وَنَكَّبَهُ
 فَانَّهُ مِمَّنْ كَانَ يَأْخُذُ بِالْحَمْدِ وَيَقُولُ بِالْحُسْنِ وَيُحْيِي الْبَرِيَّ وَيُجْلِي
 بِالْهُمُومِ فَقَالَ سَبْرُونِي لِلْحَاجِبِ أَخْلَهُ إِلَى نَجْلِ فَقَالَ لَهُ
 كَمْ كَانَتْ أَرْزَاقُكَ فِي حَيَاةِ ابْنِ رُوَيْزٍ قَالَ كُنْتُ فِي كَهَيَاةٍ مِنَ الْعَيْشِ
 قَالَ فَمَنْ زَيْدٌ فِي بَرِّ رِزْقِكَ الْيَوْمَ قَالَ مَا زَيْدٌ فِي رِزْقِي شَيْءٌ
 قَالَ فَهَلْ أَوْزَكَ ابْنُ رُوَيْزٍ مَا نَصَرْتَ مِنْهُ بَمَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِكَ
 قَالَ لَا قَالَ فَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوُقُوعِ فِيهِ وَلَمْ يَقْطَعْ عَنْكَ رِزْقًا
 وَلَا دَرْكًا فِي نَفْسِكَ وَمَا لِلْعَانَةِ وَالْوُقُوعِ فِي الْمُلُوكِ وَهُوَ
 رَجِيءٌ فَأَمَّا ابْنُ رُوَيْزٍ لِسَانَهُ مِنْ قَتْلِهِ وَقَالَ عَفْوًا بِمَا عَالَ
 أَنَّ الْحُرَّ جُرَّ مِنَ الْبَيَانِ بِمَا لَا يَحِبُّ وَحَدَّثَنِي
 صَاحِبُ رِجَالٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ لَمَّا أَتَى رَأْسَ
 ابْنِ رَهْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَوَضَعَ يَدَيْهِ حَتَّى بَعَضَ أَوَّلَ الْإِصْبَعِ
 الزَّوْدِيَّةِ فَضَرَبَ الرَّأْسَ بِمَعُودٍ كَانَ فِي يَدِهِ فَقَالَ
 الْمَنْصُورُ لِلْمُسْتَبْدِ دُونَ خُفَّةٍ قَدْ دَانَ الْمُسْتَبْدُ أَنْفَقْتُمْ قَالَةَ

(الراموز الثالث)

نتمثل فيه إحدى صفحات النسخة السلطانية (وهي صفحة ٩٣ من الأصل ،

و يقابلها صفحة ١٠٩ - ١١١ من هذه الطبعة) .

٢٩

الآن وعرفت غرضه فقلت أخذ سبعين وكرث ثلثون قال شاك فافتر
سبعين بدع وانصرف ملك الموت عن الدار قال وكان الرشيد
في اخلاق ابي جعفر عظمها كلها الا في العطايا فانه كان يتقوا فعلم
ابي العباس والمهدي ومن اخبرك انه رأى يشرب الخمر فاذبه وكان
لا يحضر شربه الا خاص جواريه ومن اطرب الغناء فتحرّك حركة بين
الحركتين في القلعة والكثرة ومن بين خلفاء بني العباس من جعل
للضيّين مراتب وطبقات على ما وضعهم اردشير وانوشروان وكان
ابراهيم واسماعيل وزلز في الطبقة الاولى وكان زلز يفرّج نفسي
هدان عليه والطبقة الثانية سليمان بن سلامه وعمر والعزال ومن
اشبههما والطبقة الثالثة معاذ المعازف والزنج والطناير
وعلى قدر ذلك كانت تخرج جواريتهم وهلاتهم وكان فاوول
واحد من الطبقة الاولى بائنا لكثير الغداير جعل لصاحبه الذين
معد في الصنعة نصيبا منه وجعل للطبقتين الكثير تليانه منه

(الراموز الرابع)

تمثل فيه إحدى صفحات النسخة المحفوظة في آياصوفيا (وهي صفحة ٢٩ ،

و يقابلها صفحة ٣٧ - ٣٩ من هذه الطبعة) .

بسم الله الرحمن الرحيم

لبس

قال الشيخ الامام العالم العلامة
ذو التصانيف المفيدة والمقاصد الحميدة
ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخر وهو الحكيم
الكبير **١** احد على تنابع الآيه وتواشر نعمائه وترادف منته واستوفقت
لما يرضيه ويرضى فيه **٢** واشهد ان لا اله الا الله الذي لا يشبهه ولا ينظير
الذي جل عن الاجزاء والتبعض والتحديد والتمثيل **٣** والملك والملكوت
والثقل والرواك **٤** والتصرف من حال المحاك **٥** لا اله الا هو الكبير
المتعال **٦** اما بعد فان الذي جذا لنا على وضع كتابنا هذا مطران فها ان
الله عز وجل لما خضع الملوك كبرامته والكرهم بسلطانه ومكن لهم في البلاد **٧**
وخولهم امر العباد **٨** اوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيرهم **٩**
كما اوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع **١٠** لم فقال في حكم كتابه وهو
الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال
عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومنها ان اشتر
العامة وبعض الخاصة ما كانت تحمل الاقسام التي يجب للملكها عليها
وان كانت متشكة بحملة الطاعة حضرننا اذ ابصا في كتابنا هذا لان جملة

عياالك فبذت في العدة فالك كذبت فبعت وقال يانفس من
 اين علم اني كذبت فانت سئدة لا اجترى على كلامه ثم رفعت اليه
 رفعة اخرى في اجرا الرزق فقال كم عياالك فقلت اربعة فقال
 صدقت فوقع في حاشيتي بخري على عياله كذا وكذا ولو لا ان يطول
 الكتاب في اسحق وذكره وحسينا منا قبله لحسينا عنه اخبارا كثيرة
 وهي من هذا الجنس وبما ذكرناه كفاية والله اعلم بالصواب

المع القابلة من هذا
 المذمة للعود بانها
 ليراجع جندبنا نوما جلدنا في السادس
 فبعض من هذا في نصوصه في السادس

(الرموز السادس)

تمثل فيه الصفحة الأخيرة من النسخة الخليفة

(أنظر صفحة ١٧١ من طبعنا)

کتاب التاج
للجاحظ
بمحقق أحمد زکی باشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

”الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ.“

(١)
أحمدُه على تتابع آلائه، وتواتر نعمائه، وترادف مننه، وأستهديه وأستوفقه لما يرضيه ويرضى فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا شبهة له ولا نظير، الذي جلّ عن الأجزاء والتبعيض، والتحديد والتثليل، والحركة والسكون، والثقل والزوال، والتصرف من حال إلى حال. لا إله إلا هو الكبير المتعال!

* وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأمينه ونجيّه! إبتعته على قرة من الرسالة وطُموس من الهداية ودروس من شرائع الأنبياء والمرسلين ”لِيُنذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ“ والعربُ تَدُّ أولادها وتتسافك دماءها وتتباوح أموالها وتعبدُّ الآلات والعُزى ومَناةَ الثالثة الأخرى. فصعد بأمر ربّه، وجاهد في سبيله، ودعا إلى معالم

(١) هذه الكلمة مأخوذة عن صه.

(٢) الوارد في صه: ”تناوح“. ولما كان السياق يدل على التناهب وأستباحة الأموال، فلذلك صححت الكلمة بردها إلى مادة (ب وح). قال في لسان العرب: ”والإباحة شُبّهُ التَّهْيِ، وقد أَسْتَبَاحَهُ أَيْ أَنْتَبَهَهُ“.

على أني لم أعر على هذا الحرف مستعملاً بصيغة التفاعل.

دينه، وجاء بما أعجز الحق والإنس أن يأتوا "يُمثِّلُهُ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا." فصلَّى الله عليه وعلى جميع المرسلين! وخصَّه بصلاة من نوافله دون العالمين! وعليه السلام ورحمة الله وبركاته! ^(١)

أما بعد،

فإن الذي حدانا على وضع كتابنا هذا معانٍ :

منها أن الله (عز وجل) لما خصَّ الملوك بكرامته، وأكرمهم بسلطانه، ومكَّن لهم في البلاد، وخولهم أمر العباد، أوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيهم وتقريضهم، كما أوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لهم. فقال في مُحْكَم كتابه: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ،" وقال عز وجل: "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ." ^{١٠}

ومنها أن أكثر العاقبة وبعض الخاصة، لما كانت تجهل الأقسام التي تجب للملوكها عليها - وإن كانت متمسكة بمجئلة الطاعة - حصرنا آدابها في كتابنا هذا لنجعلها قدوة لها وإماماً لتأديتها. ^(٢)

وأيضاً فإن لنا في ذلك أجرين: أما أحدهما فلما نبهنا عليه العامة من معرفة حق ملوكها، وأما الآخر فلما يجب من حق الملوك علينا من تقويم كل مائل عنها وردَّ كل نافر إليها. ^{١٥}

ومنها أن سعادة العامة في تجميل الملوك وطاعتها، كما قال أردشير بن بابك: "سعادة الرعية في طاعة الملوك، وسعادة الملوك في طاعة المالك."

(١) الفقرتان المحصورتان بين نجمتين * مأخوذتان عن ص ٥.

(٢) في ص ٥ لتأديتها.

ومنها أن الملوك هم الأئس، والرعية هم البناء، وما لأئس له مهدوم.
ومنها أنا ألقنا كتاباً قبل كتابنا هذا، فيه أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة،
وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا وأحرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يجب
للملوك من ذكر أخلاقها وشيمها، إذ فضلها الله على العالمين، وجعل ذكرها في الباقيين
إلى يوم الدين.

ألا ترى حين ذكر الله تعالى الأمم السالفة والقرون الخالية، لم يقصد من ذكرها
إلى وضع ولا خامل؟



بل قال تعالى حكاية عمن مضى منهم : ”رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصَلَّوْنَا
السَّبِيلَا،“ وقال تبارك اسمه : ”اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.“
وقال جلَّت عظمتة : ”أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ،“
وقال جلَّ وعلا : ”وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ
فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَأَنَا نُّكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.“
وقال تقدست أسماؤه : ”إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً.“

وقال تبارك وتعالى : ”قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُدِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.“
وقال عز وجل ، وقد بعث موسى عليه السلام إلى أعبي خلقه وأشدهم عنوداً
وصدوفاً عن أمره : ”إِنهْبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لَيْتَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
أَوْ يَخْشَى.“

(١) فسرهما في صـ بالشجاعة . وحينئذ تكون مماثلة للفظلة Héroïsme عند الفرنسيين .

(٢) في صـ : طبعنا .

فَلْيَنْفَعِ الْحُكَمَاءَ هَذِهِ الْأَعْجُوبَةُ الَّتِي وَصَلَتْ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى! فَإِنَّ فِيهَا حِكْمَةً عَجِيبَةً وَمَوْعِظَةً بَلِيجَةً وَتَنْبِيْهًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنْ شَبَابَةَ عَنْ وَرْقَاءَ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ^(١) عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "قُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا" قَالَ: كَنِيَّاهُ. ^(٢)



وَأَمَّا أَمْرُهُمَا بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمُلُوكَ - وَإِنْ عَصَى أَكْثَرُهُمَا - فَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُدْعَى إِلَى اللَّهِ بِأَسْهَلِ الْقَوْلِ وَأَلْيَنِ اللَّفْظِ وَأَحْسَنِ الْمَخَاطَبَةِ. فَإِذَا كَانَ هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي الْعَاصِي مِنَ الْمُلُوكِ وَالَّذِينَ آذَعُوا الرُّبُوبِيَّةَ وَجَحَدُوا الْآيَاتِ وَعَانَدُوا الرُّسُلَ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهَا، وَحَفِظَ شَرَائِعَهُ وَفَرَائِضَهُ، وَقَلَّدَ مَقَامَ أَنْبِيَائِهِ، وَجَعَلَهُ الْحُجَّةَ بَعْدَ حُجَّتِهِ، وَفَرَضَ طَاعَتَهُ حَتَّى قَرَنَهَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فَرَأَيْنَا - إِذْ أَخْطَأْنَا فِي تَقْدِيمِنَا أَخْلَاقَ أَهْلِ الْبَطَالَةِ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا بَعْضُ الْآدَابِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الشَّرَفِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ - أَنْ تَتَلَفَّى مَا فَرَطَ مِنَّا بِوَضْعِ كِتَابٍ فِي أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ وَخَصَائِصِهَا الَّتِي هِيَ لَهَا فِي أَنْفُسِهَا، وَأَنْ نُخَصَّ بِوَضْعِ كِتَابِنَا هَذَا الْأَمِيرَ الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: إِذْ كَانَ بِالْحِكْمَةِ مَشْغُوفًا، وَعَلَى طَلِبِهَا مَثَابِرًا، وَفِيهَا وَفِي أَهْلِهَا رَاغِبًا، لِيَبْقَى لَهُ ذِكْرُهُ وَيَحْيَا بِهِ أَسْمُهُ، مَا بَقِيَ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقَ وَالْإِيعَانَةَ!

إهداء الكتاب

(١) فِي صَم: حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنْ مُقَدِّمٍ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ . وَكُلُّهُمْ مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ [

(٢) فِي هَامِشِ صَم: "وَكَانَ لَهُ ثَلَاثُ كُنَى: أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو الْوَلِيدِ وَأَبُو مَرْثَةَ" . وَأَنْظَرَ كَتَبَ التَّفْسِيرِ،

وَأَنْظَرَ "الْمُسْتَظَرَفُ فِي كُلِّ فَنٍّ مُسْتَظَرَفٌ" لِلأَبَشَيْسِيِّ (ج ٢ ص ٤٤) .

(١) الفاتحة

* وبعد، فإن أكثر كلامنا في هذا الكتاب إنما هو على من دون الملك الأعظم .
إذ لم يكن في استطاعتنا أن نصف أخلاقه، بل نعيّز عن نهاية ما يجب له لو رُمنا
شرحها . وأيضا فإن من تكلف ذلك بعدنا من الناس بأقصى تكلف وأغور ذهن
وأحد فكر، فلعله أن يعتذر بمثل اعتذارنا .

وليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية تقوم في وهم، ولا يُحيط بها فكر. وأنت تراها
تتردد مذ أول ملك الدنيا إلى هذه الغاية . ومن ظن أنه يبلغ أقصى هذا المدى،
فهو عندنا كمن قال بالتشبيه مثلا، وبالجمسم معارضة^(٢) .

ولعل قائلًا يقول، إذا رأنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين

من آل ساسان وملوك العرب : " قد ناقض واضع هذا الكتاب، إذ زعم أنه ليس
لأخلاق الملك الأعظم نهاية^(٣) . " فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال . وأولئك الملوك
هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النمط الأعلى . أنت تجد ذلك عيانا وتشهده عينك^(٤)
بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقوله من نظر في سير من مضى وسير من شاهد .
وبالله التوفيق ! *

(١) وضعنا هذا العنوان لل فقرات الثلاث التالية له المحصورة بين نجمتين * وكلها منقولة عن ص ١٥

(٢) في الأصل وهو ص : كما .

(٣) في الأصل وهو ص : وتُشهد عليك بيانا .

باب

في الدخول على الملوك وفيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه



الاشراف
وسلامهم وقعودهم
وأنصرافهم

(١) إن كان الداخل من الاشراف والطبقة العالية، فمن حق الملك أن يقف منه بالموضع الذي لا يئأى عنه ولا يقرب منه، وأن يسلم عليه قائماً. فإن استنداه، قُرب منه فأكب على أطرافه يُقبّلها. ثم تنحى عنه قائماً حتى يقف في مرتبة مثله. فإن أومأ إليه بالعود، قعد، فإن كلمه، أجابه بأنخفاض صوت وقلة حركة، وإن سكت، نهض من ساعته قبل أن يتمكن به مجلسه بغير تسليم ثانٍ ولا انتظار أمرٍ.

الواسط
وسلامهم وقعودهم
وأنصرافهم

وإن كان الداخل من الطبقة الوسطى فمن حق الملك إذا رآه، أن يقف وإن كان نائياً عنه. فإن استنداه، دنا خطى ثلاثاً أو نحوها، ثم وقف أيضاً. فإن استنداه، دنا نحواً من دُنُوهِ الأول، ولا ينظر إلى تعب الملك في إشارة أو تحريك جارحة. فإن ذلك، وإن كان فيه على الملك معاناة، فهو من حقه وتعظيمه.

(٣) وإن كان دخوله عليه من الباب الأول يقابل وجه الملك ويحاذيه. وكان له طريق عن يمينه أو شماله. عدل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه ثم انحرف نحو مجلس الملك، فسلم قائماً ملاحظاً للملك. فإن سكت عنه، أنصرف راجعاً من غير سلام

(١) أى الداخل.

(٢) صه: لفت.

(٣) هكذا في سه، صه. والمعنى واضح في أن الدخول يكون من أول باب يقابل وجه الملك. ولذلك لم نزوجها لزيادة لفظ "الذي" أو وضعه مكان "الأول".

(٤) صه: عن.



ولا كلام. وإن استنداه، دنا خطي وهو مطرق ثم رفع رأسه. فإن استنداه، دنا خطي أيضا ثم رفع رأسه حتى إذا أمسك الملك عن إشارة أو حركة، وقف (في ذلك الموضع الذي يقطع الملك فيه إشارته) قائما. فإن أوما إليه بالعود، قعد مقيعا^(١) أو جاثيا. فإن كلمه، أجابه بانخفاض صوت وقلة حركة وحسن استماع. فإذا قطع الملك كلامه، قام فرجع التهقري. فإن أمكنه أن يستتر عن وجهه بجدار أو مسلك لا يجاذيه إذا ولي، مشى كيف شاء.

استقبال الملك
للساوين له
وتشيمهم

وعلى الملك - إذا دخل عليه من يساويه في السلطان والتبع والعز والولادة والبيت - أن يقوم فيخطو إليه خطي ويعاقله، ويأخذ بيده فيقعه في مجلسه ويجلس دونه. لأن هذه حال يحتاج الملك إلى مثلها من الداخل عليه، إذا زاره. فإن بحسه حظّه ومنعه ما يجب له، لم يأمن الملك أن يفعل به مثل ذلك. ومتى فعل كل واحد منهما بصاحبه ما هو خارج عن النواميس والشرائع، تولد من ذلك فساد وحدثت ضغائن بين الملوك يقع بسببها التباغض والتعادى والتحاسد. وإذا اجتمع ذلك في المملكة، كان سببا للحوار وداعية إلى التحارب.



وعلى الملك - إذا أراد هذا الذى قدمنا صفته الانصراف - أن يقوم معه إذا قام، ويدعو بذاتة ليركب حيث يراه، ويشيعه ماشيا قبل ركوبه خطي يسيرة، ويأمر حشمه بالسعى بين يديه.

(١) سر: "مقعا" بدون إيراد "جاثيا" التى تليها. وأقع الرجل رأسه نصبه أولا يلتفت يمينا ولا شمالا وجعل طرفه موازيا. (قاموس). [وأنظر صفحة ٢٢ من هذا الكتاب].

(٢) صه: الشربة.

(٣) صه: خدمه.

وعلى هذا كانت أخلاق آل ساسان من الملوك وأبنائهم. وبهذه السياسة أخذهم أردشير بن بابك. فلم تزل فيهم حتى ملك كسرى أبروز فغيرها. فكان مما اعتد عليه شيرويه، أبنه، في ذكر مثالبه ومعابه. ^(١)

وقد قلنا إن من حق الملك أن لا يطيل أحد عند القعود. فإن أخطأ مخطئ في ذلك، فمن إذن الملك له بالانصراف أن يلحظه. ^(٢) فإذا عرف ذلك فلم يقم، كان ممن يحتاج إلى أدب، وكان الذي وصله بالملك ظالماً له ولنفسه.

(١) أبروز هذا كاتبه النبي يدعو للإسلام فزق كتابه وقال: "يكتب لي هذا، وهو عبدى؟" فدعا عليه النبي بتمزيق ملكه. استبد فارس فوثب عليه أبنه شيرويه (وهو أيضاً شيرى) فحبسه وأرسل إليه ينهى عليه ما ارتكبه من المثالب والمعايب في رسالة "خشنة يقطر منها الدم في تقريره بأفاعيله" ثم قتله. وأرسل شيرويه بعد أن جلس على سرير الملك كتاباً إلى النبي في جلته: "أما بعد فإنني قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتمجيرهم في ثغورهم" [وتجبر العساكر حبسهم في أرض العدو وعدم إرجاعهم إلى وطنهم]. هذا ولكن شيرويه لم يظفر بالملك بعد أبيه سوى ستة أشهر فمات بعلّة أفاض المؤرخون في وصفها. ومن غريب الاتفاقات التي لاحظها كتاب العرب أن الملك الذي يقتل أباه لا يمضى عليه في الملك سوى ستة أشهر فقط، كما حصل ليزيد بن الوليد بن عبد الملك الأموي، وكما حصل المنتصر العباسي.

ومن غريب الاتفاقات أيضاً أن المنتصر هذا قتل أباه المتوكل في نفس الموضع المعروف بالماخورة الذي قتل فيه شيرويه أباه كسرى أبروز، وأن المنتصر جلس في بعض الأيام على بساط فاخر مزدان بالنقوش. ومن جملة ما فيه صورة شيرويه على رأسه التاج كأنه ينطق وتحته ماتعريه: "صورة شيرويه القاتل لأبيه أبروز الملك. ملك ستة أشهر". وكان من جملة الصور أيضاً صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ومكتوب عليها ماتعريه: "صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قاتل ابن عمه الوليد. ملك ستة أشهر". وقد أمر بعض المقرئين بإحراق هذا البساط النفيس حتى لا يتفطن الخليفة لما فيه من العبرة، ولكن أبى الله إلا أن يكون ثالث الثلاثة.

(التفاصيل في "غرر أخبار الفرس" ص ٧١٢-٧٣٨؛ والطبرى سلسلة ص ١٠٤٣، ١٠٦١، ١٠٧٤، ١٠٧٥ وسلسلة ص ٣، ٤٩٦؛ وآبن الأثير ج ١ ص ٣٦١؛ والمسعودي ج ٧ ص ٢٩٣ وما يليها؛ وفي "المحاسن والمساوي" ص ٥٩٢-٥٩٣). وفيه أيضاً أن أبروز أنتم لنفسه قبل أن يموت فوضع ثماً في حقه وكتب عليها ما يفرى الإنسان بالتناول مما فيها. فلما رآها شيرويه تعاطى منها فكانت علته التي أعقبا هلاكه (ص ١٣٨) [وأظر ص ١٠٩ من هذا الكتاب]

(٢) في سه، ص: "فن إذن له الملك بالانصراف أن يلحظه". وقد صححت الرواية ليستقيم الكلام.

باب في مطاعمة الملوك

تحقيق الاكل
بحضرة الملك

ومن حق الملك - إذا تبدل مع أحد وأنس به حتى طاعمه - أن لا ينسب بين يديه في مطعمه. فإن في ذلك خلافاً مذمومة:

منها، أن أنبساطه يدل على شرهه؛

ومنها، أن في ذلك سوء أدب وقلة تمييز؛

ومنها، أن فيه جُرأة على الملك بسط اليد ومدّها وكثرة الحركة.

❦

وليس في كثرة الأكل مع الملك معنى يُحمد، إلا أن يكون الأكل كميسرة التّراس أو حفص الكيال^(١)، الذين إنما يحضرون لكثرة الأكل فقط. فأما أهل الأدب وذوو المروءة، فإنما حظّهم من مائدة الملك المرتبة التي رفعهم إليها والأنس الذي خصّهم به.

(١) أورد المسعودي هذين الاسمين هكذا: "ميسرة التّمار" و"حاتم الكيال". وسمى طابع الابشيشي أولها "ميسرة البراش". وقد أوردنا، هما والراغب الإصفهاني، نوادر كثيرة لطيفة لمشاهير الأكلة تكفي بالإشارة إلى مواطنها للرجوع إليها. ونذكر فقط أسماءهم بالترتيب، فهم: أبو الحسن بن بكر الصّلاف الشاعر، أبو العالية، أبو مروة، أحمد بن أبي خالد الأحمول، أحمد بن أبي دؤاد، إسحاق الحماني، بسرة الأحمول، بلال بن أبي بردة، الحجاج بن يوسف الثقفي، حفص (أو حاتم) الكيال، درواس، ذورق القصاب، زهمان، سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي)، الفادل الأيوبي (سلطان مصر)، عبيد الله بن زياد بن أبيه، عمرو بن معد يكرب، قاسم التمار، قف الملقم، محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي، مزود، نعاوية بن أبي سفيان (الخليفة الأموي)، ميسرة (البراش أو التّراس أو التّمار)، هلال بن الأسعر، هلال بن سعد المازني، هلال بن مسعر التيمي، وزوجته، الواثق (الخليفة العباسي). (أنظر "العقد الفريد" ج ٣ ص ٣٨٤-٣٨٦؛ و"مروج الذهب" طبع

باريس ج ٥ ص ٤٠١ و ٤٠٢ وج ٦ ص ٢١٥-٢١٨، وج ٧ ص ١٧٠، وج ٨ =

* قال: وحدثني إبراهيم بن السندی [بن شاهك] عن أبيه، قال: دخل شاب من بني هاشم على المنصور، فاستجلسه ذات يوم ودعا بغيره، وقال للفتى: أدنه. فقال الفتى: قد تغذيت، فكف عنه الربيع حتى ظننت أنه لم يفتن لخطاه. فلما نهض للخروج، أمهله. فلما كان من وراء الستر، دفع في قفاه، فلما رأى الحجاب ذلك منه، دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار. فدخل رجال من عمومة الفتى فشكوا الربيع إلى المنصور. فقال المنصور: إن الربيع لا يقدم على مثل هذا، إلا وفي يده حجة، فإن شتم أغضيت على ما فيها، وإن شتم سألته وأتم تسمعون. قالوا: فسله! فدعا الربيع، وقصوا قصته. فقال الربيع: "هذا الفتى كان يسلم من بعيد وينصرف، فاستدناه أمير المؤمنين، حتى سلم عليه من قريب، ثم أمره بالجلوس. ثم تبدل بفضيلة المرتبة التي صيره فيها أن قال حين دعاه إلى طعامه: "قد فعلت." وإذا ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين إلا سدة خلّة الجوع. ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل".*

= ص ١١٠؛ و"كتاب البخلاء" للجاحظ ص ٢١٥ و ٢١٦؛ و"الأغانى" ج ٢ ص ١٨١ - ١٩٠؛ و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" ج ١ ص ١٢٧؛ والفصل السادس من الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثاني من "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويرى؛ و"المستطرف" ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥؛ و"مطالع البدور في مآزل السرور" ج ٢ ص ٥٧؛ و"محاضرات الراغب" ج ١ ص ٣٩٢؛ والطبرى سلسلة ٣ ص ١٤٠٤؛ و"بدائع الزهور" لأبن عباس (جزء ١ ص ٧٧) و"شرح المقامات" للشرى ج ١ ص ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٤٢؛ وكذلك "الأغانى" (في فهرسه عن بعض الأسماء التي أوردناها). هذا وقد صنف المداينى كتاباً في "أخبار الأكلة" ذكره "صاحب الفهرست" ص ١٠٤ ولم يصل إلينا سوى اسمه فيما أعلم.

(١) ذكره في "تاج العروس" في مادة س ن د، وأورد له شعراً.

(٢) هو محمد بن عيسى بن على الهاشمى كما في "المحاسن والمساوى".

(٣) أى الفتى. | وروى الجاحظ هذه الحكاية بهذه الألفاظ عن إبراهيم بن السندی عن أبيه في كتاب "البيان والتبيين" ج ٢ ص ٣٨ - ٤٨ |

(٤) أى الخليفة.

(٥) هذه الفقرة المحصورة بين النجمتين * منقولة عن صه. وقد أوردتها صاحب "المحاسن والمساوى"

بعبارة أخرى (ص ١٧٢).

حدثني أحمد بن عبد الرحمن الحراني^(١)، قال: "كنتُ أحضر على ما ئدة إسحاق^(٢) ابن إبراهيم، أنا وهاشم ابن أنس الأبرد والناقدى. فكنتُ أعدُّ على ما ئدته ثلاثين^(٣) طائراً. فأما الحُلُو والحامض والحار والقار، فأكثر من أن أحصيه. فلا نرأى من ذلك كله إلا مقدار ما يأكل الطائر. إنما نكسر الخبز بأظفارنا. "قلتُ: فما كان يُنشِطكم؟ قال: لا، ولو فعل ما فعلنا. قال: فما هو إلا أن تتوارى عن عينه حتى نتهب.

وكذلك يجب للملك أن لا يشره أحدٌ إلى طعامهم، ولا يكون غرضه أن يملأ بطنه وينصرف إلى رحله: إلا أن يكون الآكل أخا الملك أو ابنه أو عمه أو ابن عمه، أو من أشبه هؤلاء، ويكون أيضاً ممن يقصر بعد الأكل^(٤) ويطيبل المنادمة، ويجعل ما يأكل غذاء يومه وليلته، إذ كان لا يمكنه الانصراف متى شاء.^(٥)

وكانت ملوك فارس، إذا رأت أحدًا في هذه الحال التي وصفنا من شره المطعم والنهم، أخرجوه من طبقة الحد إلى طبقة الهزل، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار والتصغير.

عقوبة الشره
عند الفرس

(١) سم: عبد الرحيم. ورواية صه ربما كانت أصح، فقد ذكر الطبري رجلاً بهذا الاسم (سلسلة ٣ ص ٢٣٨١) ووصفه بالراوى.

(٢) هو الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعبى حاكم بغداد في أيام المأمون والمنصور والواقع وهو الذى سجد ذكره كثيراً في هذا الكتاب.

(٣) سم: "الحراني قال كنت أعد على ما ئدة ثلاثين". والتكميل عن صه.

(٤) صه: والبارد.

(٥) أى: نُصيب منه. يقال: إنه لقليل الرزق من الطعام، أى قليل الإصابة منه. (تاج العروس)

(٦) بينه.

(٧) صه: "هؤلاء ولا يكون إلا من يقم بعد الأكل".

(٨) روى هذه الآداب بزيادة وباختصار في "محاسن الملوك" (ص ٢٩) وأورد فيها قولهم: "موائد

الملوك للشرف وللشرف".

والملك - وإن بسط الرجل لظعامه - فمن حقه على نفسه وحق الملك عليه أن لا يترك استعمال الأدب ولا يميل إلى ما تهوى طبيعته، فإنه من عرف بالشرة، لم يجب له أسم الأدب، ومن عرف بالنهم، زال عنه أسم التميز.

وإذا وضع الملك بين يدي أحد طعاماً، فليعلم ذلك الرجل أنه لم يضعه بين يديه ليأتي عليه، بل لعله - إن كان لم يقصد بذلك إلى إكرامه أو مؤانسته - أن يكون أراد أن يعرف ضبطه نفسه، إذا رأى ما يشتهى من بسطه لها.

وحسب الرجل - إذا أتمخفه الملك بحففة على مائدته - أن يضع يده عليها. فإن ذلك يجرئه ويزيد في آدابه.

ألا ترى إلى معاوية بن أبي سفيان حين وضع بين يدي الحسن عليه السلام دجاجة فقثما، نظر إليه معاوية فقال: هل كان بينك وبينها عداوة؟ فقال له الحسن: هل كان بينك وبين أمها قرابة؟

بين معاوية والحسن
أين على بشأن
دجاجة



(١) ص: ويجب على الرجل.

(٢) أى يكفيه.

(٣) أورد صاحب "مآسن الملوك" هذه الآداب المتقدمة مختصرة في باب أدب مواكلة الملوك. (ص ٢٩)

(٤) س: "بين يدي سيد جليل دجاجة".

(٥) ص: "وبين أمها".

وقد روى هذه الحكاية صاحب "المستطرف" وعلق عليها بقوله: "أراد معاوية أن الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك، والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة". (ج ١ ص ٢١٣)

(٦) تغدئ رجل مع بعض الرؤساء، فقدم إليه جدياً، ففجس يمينه فيه. فقال له الرئيس: إنك لتزفه حتى كأن أباه نطحك! فقال له: وأنت تشفق عليه كأن أمه أرضعتك، ففجل وأقطع. (أنظر "مطالع البدر

في منازل السروى" ج ٢ ص ٥٢)

ضياقات معاوية
في عاصمته وسائر
قواعد مملكته

إن هذا الكلام الذي دار بينهما فيه قروح^(١) في قلب كل واحد منهما ، ومعاوية لم يقل هذا القول ، لأنه كان يعظم عليه قدر الدجاجة .

فكيف يكون ذلك ، وهو يكعب إلى أطرافه وعماله وإلى زياد بالعراق بالطعام السابلة والفقراء وذوى الحاجة ، وله في كل يوم أربعون مائدة يتقسمها وجوه جند الشام ؟ ولكن علم أنت من حق الملك توفير مجلسه وتعظيمه ، وليس من التوفير والتعظيم مد اليه وإظهار القرم وشدة التهم وطلب التبشيع بين يدي الملوك وبحضرتها ، وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم من لدن أردشير بن بابك إلى يزيد جرد^(٢) .

إخبار سابور لرجل
رسمه لقضاء القضاة

ويقال إن سابور ذا الأكتاف^(٤) ، لما مات مؤبدان مؤبد^(٥) ، ووصف له رجل من كورة إصطخر ، يصلح لقضاء القضاة في العلم والثأل والأمانة ، فوجه إليه ، فلما قدم ، دخل عليه . ودعا بالطعام ودعاه إليه . فدنا فأكل معه . فأخذ سابور دجاجة فنصفها .

(١) معناه جرح . وفي سـ : ” قدح “ .

(٢) هو زياد ابن أبيه الذي استلحقه معاوية بيته . وأخباره مشهورة معلومة تكفلت بها كتب التاريخ والأدب . (وأنظر ” العقد الفريد “ ج ٣ ص ٢ - ٦) . وهو أول من أخذ الناس بقانون العجم (محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر) . ولدا بني كتاب في أخباره ، وكتاب في ولده ودعونه (عن الفهرست ومعجم الأدباء لياقوت) . واللهيم بن عدي كتاب في أخباره ويسنبه (في الفهرست) زياد بن أمية ، وذلك تصحيف من الناسخ أو الطابع ، وإلا فلا خلاف في أنه زياد ابن أبيه .

(٣) بعضهم يضبط هذا الاسم بفتح الجيم وبعضهم بكسرها ، وطائفة تقول بالرايتين . والهبوب الكسر دون سواه ، وهو الذي أعتمدته الإمام الذهبي في كتاب ” المشته في الأسماء “ ، وكذلك العلامة رشادصن في معجمه الفارسي العربي الإنكليزي .

(٤) تعريب شاه بور . وسماه العرب ذا الأكتاف لانه أنصهر عظيم نفع أكتافهم .

(٥) أي قاضي القضاة في دولة الفرس قبل الإسلام . وبقيت وظيفة الموبد أي القاضي إلى أواخر الدولة العباسية ، للقيام بأمور المحوس الذين دخلوا في الذمة .

ووضع نصفها بين يدي الرجل ونصفها بين يديه. ثم أومأ إليه أن كُل من هذه، ولا تَحِطُ بِهَا طعاماً، فإنه أمرأُ طعامك وأخف على معدتك. وأقبل سابور على النصف، فأكل كمنحو ما كان يأكل. ففرغ الرجل من النصف قبل فراغ سابور. ثم مَدَّ يده إلى طعام آخر، وسابور يلحظه.

(١٢)

فلما رُفعت المائدة قال له: ودَّعْ وأنصرف إلى بلدك! فإن آباءنا وسلفنا من الملوك كانوا يقولون: "من شَرَّه بين يدي الملك إلى الطعام كان إلى أموال الرعية والسُّوقَة والوضعاء أشدَّ شَرًّا". فلم يستكفِه على ما كان أحضره له ^(١)

ومن حقَّ الملك أن لا يرفع أحدٌ إليه طَرَفَهُ، إذا أكل، ولا يحرك يده منه في صَحْفَةٍ.

عدم النظر للكل
عند مؤاكلته

ومن قوانين الملك أن توضع بين يدي كلِّ رجلٍ صَحْفَةٌ فيها كالذي بين يدي الملك

التسوية بين الملك
وبين مدعويه

من طعامٍ غليظٍ أو دقيقٍ أو حارٍّ أو قارٍّ، ولا يخصُّ الملك نفسه بطعام دون أصحابه. لأن في ذلك ضَعْفٌ على الملك ودليلاً على الاستئثار.

(١) في سه: لم يستكفه. ولعلها محرفة عن "لم يستكفه" بمعنى أنه لم يطلب كفايته لمؤونة العمل، وكثيراً ما يستعمل المحافظ وغيره، استكفاه بمعنى ولاه | انظر البيان والبيان ج ٢ ص ١٨٦ | ومن هذه المادة "الكفاة" وهم المُعَال أهل القدرة على العمل والنهوض به. | انظر ص ٥٠ ص ٧٠-١١ من هذا الكتاب |، ومنها أيضاً "كافي الكفاة" لوظيفة كبيرة كانت في الدولة الإسلامية. يؤيد ذلك أنه قبل لعروة بن عديّ ابن حاتم (وهو صبيٌّ) في ولية كانت لهم: فَفَّ بالباب، فَاجْبِي مَنْ لَا تَعْرِفْ وَأَدْخِلْ مَنْ تَعْرِفْ. فقال: والله لا يكون أولُّ شيءٍ استكفاه منع الناس عن الطعام! (طراز المجالس للشهاب الخفاجي ص ٩٢). هذا. وربما يجوز أن تكون محرفة عن "يستكفه" أي "يجده كفواً". والذي في صه: "فلما رُفعت المائدة إليه إلا أن رفضل ومحدد". | وليس للجملة بقية، وهي مبتورة ومشوَّهة، كما ترى |.

(٢) وردت هذه الفصّة بحروفها ماعداً بعض ألفاظ في صحيفتي ٢٦ و ٢٧ من كتاب "تنبيه الملوك والمكايد". وهي مختمة بهذه العبارة: "فلم يستكفه لما كان أحضره إليه وعول فيه عليه". ووردت أيضاً مبتورة في "محاسن الملوك" (ص ٢٩ و ٣٠)

غسل اليد بحضرة
الملك

ومن حقّ الملك أن لا يغسل أحدٌ بحضرة يديه من خاصّته ووطأنته، إلا أن يكون معه من يساويه في الجاه والعز والبيت والولادة. فقد بينا ما يجب لأولئك أنفاً.

إيناس
الملك المدعونه

ومن العدل أن يعطى الملك كلّ أحد قسطه^(٢)، وكلّ طبقة حقّها؛ وأن تكون شريعة العدل في أخلاقه كشرعية ما يقتدى به من أداء الفرائض والنوافل التي تجب عليه. رعايتها والمثابرة على التمسك بها؛ وإيناس الناس في بسط أيديهم في الطعام حتى يسوّى في ذلك بين المملوك والنمط الأوسط والعامة.

١٣

مباينة الملوك
سوام

وليس أخلاق الملوك كأخلاق العامة. وكانوا لا يشتبهون في شيء. وإنما تحسن كثرة الأكل مع الصديق والعشير والمساوي في منازل الدنيا من الرفعة والضّعة. فأما الملوك فيرتفعون عن هذه الصفة ويحلّون عن هذا المقدار.

قيام الملك
عن الطعام

ومن حقّ الملك - إذا رفع يديه عن الطعام - أن ينهض عن مائدته كلّ من الخاف بها حتى يتواروا عنه بجدارٍ أو حائلٍ غيره. فإن أراد الدخول، كان ذلك بحيث لا يرون قيامه؛ وإذا أراد القعود لهم، دخلوا إليه بإذنٍ ثانٍ.

منشفة الذّفر

ومن قوانين الملك أن يكون منديل غمره كمنديل وجهه في النقاء واليباض، وأن لا يعاد إليه إلا أن يغسل أو يُجَدّد.

(١) أنظر في الحاشية التي في ص ١١٦ ما كان يفعله ابن دأب من غسل يده في حضرة الخليفة الهادي

(٢) في سم: "بقسطه". وليست هذه الفقرة واردة في ص.

(٣) في سم: "لا يشتبهون في شيء". وليست هذه الفقرة واردة في ص.

(٤) أراد "الخافين" فوضع المفرد في موضع الجمع، باستعمال "أل" التي للجنس. ومثل ذلك كثير في عبارات البلغاء.

(٥) في سم: "غمره" بالمهمله. وصوابه بالمعجمة، والغمر بالتحريك زنج اللحم وما يعلق باليسد من دسمه. وهو يماثل ما نسميه الآن في مصر: فوطه الذّفر. وليست هذه العبارة واردة في ص.

ومن حقّ الملك أن لا يُحدّث على طعامه بحديث جدّ ولا هزل. وإن ابتدأ بحديث، فليس من حقّه أن يعارض بمثله، وليس فيه أكثر من الاستماع لحديثه، والأبصار خاشعة.

حديث الملك
على المسألة

ولشيء ما كانت ملوك آل ساسان - إذا قدّمت موائدهم - زمزموا عليها، فلم ينطق ناطق بحرف حتى تُرفع. فإن اضطروا إلى كلام، كان مكانه إشارة وإيماء يدلّ على الغرض الذي أرادوا والمعنى الذي قصدوا.

زمزمة الفرس على
الطعام وامتناعهم
عن مطلق الكلام



(١) الزمزمة: تراطن العلوّج على أكلهم، وهم صوّت، لا يستعملون لسانا ولا شفة في كلامهم؛ لكنّه صوتٌ تُديره في خياشيمها وحلوقها، فيفهم بعضها عن بعض. وقد زمزم العلوّج، إذا تكلف الكلام عند الأكل، وهو مطبقّ فيه. وقال الجوهري: الزمزمة كلام المحبوس عند أكلهم. زاد ابن الأثير [في النهاية]: بصوت خفيّ (عن تاج العروس). وذلك يرادف قول الفرنسيين Marmotter.

قال في مروج الذهب: "ذكروا أن كيومرث هو أوّل من أمر بالسكوت عند الطعام، لتأخذ الطبيعة بقسطها، فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء. وتسكن النفس عند ذلك، فتدبر لكل عضو من الأعضاء تدبيراً يؤدّي إلى ما فيه صلاح الجسم من أخذ صفو الطعام. فيكون الذي يرد إلى الكبد وغيره من الأعضاء القابلة للغذاء ما يناسبها وما فيه صلاحها. وإن الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب، أنصرف قسط من التدبير وجزء من التغذّي إلى حيث أنصباب الهمة ووقوع الاشتراك، فأضرّ ذلك بالنفس الحيوانية والقوى الإنسانية. وإذا كان ذلك دائماً، أدّى ذلك إلى مفارقة النفس الناطقة المميّزة الفكرية لهذا الجسد المرنّ. وفي ذلك ترك الحكمة ونعروج عن الصواب." (مروج الذهب طبع باريس ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩) وأقول إن عادة العرب والإفرنج قد جرت على خلاف ذلك.

وبمناسبة الزمزمة، نروى ما حكاه ابن النديم في كتاب "الفهرست" (ص ١٩) عن الجاحظ في "البيان والتبيين" إن "الزنج خطابة وبلاغة على مذهبيهم وبلغتهم، وإن من رأى ذلك وشاهده قال إذا حزبتهم الأمور ولزتهم الشدائد، جلس خطيبهم على ما علا من الأرض وأطرق، وتكلّم بما يشبه الددمة والهمهمة، فيفهم عنه الباقون. قال الجاحظ: وإنما يظهر لهم في تلك الخطابة الرأى الذي يردونه فيعملون عليه. والله أعلم".

١٠

١٥

٢٠

وكانوا يقولون: "إن هذه الأطعمة بها حياة هذا العالم. فينبغي للإنسان أن يجعل ذهنه في مطعمه ويشتغل رُوحه وجوارحه فيه، لأن تأخذ كل جراحة بقسطها من الطعام، فيغتنى بها البدن والروح الحيوانية التي في القلب والطبيعة التي في الكبد، أغتذاء تاماً، وتقبله الطبيعة قبولاً جامعاً."

وفي ترك الكلام على الطعام فضائل كثيرة هي في آيينهم تركها ذكرها، إذ كانت ليست من جنس كتابنا هذا.

(١) ص: وفي ترك الكلام فضائل.

(٢) الآيين كلمة فارسية عربيها العرب واستعملوها. ومعناها القانون والعادة. (أنظر ص ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب)

قال السيد صديق بن حسن خان في "لف القباط في تصحيح ما تستعمله العامة من العرب والدخيل والمولد والأغلاط" مانصه: "آيين بمعنى العادة. وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة. أعجمي عربي المولدون. وفي الكشف: ليس من آيين الملوك استراق الظفر." وعلى هامشه للسيد نور الحسن مانصه: "أى في سورة النمل. قيل لدى القرنين: بيت على العدو! فقال: ليس من آيين الملوك استراق الظفر. وقال مهياري في قصيدة له:

يَجْمَعُ الْخَرِيتُ حَوْلًا أَمْرَهُ * وَهَوَّلَ يَأْخُذُهَا آيِنَهُ

وهاتان العبارتان منقولتان بدون تنبيه عن "شفاء الغليل" للنفحاني. والخريت هو الدليل البصير بالطريق. وكلمة "آيين" لا تزال مستعملة إلى الآن بهذا المعنى عند الفرس والآثراك.

وفي المعجم الفارسي العربي الانكليزي تأليف رشارد صن مانصه:

آيين = An institution, rite, custom, or ordinance, canon, usage, prescription. Common law (in contradistinction to the laws delivered by Muhammad, and which are called شرع). Mode, form, manner.

ولأن المققع تأليف بهذا الاسم ذكره صاحب الفهرست. وكلام الإحاطة هنا يدل على كتاب بعينه فمنه الفرس مجموع القوانين والنواميس والعادات والأصطلاحات المقررة عندهم. والى "آيين الأكاكسة" أشار البيروني في "الآثار الباقية عن القرون الخالية" (ص ٢١٨)

* قال: وحدثني بعض المُحدثين قال: قال بعض الأمراء وأظنه بلال بن أبي بردة^(١) لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة^(٢):

ماذا تصنعون عند عبد الأعلى [بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشي]^(٣)، إذا كنتم عنده؟
قال: نشاهد أحسن حديث وأحسن استماع، ثم يأتي الطباخ فيتمثل بين عينيه،^(٤)
فيقول: ما عندك؟ فيقول: عندى لون كذا، ودجاجة كذا، ومن الحلواء كذا.

قال: ولم يسأل عن ذلك؟

قال: ليقصر كل رجل عما لا يشتهي، حتى يأتيه بما يشتهي. قال: ثم يؤتى بالحيوان،
فيتضايق ويتسع، ويقصر ويحتهد. فإذا استغنى، خوى^(٥) تحوية^(٦) الظليم ثم أكل^(٧) أكل
الجامع المقرور.

قال: والجارود هذا هو الذى قال: "سوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخل^(٨) العسل".

(١) كان أميراً على البصرة وكان قاضياً. وهو أول من جازى فى القضاء. كان يقول: إن الخصمين يتقدمان
إلى فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر، فأقضى له. (محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر). وكان مع
ذلك كريماً مدحه ذر الرمة والخطبة. وأظن ترجمته فى خزنة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ٤٥٣)، وله
فى "الأغانى"، و"كامل" المبرد ذكر كثير (أنظر فهرسهما).

(٢) الهذلى البصرى. صدوق. توفى سنة ١٢٠ (تقريب التهذيب لمحافظة العسقلانى ص ٢٨)

(٣) الزيادة عن "العقد الفريد"، وفهرس الطبرى.

(٤) فى الأصل وهو صـ: فشاهدنا.

(٥) الخو والخواء: الجوع. والخوى والخواء خلوا الجوف من الطعام. وخوى وخوى وخواء: نتائج

عليه الجوع. وخوى الطائر تحوية بسط جناحيه، وذلك إذا أراد أن يقع (عن تاج العروس). ولعل هذا المعنى
الأخير هو الذى أراد به الجاحظ، لأنه فى كتاب الحيوان يلحق النعام بالطير.

(٦) الذكر من النعام.

(٧) روى هذه الحكاية صاحب "العقد الفريد" بزيادة ونقص فى الألفاظ والمعانى (ج ٣ ص ٣٨٢)

(٨) هذه الفقرات المحصورة بين نجمين * منقولة عن صـ.

باب في المنادمة

مراتب الندماء
واحتياج الملوك
لجميع الطبقات

ومن أخلاق الملك أن يجعل نُدماه طبقات ومراتب، وأن يُخَصَّ ويعمَّ، ويقرب ويباعد، ويرفع ويضع، إذ كانوا على أقسام وأدوات.^(١)

فإنَّا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضیع للهو، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى الناسك لعظته؛ ويحتاج إلى أهل الهزل، كما يحتاج إلى أهل الجد والعقل؛ ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم المتقن.^(٢)

وهذه أخلاق الملوك أن يحضرهم كل طبقة، إذ كانوا يتصرفون من حالٍ جدٍ إلى حالٍ هزل، ومن صَحِيحٍ إلى تَذَكِيرٍ، ومن لَهْوٍ إلى عِظَةٍ.

فكل طبقة من هذه الطبقات تُرفع مرةً وتُحطُّ أخرى، وتُعطى مرةً وتُحرم أخرى، خلا الأشراف والعلماء. فإن الذي يجب لهم رفعةُ المرتبة وإعطاءُ القسط من الميزة^(٣) والنصفَةُ عند المعاشرة، ما لزموا الطاعة ورَعَوْا حقَّها.

(١) كذا في ص، سه. [والسياق يقتضي معنى المراتب.]

(٢) ص: والنبل.

(٣) ص: المفتى. قال في "محاسن الملوك" (ص ٤٣): "ولما كان الملك محتاجاً إلى أصطناع الرجال كحاجته إلى أصطفاء الأموال، وجب أن يتخير لسامرتته من يكون طيب الأعراق، باعنا على مكارم الأخلاق؛ ولكنه قد يحتاج إلى المطرب الملهي كما يحتاج إلى العالم المفتى. لأنه يحتاج إلى أن يتصرف بين الهزل والجد لما هو بصدده من التعب في النظر في أمر الجمهور".

(٤) ص: المرتبة.

(١) وليس من حقّ الملك أن يبرّح أحد من مجلسه إلا لقضاء حاجة. فإذا أراد ذلك، فمن الواجب أن يلاحظه. فإن سكت الملك، قام بين يديه ثم لاحظته. فإن نظر إليه، مضى لحاجته. فإذا رجع، قام مائلاً بين يديه أبداً، وإن طال ذلك، حتى يؤمى إليه بالعمود. فإذا قعد، ففقياً أو جاثياً. فإن نظر إليه بعد قعوده، فهو إذنه له بالتمكّن في قعوده.

آداب الخروج
من حضرة الملك
والرجوع إليها

وليس له أن يختار كمية ما يشرب ولا كيفيتها، إنما هذا إلى الملك. إلا أن من حقّه على الملك أن يأمر بالعدل عليه والنصفه له، ولا يجاوز به حدّ طاقته ولا وسع استطاعته، فيخرج به من ميزان القسط وحدّ القصد: لأنه لا يأمن أن يتلف نفسه، وهو يحد إلى إحيائها سبيلاً.

كبة الشرب
وكيفيته
موكولات
الملك، وعليه العدل

ومن أخلاق الملك السعيد أن يحرص على إحياء بطانته، حرصه على إحياء نفسه، إذ كان بهم نظامه.



وإذ قد آتينا إلى هذا القانون من القول، فبنا حاجة إلى الإخبار عن مراتب الطبقات الثلاث من الندماء والمغنيين، وإن كانت مراتبهم في كتاب الأغاني محصورة، فقد يجب ذكرها في هذا الموضع أيضاً، لأنها داخلة في أخلاق الملوك.

طبقات الندماء
والمغنيين عند الفرس
وفي الإسلام

(١) كذا في س، صـ "يرح أحد من مجلسه" بتعديده يرح بمن. والذي في كتب اللغة تعديته بنفسه. على أن بعض أكابر أهل الأدب قد يعدّون هذا الفعل بحرف "من" كما فعل الجاحظ هنا. فقد ورد في التبريزي "لم يرح من مكانه" و "ما برحت من مكان كذا" (شرح الحاشية للخطيب التبريزي طبع أوربه ص ١٩٤ و ٢٥٠) وفي الأغاني "ما أنا بارج من بابها" (ج ٢ ص ١٣٧). وفي "الهاسن والساوي" قوله: لأبرج من بغداد (ص ١٩٣). وأنظر ص ١٤٤ من هذا الكتاب.

(٢) سـ: قعد مقنماً. [وأنظر الحاشية ١ ص ٨ من هذا الكتاب].

(٣) ليست الإشارة هنا إلى كتاب الأغاني المشهور الذي لا بد من الفرع الاصنفاني. فقد توفى الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ، وكانت وفاة أبي الفرج في سنة ٣٥٦. ولا بد أن الجاحظ يعني كتاباً للفرس أو صفراً آخر.

ولنبداً بملوك الأعاجم، إذ كانوا هم الأول في ذلك، وغنمهم أخذنا لقوانين الملك
والمملكة وترتيب الخاصة والعامة، وسياسة الرعية، وإلزام كل طبقة حفظها والاقتصار
على جديلتها.^(١)

كان أردشير بن بابك أول من رتب الندماء وأخذ بزمام سياستهم. فجعلهم
ثلاث طبقات:

== من أسفار الاغانى التى كانت متداولة فى صدر الدولة العباسية كما تدل عليه عبارة الاصفهاني فى مقدمته .
هذا وقد أشار المسعودي (مروج الذهب ج ٦ ص ١٠) إلى كتاب الأغاني ولم يقده بئىء آخر
من حيث ذكر المؤلف أو غيره . فلهذه هو نفس الكتاب الذى يشير إليه الجاحظ . لان المسعودي فرغ من
مروج الذهب فى سنة ٣٣٦ أى قبل وفاة أبى الفرج الاصفهاني بعشرين سنة . وهو لم يعرف المسعودي
ولم يشير إليه ولا إلى مؤلفاته مطلقاً فى كتبه التى بلغتنا .

ويتلخص مما ذكره المسعودي وأبو الفرج الاصفهاني فى هذا الموضوع : أولاً - أن إبراهيم بن المهدي
المعروف بأبن شكلة (وهى جارية فارسية أقرشها الخليفة المهدي) صنف كتاباً فى الاغانى . وهو أول كتاب
فى هذا المعنى وصلنا خبره ، غير الذى يشير إليه الجاحظ والمسعودي ؛ ثانياً - أن الرشيد أمر إبراهيم الموصلي
وإسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء فألفوا له كتاباً فى الاغانى وضموا فيه المائة الصوت المختارة ؛ ثالثاً - أن
كتاب هؤلاء الثلاثة وقع إلى الواثق ، فأمر إسحاق بن إبراهيم الموصلي بتدوينه وتوسيعه . وقدرى صاحب الاغانى
(أعنى أبى الفرج) أن هذا الكتاب ليس من تأليف إسحاق بل هو مصطنع عليه ومنسوب إليه ، وأورد حججاً تؤيد
ذلك فى مقدمة كتابه . ولكن المسعودي ذكره باعتبار أنه من تأليفه .

(١) "ص: وغنمهم أخذنا آيين المملكة" وانظر الحاشية ٢ ص ١٩ و ص ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب .
(٢) هذه الكلمة وردت فى سمة مهملة من النقط هكذا : "هد طها" . وفوقها كلمة "كذا" .
وقد اعتمدنا رواية صم . وفيه تفسيرها بقوله : "شا كلتها" . وهذا التفسير متقول عن القاموس .

(٣) من هنا إلى قوله "أنت يا فلان كذا وكذا" فى ص ٢٩ من هذا الكتاب نقله المسعودي فى "مروج
الذهب" بالحرف الواحد تقريباً ، ولم يشير إلى أنه نقل هذه البيانات عن التاج الجاحظ . وقد جرى هو وغيره
على هذه العادة فى كثير من العبارات ، كما سترأه فيما يرد عليك من الحواشى . وقد زاد فى هذه العبارة التى نحن
بصددها ألفاظاً تزيد المعنى وضوحاً ، وضم إليها معلومات أخرى . (انظر مروج الذهب طبع باريس ج ٢

(١) فكانت الأساورة وأبناء الملوك في الطبقة الأولى. وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة.

ثم الطبقة الثانية، كان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم)؛

ثم الطبقة الثالثة، كان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية، وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة. غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضعه ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مؤوف ولا مرمى بأبنة ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دنيئة، كآبن حائك أو حجام، ولو كان يعلم الغيب مثلاً.

(١٧)

وكان إردشير يقول: "ما شئ أضرَّ على نفس ملك من معاشره سخيِّف أو مخاطبة وضيع. لأنه كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريف الأديب الحسيب، كذلك ١٠ تفسد بمعاشره الدنيء الخسيس، حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها. وكما أن الريح، إذا مرت بطيب، حملت طيباً تحيا به النفس وتقوى به جوارحها، كذلك إذا مرَّت بالثَّن حملته ألَمَتْ له النفس وأضرَّ بأعلاقتها إضراراً تاماً." (٤)

(١) الأسوار: الواحد من أساورة الفرس. قال أبو عبيد: هم الفرسان، والأساورة أيضاً قوم من العجم بالبصرة كالأحامرة بالكوفة (الصاح) [حاشية عن صـ]. قال الخوارزمي في "مفاتيح العلوم"، إن العجم لا تضع اسم أسوار إلا على الرجل الشجاع البطل المشهور. وعلى ذلك يكون مقابله في اللغة الفرنسية: Chevalier. (٢) هذه الكلمة وردت في صـ فقط. [ومعناها مصاب بآفة].

(٣) الأبنة: العيب. (قاموس)

(٤) هذه العبارة منقولة عن ابن المقفع في "الادب الصغير" وفي "كلیلة ودمته".

أقسام الناس
عند الفرس أربعة

وكذلك جعل الناس على أقسام أربعة، وحصر كل طبقة على قسمتها: ^(١)

فالأول الأساورة من أبناء الملوك؛

والقسم الثاني النُّسَّاك وسُدَنُهُ بيوت النِّيران؛ ^(٢)

والقسم الثالث الأطباء والكُتَّاب والمنجمون؛

والقسم الرابع الزُّرَّاع والمِهَّان وأضرابهم. ^(٣)

وكان أردشير يقول: "ما شئٌ أسرع في انتقال الدول وخراب المملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها حتى يُرَفَّعَ الوضع إلى مرتبة الشريف، ويُنْخَطَّ الشريف إلى مرتبة الوضع".

مقابلة كل طبقة
من الندماء بمثله

وكان الذي يقابل الطبقة الأولى من الأساورة وأبناء الملوك أهل الحداقة بالموسيقىات والأغاني. فكانوا بإزاء هؤلاء نُصِبَ خط الاستواء. ١٠

وكان الذي يقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك وِبَطانته الطبقة الثانية من أصحاب الموسيقىات.

(١) في سه، صه: خص.

(٢) أردشيرين بابك هو أول من رتب الرعية على طبقات ووضع لهم الكتب في الآداب الملوكية من أحوال الدين والدنيا، وعلم مراتب الخلق في الديوان والدول، ونصب الموبدان موبذ يعني كبير القضاة الشهر اليوم بقاضي العسكر. (عن محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر)

(٣) أي خدمة.

(٤) ضبطها في سه بكسر الميم وفتح الهاء بغير تشديد. [وقد تكون هذه الكلمة جمع ما هن أي صاحب المهنة. وهو أيضا الخادم والعبد. وجمعه يكون حينئذ "مُهَّان" مثل كاهن رُكَّهَان وصانع وصُنَّاع]. وعلى هذا الوجه

الثاني ضبطها في صه.

(١) وكان الذي يقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والمضحكين أصحاب
الوَجْج والمعاذف والطناير. وكان لا يَزُمُّ الحاذق من الزامرين إلا على الحاذق من
المُغْنين. وإن أمره الملك بذلك، راجعه وأحتجَّ عليه.

احتفاظ الفرس
بهذا الترتيب

وقلما كانت ملوك الأعاجم خاصة تأمر أن يَزُمَّ على المُغْنَى إلا من كان معه
في أسلوب واحد، إذ لم يكن من شأنهم أن ينقلوا أحدا من طبقة وضعية إلى طبقة

(١) في سه، صه، وأصحاب.

(٢) كلمة فارسية معربة، والعرب تقول الونَّ بتشديد النون. وهي الصنج، آلة من آلات الطرب. وقيل
إنه الصنج ذو الأوتار (أنظر تاج العروس، ومفاتيح العلوم للخوارزمي). وروى في كتاب الملاهي بيتاً
للا عشي، وهو:

١٠ ومُسْتَقُّ صِينِي وَوَنٍّ وَبَرَبَطٌ * يجاوبه صَنْجٌ إذا ما ترنَّما
وقال صاحب شفاء الغليل: "إن الونج هو عود الطيب، مغرب"، فانظر من أين أتى بالطيب هنا. ولعله أراد
عود الطرب. فصحبها الناصح وفانت الطابع.

(٣) أنظر أسماء آلات الموسيقى عند العرب في الجزء ١٣ من "المخصص" لأبن سيده (ص ١١ - ١٥)،
فتعرف أن الطنبور والطناير من الأسماء المعروفة عند العرب [تقلا عن الفرس]. أما ما زعمه العلامة دوزي من أنهم
أخذوا هذا الاسم عن اللغة السلتية Celtique، فهو زعم يقوم الدليل على خلافه:

أولاً - ورد هذا اللفظ في شعر ذي الرمة (المتوفى سنة ١٠١ أو ١١١ للهجرة). قال:
"من الطناير يزهي صوته تمثّل في لحنه عن لغات العرب تعجيم."
ومعلوم أن العرب أبدعوا فتح الأندلس في سنة ٩٢ هـ. ولا يمكن سبع سنوات أو ثمانٍ لانتقال اللفظ
من أقصى الغرب إلى بادية الغرب وشبوعه فيها حتى رضى ذو الرمة باستعماله وأرضاه الناس منه.

٢٠ ثانياً - إن الأسبانيين يقولون إلى الآن Atambor، وهو لفظ مأخوذ عن الاسم العربي "أداة
التعريف العربية. فلو كان اسم هذه الآلة شائعاً عندهم قبل دخول العرب بلادهم لما بقي في لغتهم بهذه الصورة
العريضة. وهذا رأى الأستاذ ليباردي الطلياني في معجمه المسمى Le parole italiane derivate
dall'arabo وهو رأى راجع، أيدهناه بشعر صحيح، لبذوي تخ نصيح، نبت في المهاجـ الفصح، ومات
بين القيصوم والشبح. (أنظر ترجمته في الأغاني ج ١٦ ص ١١٠ وما يليها)

رفيعة . إلا أن الملك كان ربما غلب عليه السكر حتى يؤثر فيه ، فيأمر الزامر من الطبقة الثانية أو الثالثة أن يزمر على المغنى من الطبقة الأولى ، فيأبى ذلك ، حتى إنه ربما ضربه الخدم بالمراوح والمذاب^(١) فيكون من اعتذاره أن يقول : إن كان ضربى بأمر الملك وعن رأيه ، فإنه سيرضى غنى إذا صحا ، بلزومى مرتبى .

١٩

معاينة أردشير
لنفسه لمخالفة
هذا القانون

وكان أردشير قد وكل غلامين ذكيين - لا يفارقان مجلسه - بحفظ ألفاظه عند الشرب والمنادمة . فأحدهما يملأ والآخري يكتب حرفاً حرفاً . وهذا إنما يفعلانه إذا غلب عليه السكر . فإذا أصبح ورفّع عن وجهه الحجاب ، قرأ عليه الكاتب كل ما لفظ به في مجلسه إلى أن نام . فإذا قرأ عليه ما أمر به الزامر ومخالفة الزامر أمره ، دعا بالزامر نخلع عليه وجزاة الخير ، وقال : ”أصبّت فيما فعلت وأخطأ الملك فيما أمرك به . فهذا ثواب صوابك . وكذلك العقوبة لمن أخطأ . وعقوبتى أن لا تزمزم اليوم إلا على خبز الشعير والجبن .“ فلم يطعم في يومه ذلك غيرهما .

وما ذاك إلا حثاً على لزوم سنتهم وحفظ نوااميسهم وأخذ العامة بالسياسة النامة والأمر اللازم .

(١) جمع مدّبة . وهى آلة لطرد الذباب ، وهى التى نسميها فى مصر بالمنشمة . أما المراوح فعروقة ، وأنظر تفصيلاً شافياً عن أنواعها فى أيام الدولة العباسية وما بعدها فى كتاب ”مطالع البدور فى منازل السرور“ .

(ج ١ ص ٦٤ - ٦٦)

(٢) صه : يملل .

(٣) سه : ”نهذا صواب هذه ثمرته“ . وهى رواية صحيحة تشابه التى اخترناها فى المتن عن صه لأنها مختصرة مفيدة .

فلم يزل على ذلك ملوك الأعاجم حتى ملك بهرام جور بن يزدجرد^(١)، فأقر مرتبة
الأشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران على ما كانت، وسوى بين الطبقتين من
الندماء والمغنيين ورفع من أطربه - وإن كان في أوضاع الدرجات - إلى الدرجة
الأولى، وحط من قصر عن إرادته إلى الطبقة الثانية. فأفسد سيرة أردشير في المغنيين
وأصحاب الملاهي خاصة. فلم يزل الأمر على ذلك حتى ملك كسرى أنوشروان، فرد
الطبقات إلى مراتبها الأولى.

اختلال هذا النظام
أيام بهرام جور
وإعادة أنوشروان له



وكانت ملوك الأعاجم كلها من لدن أردشير بن بابك إلى يزدجرد تحتجب عن
الندماء بستارة. فكان يكون بينه وبين أول الطبقات عشرون ذراعاً. لأن الستارة
من الملك على عشرة أذرع، والستارة من الطبقة الأولى على عشرة أذرع.

احتجاب ملوك
الفرس عن الندماء
ومقدار المسافة بين
الطبقات

وكان الموكل بحفظ الستارة رجلاً من أبناء الأساورة يقال له "خرم باش"^(٢).
فإذا مات هذا الرجل وكل بها آخر من أبناء الأساورة وسمى بهذا الاسم. فكان
"خرم باش" إذا جلس الملك لندمائه وشغله، أمر رجلاً أن يرتفع على أعلى مكان
في قرار دار الملك ويغرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول: "يالسان!
احفظ رأسك"^(٣)، فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك! ثم ينزل.

(١) أنظر السبب في إضافة الجور إلى اسمه في كتاب "غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم" للثعالبي ١٥
(صفحة ٥٤٤).

(٢) سم: "خرم تاش". وصححنا عن صه وعن المسعودي الذي قال: "وتفسير ذلك: كن فريحا".

(٣) في سم "يرفع". والتصحيح عن صه وعن المسعودي.

(٤) سم: "يعرب". والتصحيح عن صه وعن المسعودي.

(٥) صه: الرأس.

فكان هذا [فَعَلَهُمْ] في كل يوم يجلس فيه الملك لِلْهَوَى، ولا يجترئ أحد من خلق الله أن يدير لسانه في فيه بنحير ولا غيره، حَتَّى تُحْرَكَ الستارة، فَيَطْلُعَ الْقَائِمُ عَلَيْهَا ^(١) فَيُؤَمِّرُ بِأَمْرِ فَيَنْفِذُهُ، ويقول: اِفْعَلْ يَا فُلَانُ كَذَا، وَتُعْنَى أَنْتَ يَا فُلَانُ كَذَا وَكَذَا. ^(٢)

وكان الندماء من العظماء والأشراف وأبناء الملوك وإخوة الملك وعمومته وبنى عمه وأوضاع الطبقات في مجلس الملك في نقاب واحد: إطرافا وإخبارا وسكوت طائر ^(٣) وقلة حركة. ^(٤)

فلم يزل أمر الملوك من الأعاجم كذلك حَتَّى ملك الأردوان الأحمر، فكان يقول: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مِنْكُمْ حَاجَةٌ، فَلْيَكْتُبْهَا فِي رُقْعَةٍ وَلْيَرْفَعْهَا قَبْلَ شُغْلِي فَأَفْهَمُ مَا فِيهَا» ^(٥)

(١) صه: يفيض.

(٢) سه: تحوّل الستارة فيؤمر.

(٣) أنظر حاشية ٣ ص ٢٣ من هذا الكتاب. (وهنا يتمي ما نقله المسعودي عن الجاحظ.)

(٤) قال في أساس البلاغة: كانا في نقاب واحد: أي كانا مثليين ونظيرين. وفي سه: في نصاب واحد.

(٥) أي خشوعا وخضوعا وتواضعا.

(٦) كذا في سه، صه هنا | ثم في صفحتي ١١٨ و ١٥١ من هذا الكتاب. والذي يستفاد مما ذكره المسعودي في "مروج الذهب" وفي "التنبيه والإشراف" أن الأردوان هو علم على جماعة من ملوك النبط، وكانوا من ملوك الطوائف بعد الإسكندر. وهؤلاء ليس لهم شأن فيما نحن بسبيله الآن.

ويستفاد منه أيضا أن فارس قام عليها ملكان أحدهما اسمه الأردوان الأكبر والثاني الأصغر. وأن هذا الثاني كان أعظم شأنًا وأكبر ملكًا. وهو الأردوان بن بهرام بن بلاش آخر ملوك الأشكانية. قتله أردشير بن بابك وقام بأعباء الملك بعده. يؤيد ذلك ابن الأثير والنعالي. والراجح أن هذا الأردوان هو المراد هنا وأن كلمة "الأحمر" تحريف من الناسخ للفظه "الأصغر".

(٧) سه: تنقلى.

وَيَخْرُجُ إِلَيْهِ أَمْرِي، وَعَقَلِي صَحِيحٌ وَفِكْرِي جَامِعٌ. “فَمَنْ سَأَلَ فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتِ حَاجَةً، ضُرِبَتْ عُنُقُهُ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ هَذَا. وَكَانَ لَا يَرُدُّ سَأَلًا، وَلَا يُعْطَى مَبْتَدَأًا. فَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَلَكَ بَهْرَامُ جُورًا، فَكَانَ يَقُولُ لِلنَّدَمَاءِ: ”إِذَا رَأَيْتُمُونِي قَدْ طَرَبْتُ وَنَحَرَجْتُ مِنْ بَابِ الْحَدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ، فَاسْلُوا حَوَائِجَكُمْ.“ وَكَانَ يُوَكِّلُ بِحَوَائِجِهِمْ صَاحِبَ السَّتَارَةِ. فَكَانَ إِذَا سَكِرَ، مَدَّ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ بِرِقَاعِهِمْ، فَأَخَذَهَا صَاحِبُ السَّتَارَةِ، فَأَنْفَذَهَا إِلَيْهِ. فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَصَمَّهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ رَمَى بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، وَيَقُولُ: ”أَنْفِذُوا كُلَّ مَا فِيهَا.“ فَكَانَ ذَلِكَ رُبَّمَا بَلَغَ فِي لَيْسَةِ وَاحِدَةٍ مِنْ سُؤَالٍ فِي إِقْطَاعٍ أَوْ قَضَاءٍ دَيْنٍ أَوْ طَلَبٍ مِثْنَةٍ ^(١) أَلْفٍ أَوْ أَكْثَرَ. إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ تَبَاعًا.

﴿٢٢﴾

وَكَانَ إِذَا رَفَعَ أَحَدُهُمْ فِي رَقْعَتِهِ مَا لَيْسَ يَحُوزُ لِمَثَلِهِ - وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ حَدِّ الْقَصْدِ ^(٢) وَأَدْخَلَ فِي بَابِ الْإِفْرَاطِ - لَمْ تُقْضَ لَهُ حَاجَةٌ، وَتُسَمَّى جَاهِلًا، وَلَمْ تُؤْخَذْ لَهُ رُقْعَةٌ بَعْدَهَا أَبَدًا.

ثُمَّ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بَعْدُ فِي أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ مِنَ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ حَتَّى مَلَكَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. فَسَوَّى بَيْنَ الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا وَالسُّفْلَى، وَأَفْسَدَ أَقْسَامَ الْمَرَاتِبِ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ ^(٣) اللَّهُوُّ، وَاسْتَخَفَّ بِأَيِّنِ الْمَمْلَكَةِ، وَأَذِنَ لِلنَّدَمَاءِ فِي الْكَلَامِ وَالضَّحْكِ وَالْهَزْلِ فِي مَجْلِسِهِ وَالرَّدِّ عَلَيْهِ.

التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تُسَمِّي فِي وَجْهِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ عَلَى جِهَةِ الْهَزْلِ وَالسَّخْفِ.

أول خليفة سُمِّي في وجهه هزلاً

(١) ص: ”مِثْنَةٌ“. وهي المِثْنَةُ أَيْضًا.

(٢) ص: وَدَاخِل.

(٣) س: بِقَوَائِنِ. (أَنْظُرِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٢ ص ١٩ وَص ٢٣ وَص ٧٧ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ)

أحوال المؤمنين
في الشرب واللهو

(١) قلت لإسحاق بن إبراهيم: هل كانت الخلفاء من بني أمية تظهر للتدماء والمغنين؟

(١) في ص: لأبي إسحاق بن إبراهيم الموصلي. (وأبو، زائدة ولاشك).

لم أترك طريقاً من طرق البحث للتعريف بهذا الاسم إلا سلكتها. فنقصت كل من أحمد "إسحاق بن إبراهيم" ممن عاصر الجاحظ فلم أستطع أن أجصر مصدر هذا الخبر إلا في رجلين: أحدهما (وهو الذي يتبادر للذهن إليه) إسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب الصيت البعيد في الفناء والأدب والرواية؛ والثاني إسحاق بن إبراهيم المصعبي (حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والوائقي) وهو من أرباب المكانة العالية في الأدب والرواية وقد فناء.

غير أنه ليس من المحتمل أن يكون الراوي هو إسحاق المصعبي، لأنه من ذوى قرابة طاهر بن الحسين، قاتل الأمين. وأهل هذا البيت جميعهم نشأوا في بوشنج من خراسان، ولم يحضروا بغداد إلا بعد دخول المأمون فيها. يعرف ذلك كل من عانى التاريخ الإسلامي. فكيف يكون إسحاق المصعبي قد شهد مجلس الأمين في دار السلام وأخذ منه الجوائز والصلوات؟ (أنظر ص ٤٣ من هذا الكتاب).

أما إسحاق الموصلي فمما أشبهه بأن يكون هو الراوي للخبر، لولا أن عبارة الجاحظ مضطربة مشوشة بحيث إنها لو بقيت على حالها كما هي واردة في ص، صم (وكما جرت العادة به في الكتابة العربية أي بدون علامات الترقيم) لكان من المتعذر معرفة وجه الصواب أو نسبة الحديث إلى صاحبه. وذلك لأن القصة تضمنت خبراً فيه تحقير لأبيه وتصغير لشأنه (كما تراه في ص ٣٩ و ٤٠) فضلاً عن أنها تنمى بخبر عن إسحاق الموصلي نفسه (في ص ٤٣ و ٤٤). وهذا الخبر الثاني منقول بصيغة الغائب المحدث عنه، لا كما يتكلم الإنسان عن نفسه. وفيه ما يجدر بمثل الموصلي أن يملأ به فمه تشدقاً وغرماً ويرفع له رأسه تها وكبراً. كيف لا وفيه أن المأمون ضم إسحاق وقبلة. فكان المعقول والمتحتم أن يقول الراوي مدلاً معجباً: "فهنيئلي وقبلي".

على أن الشك في راوي هذا الحديث قديم. يرجع أول عهده إلى الطبري المتوفى سنة ٢١٠. فقد روى إمام المؤرخين واقعة إبراهيم (والد إسحاق الموصلي) مع الهادي (راجع السلسلة ٣ ص ٥٩٥). والخبر ينمى تقريباً واردة في عبارة الجاحظ (ص ٣٦). لكن الطبري رواه بصيغة الغائب وصدره بقوله: "وذكر عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أو عن غيره". وكذلك روى صاحب "الأغانى" خبر إبراهيم بن المهدي مع الأمين (الوارد في حديث الجاحظ ص ٤٣) بروايتين مختلفتين جداً، أحدهما عن إسحاق الموصلي متكلماً عن نفسه والثانية عن محمد بن الحارث بن بشير (راجع الأغانى ج ٩ ص ٧١). والخبر نفسه وارد أيضاً عن إسحاق الموصلي بلهجة المحدث عن نفسه في "العقد الفريد" لابن عبد ربه (ج ٣ ص ٢٤٤) وفي "معجم الأدباء" لياقوت (ج ٢ ص ٢٠٦).

قال: «أما معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان»
 «أبن محمد، فكان بينهم وبين الندماء ستارة. وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله»
 «الخليفة، إذا طرب للمغنى وألّنه حتى ينقلب ويمشى ويحرك كتفيه ويرقص»
 «ويتجرد حيث لا يراه إلا خواص جواريه. إلا أنه كان إذا ارتفع من خلف الستارة»
 «صوت أو نغير طرب أو رقص أو حركة بغير تجاوز المقدار، قال صاحب الستارة:»
 «حسبك يا جارية! كفى! انتهى! أقصرى! - يؤهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض»
 «الحواري».

«فأما الباقون من خلفاء بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجردوا»
 «ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنين. وعلى ذلك، لم يكن أحد منهم في مثل حال»
 «يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في المحبون والرفق بحضرة الندماء والتجرد:»
 «ما يباليان ماصنعنا.»

= وعندى أنه لا يمكن التوفيق بين جميع هذه الروايات، إلا إذا فرضنا أن هذا الحديث قد رواه الجاحظ عن
 إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ثم حشاه بأستطرادات من عنده وروايات أخرى ضمها إليه مما يتسق معه ويناسب
 المقام أو يرتبط بالموضوع. فكان الجاحظ إذا انتهى من الحشو والأستطراد على ما اعتادته طبيعته وألفه
 نفسه كما هو المعهود في كل كتبه وتصانيفه، عاد إلى الحديث الأصل مستعملا لفظة "قال" تنبيها للقارئ
 إلى رجوع ما أنقطع ووصل ما انفصل وأستئنافا لما حدث به إسحاق بن إبراهيم (الموصلي). فحينما كان المقام
 يدعو الجاحظ للكلام عن نفس إسحاق (صاحب الحديث)، وضع لفظة "ويقال". فيذكر من عنده خبرا عن
 نفس إسحاق بصيغة الغائب المحدث عنه. أما إذا عرض للجاحظ أن يحشر في تضاعيف الحديث الأصلي شيئا
 من عنده لأجل زيادة التعريف بأحد الخلفاء أو أحد الأشخاص المذكورين في الحديث، فكان يستعمل لفظة
 "وهو" أو "وكان". فإن أتى المؤلف برواية أخرى، عبر بقوله "وزعم فلان" أو "ولقد حدثني فلان".

فذلك كله وضعت بين شولتين مزدوجتين " " كل سطر من السطور التي ورد فيها كلام دلتى السياق
 والبحث والأستقصاء على أنه من حديث إسحاق بن إبراهيم الموصلي للجاحظ. وأغفلت من هذه الإشارة
 كل ما تأكد عندى أنه من حشو الجاحظ وأستطراداته، لأنه من ضمن عبارته، والكتاب كله له.

(عمر بن عبد العزيز)

قلت: فعمربن عبد العزيز؟

قال: «ما طُنَّ في سمعه حُرْفُ غِنَاءٍ، منذ أفضت الخلافة إليه إلى أن فارق الدنيا.»
 «فأما قبلها - وهو أمير المدينة - فكان يسمع الغناء، ولا يظهر منه إلا الأمر الجميل.»
 «وكان ربما صفق بيديه، وربما تترغ على فراشه وضرب برجليه وطرب. فأما أن»
 «يخرج عن مقدار السرور إلى السخف، فلا.»

قلت: خلفاؤنا؟^(١)أحوال العباسيين
في الشرب واللهو

قال: «كان أبو العباس في أول أيامه يظهر للندماء ثم احتجب عنهم بعد سنة.^(٢)»
 «أشار بذلك عليه أسيد بن عبد الله [الخزاعي]. وكان يطرب ويتهيج ويصبح من»
 «وراء الستارة: "أحسنْتَ والله! أعد هذا الصوت!" فيُعَاد له مراراً، فيقول في كلها: "»
 «أحسنْتَ!" وكانت فيه فضيلة لا تجدُها في أحد. كان لا يحضره نديم ولا مُغنٍّ»
 «ولا مُلهٍ فينصرف إلا بصلية أو كسوة، قلت أم كثرت.^(٣) وكان لا يؤخر إحسان»
 «مُحْسِنٍ لغدٍ، ويقول: "العجب ممن يُفرِّح إنساناً، فيتعجل السرور ويجعل ثواب من»
 «سره تسويفاً وعدة!"، فكان في كل يوم وليلة يقعد فيه لشغله، لا ينصرف أحدٌ من»
 «حضره إلا مسروراً. ولم يكن هذا العربي ولا عجمي قبله. غير أنه يُحكى عن بهرام جور»
 «ما يُقارب هذا.»^(٥)

(١) صه: خلفاء بني العباس؟

(٢) أنظر شذرات الذهب. "ج ١ ص ٢١٦"

(٣) كان من القائمين بالدعوة العباسية ومن رجالات أبي مسلم الخراساني، وكان على مقدمته عند دخوله مرو. توفي سنة ١٥٦ هـ وهو أمير خراسان (أنظر الفهارس في الطبقة وفي ابن الأثير)

(٤) أورد صاحب "محاسن الملوك" ما يضارع ذلك (ص ٣٠)

(٥) قارن ذلك بما نقله صاحب "مروج الذهب" (ج ٦ ص ١٢١ و ١٢٢).

(المنصور) ”فأما أبو جعفر المنصور، فلم يكن يظهر لنديم قط، ولا رآه أحد يشرب غير الماء.“
 ”وكان بينه وبين الستارة عشرون ذراعاً، وبين الستارة والندماء مثلها، فإذا غناه“
 ”المُعْنَى فاطر به، حَرَكَتِ الستارة بعضُ الجوارى فأطْلَعَ إليه الخادِمُ صاحبُ الستارة“
 ”فيقول: قل له: ”أحسنت! بارك الله فيك!“ وربما أَرَادَ أن يُصَفِّقَ بيديه، فيقوم عن“
 ”مجلسه ويدخل بعض حُجَر نِسائِهِ، فيكون ذاك هناك. وكان لا يُثِيب أحداً من ندمائه“
 ”وغيرهم درهماً، فيكون له رَسْمًا في ديوانٍ. ولم يُقَطِّع أحداً ممن كان يضاف إلى مُلْهِمَةِ“
 ”أو ضَحِكٍ أو هَزَلٍ موضعَ قَدَمٍ من الأرض. وكان يحفظ كلُّ ما أعطى واحداً منهم“
 ”عشر سنين ويحسبه ويذكره له.“

* وكان أبو جعفر المنصور يقول: ”مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعَ إِلَيْهِ، فَقَدْ كَافَأَ؛ وَمَنْ أَضْعَفَ،

كان مشكوراً؛ وَمَنْ شَكَرَ، كَانَ كَرِيماً؛ وَمَنْ عَلِمَ أَنْ مَاصِغَ فُلَيْ نَفْسِهِ صَنِيعٌ، لَمْ يَسْتَبْطِئْ
 ١٠ النَّاسَ فِي شُكْرِهِمْ وَلَمْ يَسْتَرْدِهِمْ فِي مُوَدَّتِهِمْ. وَلَا تَلْتَمَسْ مِنْ غَيْرِكَ شُكْرَ مَا أَلَيْتَهُ إِلَى
 نَفْسِكَ وَوَقِيتَ بِهِ عِرْضَكَ. وَأَعْلَمُ أَنَّ الطَّالِبَ إِلَيْكَ الْحَاجَّةَ لَمْ يُكْرِمْ وَجْهَهُ عَنْ
 مَسْأَلَتِكَ، فَأَكْرِمْ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ.“*

(المهدي) ”وكان المهديُّ في أوَّل أمره يحتجِب عن الندماء، متشَبِّهاً بالمنصور نحوه من سنة.“
 ”ثم ظهر لهم. فأشارَ عليه أبو عَوْنٍ^(٢) بأن يحتجِب عنهم، فقال: «إليك عني، يا جاهل!»“
 ١٥

(١) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين** منقولة عن صـ. وهي استطرادٌ أجنيٌّ من موضوع الحديث.

(٢) هو عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي. كان من أهل الرأي ومن وجوه الشيعة القائمين بالدعوة
 العباسية، ومن قواد أبي مسلم الخواساني. وكان له بلاء حسن في تمهيد الأمر لبني العباس. دخل بجندوه
 دمشق عنوة من باب كيسان ثم تعقب مروان بن محمد الجعدي إلى مصر عند هربه إليها، وفيها قتله. وبقي فيها
 ومعه السلاح والأموال والرفيق. فولاه عليها أبو العباس السفاح مرتين: الأولى من شعبان سنة ١٣٣ =
 ٢٠

”إنما اللذة في مشاهدة السرور وفي الدُّنُوِّ من سرِّي. فأما من وراء وراء، فما خيرها“
 ”ولذتها؟ ولولم يكن في الظهور للندماء والإخوان إلا أنِّي أُعطيهم من السرور“
 ”بمُشاهدتي مثل الذي يُعطونني من فوائدهم، جعلتُ لهم في ذلك حظاً مُوفِّراً.“ وكان“
 ”كثير العطايا، يوارثها. قلَّ من حضره إلا أغناه. وكان لَيْنَ العريكة، سَهْلَ الشريعة،“
 ”لذيد المندامة، قصير المناومة، ما يَمَلُّ نديماً ولا يتركه إلا عن ضرورة، قطع الحنا،“
 ”صبوراً على الجلوس، ضاحك السنِّ، قليل الأذى والبذاء.“

”وكان الهادي شَكِسَ الأخلاق، صعب المرام، قليل الإغضاء، سيِّئ الظنِّ. قلَّ“
 ”من توقَّاه وعرف أخلاقه، إلا أغناه. وما كان شَيْءٌ أبغضَ إليه من ابتدائه بسؤال.“
 ”وكان يأمر للغنى بالمال الخطير الجزيل، فيقول: «لا يُعطيني بعدها شَيْءاً»، فيعطيه“
 ”وبعد أيام مثل تلك العطيَّة.“

= إلى سنة ١٣٥. وهو الذي أمر أصحابه بالبناء في الأرض الفضاء التي محلها الآن جامع ابن طولون. وبخ
 هو هنالك دار الإمارة ومسجداً عُرف بجامع العسكر. ولذلك سُمي المكان كله بأسم العسكر من ذلك الوقت،
 وصار فيما بعد مدينة عامرة. ثم أرسله أبو العباس السفاح على رأس الجيش المتوجه إلى المغرب في جمادى الآخرة
 سنة ١٣٦. ولكن الخليفة مات، فغاء أمر الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور بالعدول عن هذه الغزوة. فأقام
 أبو عون ببرقة شهراً. ثم عاد إلى مصر بجيشه فذهب إلى فلسطين لحرب الخوارج. فهزمهم وقتل منهم جماعة غفيرة،
 وأرسل إلى مصر ثلاثة آلاف رأس. ثم تولى خراج مصر وصلاتها بطريق النيابة حتى جاءه التقليد في ٢٠ رمضان
 سنة ١٣٧. وأقام في هذه الولاية الثانية ثلاث سنين وستة أشهر. وعاد إلى مصاحبة المنصور وحضر معه واقعة
 الراوندية. فلما أفضت الخلافة إلى المهدي، استعمله على خراسان سنة ١٥٩ ثم عزله عنها سنة ١٦١. (أنظر
 الأغاني وآبن الأثير وأبي المحاسن تغري بردي، في فهرسها)

(١) ص: . وافرها.

(٢) س: قصير المياومة والملايلة.

(٣) س: النظر.

ويقال إنه قال يوما، وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي ومُعَاذُ بْنُ الطَّبِيبِ
 -وكان أول يوم دخل عليه مُعَاذُ وكان حاذقا بالآغاني عارفا بها: مَنْ أَطْرَبَنِي الْيَوْمَ
 مِنْكُمْ فَلَهُ حُكْمُهُ. فغناه ابن جامع غناء لم يحتركه، وكان إبراهيم قد فهم غرضه فغناه:
 سَلِّمِي أَجْمَعْتَ بَيْنَنَا. * فَإِنَّ تَقُولُهَا إِنَّا؟^(١)

٢٧

فطرب حتى قام عن مجلسه ورفع صوته، وقال: "أَعِدْ بِاللَّهِ، وَبِحَيَاتِي!" فأعاد،
 فقال: "أَنْتَ صَاحِبِي فَاحْتَكِمْ" فقال إبراهيم: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَاطَّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ
 مُرْوَانَ وَعَيْنُهُ الْخَزَارَةُ بِالْمَدِينَةِ! قَالَ: فَدَارَتْ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ حَتَّى صَارَتَا كَأَنَّهُمَا
 جَمْرَتَانِ ثُمَّ قَالَ: «يَا ابْنَ الْغَنَاءِ! أَرَدْتُ أَنْ تَسْمَعَ الْعَامَّةُ أَنَّكَ أَطْرَبْتَنِي، وَأَنْتَى حَكَمْتُكَ
 فَأَقْطَعْتُكَ! [أَمَّا وَاللَّهِ] لَوْلَا بَادِرَةُ جَهْلِكَ الَّتِي غَلَبَتْ عَلَى صَحِيحِ عَقْلِكَ وَفِكَرِكَ،
 لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ!» ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْيَةً. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَرَأَيْتُ مَلِكَ الْمَوْتِ قَائِمًا
 بَيْنِي وَبَيْنَهُ يَنْتَظِرُ أَمْرَهُ: ثُمَّ دَعَا إِبْرَاهِيمَ الْحَرَّانِيَّ، فَقَالَ: «خُذْ بَيْدَ هَذَا الْجَاهِلِ،
 فَأَدْخِلْهُ بَيْتَ الْمَالِ، فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ مَا شَاءَ!» فَأَخَذَ الْحَرَّانِيُّ بِيَدِي حَتَّى دَخَلَ بِي بَيْتَ

(١) صه: مَنْ.

(٢) "تقولها" هنا مثل "تظنها" معنى وعملاً. وقد تحرفت هذه الكلمة في كثير من كتب الأدب المطبوعة.

وهذه القصة التي ذكرها الجاحظ أوردها الطبري أيضاً (سلسلة ٣ ص ٥٩٥) باختلاف قليل، وهي غير
 واردة في الآغاني، وإنما هناك حكاية أخرى وفيها الأبيات بأكملها. (أنظر ج ٢١ ص ١٦٦)

(٣) أي بسنان.

(٤) الينبوع الذي يخرج منه جدول يتدفق مائه.

(٥) الزيادة عن الطبري (سلسلة ٣ ص ٥٩٦).

(٦) هو عدیل هارون الرشید. وكان من ندماء الهادي وهو ولي العهد. ويظهر من كلام ابن الأثير
 أنه كان قتيلاً على خزائن الأموال في أيام الهادي. (الآغاني ج ٦ ص ٦٧ وج ١٧ ص ١٧)

المال، فقال: كم تأخذ؟ فقلت: مائة بكرة. فقال: دعني أوامره. قلت: فأخذ تسعين.^(١)
قال: حتى أوامره. قلت: فثمانين. قال: لا. فأبى إلا أن يؤامره، فعرفت غرضه،
فقلت له: أخذ سبعين لي، ولك ثلاثون. قال شأنك! قال: فأنصرفت بسبعائة ألف،
وأنصرفت ملك الموت عن الدار.^(٣)

قال: ^(٤) "وكان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور، يمتثلها كلها إلا في العطايا"
و"والصلوات والخلع. فإنه كان يقفو فعل أبي العباس والمهدي. ومن خبرك أنه رآه"
و"قط وهو يشرب إلا الماء، فكذبته".^(٥) وكان لا يحضر شربه إلا خاص جواريه. وربما
و"طرب للغناء فتحرك حركة بين الحركتين في القلة والكثرة."

وهو من بين خلفاء بني العباس من جعل للغنم مراتب وطبقات، على نحو

(١) البكرة في الأصل جلد السخلة (أي ولد الضائنة أو الماعزة). كانوا يضعون فيها الأموال، ثم أطلقوا
أسماها على المال نفسه مجازاً. والمستفاد من كتب اللغة أن البكرة كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم
أو سبعة آلاف دينار. ورواية الجاحظ هنا تدل على أن مقدارها في أيام العباسيين كان عشرة آلاف درهم.
(٢) في سه، صه، شارك. وفي الطبري: "قال الآن جئت بالحق، فشأنك!" (سلسلة ٣ ص ٥٩٦)

(٣) أورد صاحب "مخاسن الملوك" هذه القصة باختصار ألفاظ الجاحظ. (ص ٣٠ و ٣١)

(٤) أي إسحاق بن إبراهيم الموصلي راوى هذه الحكاية كلها للؤلؤ.
(٥) هذا النص الصريح يؤيد رأى ابن خلدون في مقدمته (ص ١٤). وذلك أن "إلا" هنا معناها
"غير"، كما وردت في غير ما آية قرآنية وبيت شعري. فيكون المعنى الذي أرادته محدث الجاحظ: لو خبرك
إنسان بأنه رأى هارون وهو يشرب شراباً غير الماء، فأعلم أنه كاذب. لأن الرشيد، كان إذا أراد الشرب، فإنما
يشرب بمحضرة خاص جواريه دون سائر الناس، بحيث لم يره أحد يشرب شيئاً سوى الماء، حتى يجوز له الإخبار
بذلك عنه [وانظر ص ١٥٣ من هذا الكتاب]. يؤيد ذلك ما وقع له مع ابن بختيشوع بشأن السمكة التي
منعه الطيب من أكلها. (مروج الذهب ج ٦ ص ٣٠٥ - ٣٠٦؛ وعبود الأنبياء ج ١ ص ١٢٩)

ما وضعهم أردشير بن بابك وأنوشروان. فكان إبراهيم [الموصلى] ^(١) و [إسماعيل أبو القاسم] ^(٢) ابن جامع وزلز [منصور الضارب] في الطبقة الأولى. وكان زلز ^(٣) يضرب، ويُغنى هذان عليه.

(١) الأسماء والكُنَى والا لقاب الموضوعة بين [في هذه الصفحة والتي تليها مأخوذة عن الأغاني لأبي الفرج.

(٢) كان زلز هذا من يضرب به المثل في حسن الضرب بالعود وكان من الأجواد. وقد اشتهر في أيام المهديّ والهادي والرشد. ومن آثاره العمرانية بركة أنشأها في بغداد ووقفها على المسلمين، فأشتهرت باسمه: واشتهرت المحلة الكائنة فيها باسمها. قال فيها نبطويه النحوى:

لَوَأَنَّ زُهَيْرًا وَأَمْرًا الْقَيْسَ أَبْصَرَ * مَلَاَحَةً مَا تَحْوِيهِ بَرَكَةُ زَلْزَلِ،
لَمَّا وَصَفَا سَلْمَى وَلَا أُمَّ جُنْدُبٍ * وَلَا أَكْثَرَ ذِكْرَ الدَّخُولِ قَحْوَمِلِ.
وقد أكثر الشعراء من ذكرها.

غضب عليه الرشيد فحبسه سنين. وكانت أخته تحت إبراهيم الموصلى، فقال إبراهيم فيه:
هَلْ دَهْرُنَا بِكَ عَائِدٌ يَا زَلْزَلُ * أَيَّامٌ يَبْغِيهَا الْعَدُوُّ الْمَبْطُلُ،
أَيَّامٌ أَنْتَ مِنَ الْمَكَارِهِ آمِنٌ * وَالْخَيْرُ مُتَسَعِّعٌ عَلَيْنَا مُقْبِلُ؟
يَا بُؤْسَ مَنْ فَقَدَ الْإِمَامَ وَقُرْبَهُ! * مَا ذَا بِهِ مِنْ ذِلَّةٍ، لَوْ يَعْقِلُ؟
مَا زِلْتُ بِعَدِّكَ فِي الْهَمُومِ مُرَدِّدًا * أَبْكِي بِأَرْبَعَةٍ كَأَنِّي مُشْكَلُ.

فرضى عنه الرشيد وأخرجه من الحبس. (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٩٢ وج ٤ ص ١٢٣ و ٢٥٢؛ وأنظر شفاء الغليل للنفاجي ص ١١٧؛ والأغاني ج ٥ ص ٢٢)

(٣) أى صاحبه الاخوان وهما إبراهيم الموصلى وابن جامع. والذي جاء "في الأغاني" (ج ٥ ص ٤٠) أن إبراهيم الموصلى وزلزلا وبرصوما اجتمعوا بين يدي الرشيد فضرب زلز وزمر برصوما وغنى إبراهيم:

صَحَا قَلْبِي وَرَاغٌ إِلَى عَقْلِي * وَأَقْصَرَ بَاطِلِي وَنَسِيتُ جَهْلِي.
رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ، وَكُنَّ خُزْرًا * إِلَى، صَرْمَنِي وَقَطَعَنَ حَبْلِي.

فطرب هارون حتى وثب على رجله وصاح: يا آدم! لو رأيت من يحضرني من ولدك اليوم، لسرك! ثم جلس

والطبقة الثانية سُليم بن سلام ^(١) [أبو عبيد الله الكوفي] وعمرو الغزال ^(٢) ومن أشبههما.
والطبقة الثالثة أصحاب المعازف والونج والطناير. وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوائزهم
وصلاتهم. وكان إذا وصل واحداً من الطبقة الأولى بالمال الكثير الخطير، جعل
لصاحبيه اللذين معه في الطبقة نصيباً منه، وجعل للطبقتين اللتين تليانه منه أيضاً
نصيباً. وإذا وصل أحداً من الطبقتين الأخريين بصلة، لم يقبل واحداً من الطبقة
العالية منه درهما، ولا يجترئ أن يعرض ذلك عليه.

قال: ^(٣) "فسأل الرشيد يوماً برصوما الزاهر، فقال له: يا إسحاق! ما تقول في آبن"
"جامع؟ فحرك رأسه [و] قال: نَحْرُ قُطْرُبْلٍ، يَعْقِلُ الرَّجُلَ وَيُذِيبُ الْعَقْلَ. قال: "
"فما تقول في إبراهيم الموصلي؟ قال: بستان فيه خوخ وكُمُزْيُ وتَفَّاح وشوكٌ وحُرُوبٌ."
"قال: فما تقول في سليم بن سلام؟ فقال: ما أحسن خضابه! قال: فما تقول"
"في عمرو الغزال؟ قال: ما أحسن بنانه! ^(٤)"

قال: وكان منصورٌ زلزل من أحسن وأحذق من برأ الله بالجس. فكان إذا جسَّ
العود، فلو سمعه الأحنف ومن تحالم في دهره كله، لم يملك نفسه حتى يطرب.

= وقال: استغفر الله!

وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٧) أن زلزلاً كان يضرب على إبراهيم، يعني الموصلي.
(١) صه: سليمان بن سلامة (وهكذا في بقية الحكاية).
(٢) في سه، صه: "الغزال" بالعين المهملة (وهكذا في بقية الحكاية). وقد اعتمدت ما أورده
صاحب الأغاني (ج ١١ ص ٣٤ و ٧٧ و ج ٢٠ ص ٦٤ و ٦٥).
(٣) أي إسحاق بن إبراهيم الموصلي راوى الحكاية للمحافظ.
(٤) سه: "نيابة". وفي الأغاني (ج ٦ ص ٧٢) أن برصوما الزامر ذكر إبراهيم الموصلي وآبن
جامع، فقال: "الموصلي بستان تجد فيه الحلو والحامض، وطرياً لم ينضج، فتأكل منه من ذا ومن ذا؛ وآبن
جامع زق عسل، إن فتحت فخرج عسل حلو، وإن خرقت جنبه خرج عسل حلو، وإن فتحت يده خرج عسل
حلو: كله جيد."

(٥) هو أبو بجر الضحاك بن قيس. ينتهي نسبه إلى زيد مناة. وهو الذي يضرب به المثل في الحلم. وكان
آية في الجدة والوفار. (أنظر ترجمته في آبن خلكان والأغاني وغيرهما).

١٥

٢٠

٢٥

(١) قال إبراهيم : فغَنَيْتُ يوماً على ضربه ، فخطَّاني . فقلت لصاحب الستارة : هو والله أخطأ ! قال : فرفع الستارة ، ثم قال : يقول لك أمير المؤمنين : أنت والله أخطأت ! فحَمِي زَلْزَلُ وقال : يا إبراهيم ، تخطئني ؟ فوالله ما فتح أحدٌ من المغنين فاهُ بغير لَفْظٍ إِلَّا عَرَفْتُ غَرَضَهُ ! فكيف أُخطئُ وهذه حالي ؟ فأذاها صاحبُ الستارة ، فقال الرشيد : قل له : صدقت ! أنت كما وصفت نفسك ، وكذَّبَ إبراهيم وأخطأ . قال إبراهيم : فغمَني ذلك ، فقلت لصاحب الستارة : أبلغ أمير المؤمنين ، سيدي ومولاي ، أن بفارس رجلاً يقال له سُنَيْدٌ ، لم يَخْلُقْ اللهَ أضربَ منه بعود ولا أحسنَ بحَسٍّ ، وإن بعث إليه أمير المؤمنين فحمله عرف فضله وتغنيتُ على ضربه . فإن زَلْزَلًا يُكَايِدُنِي مُكَايِدَةَ الْقَصَاصِ وَالْقَرَادِينِ . قال : فوجه الرشيد إلى الفارسي فحَمِلَ على البريد ، فأفلق ذلك زَلْزَلًا وغمّه . فلما قدم بالفارسي ، أحضرنا وأخذنا مجالسنا وجاؤا بالعيدان قد سُويَتْ . وكذلك كان يُفَعَّلُ في مجلس الخلافة ، ليس يُدْفَعُ إلى أحدٍ عودُهُ فيحتاج إلى أن يحركه لأنها قد سُويَتْ وعُلِّقَتْ مثلها مُشَاكَلَةً لِلزَّيْرِ (٢) على الدقة والغلظ . قال : فلما وُضِعَ عود الفارسي في يديه ، نظر إليه منصور زلزل ، فأسفر وجهه وأشرق لونه . فضرب وتغنّى عليه إبراهيم . ثم قال صاحب الستارة لزَلْزَل : يا منصور : اضرب ! قال : فلما جَسَّ العود ، ماتمالك الفارسي أن وثب من مجلسه بغير إذْنٍ حتَّى قبل رأس زَلْزَلٍ وأطرافه ، وقال : مِثْلُكَ - جُعِلْتُ فداك ! -

(١) أي إبراهيم الموصلي حكاية عن نفسه . وهذه القصة من استطرادات الجاحظ أيضا

(٢) لم يذكره صاحب الأغاني ، ولم يورد هذه الحكاية . وهي غير واردة في صه .

(٣) جمع زير ، مثل ديك وديكة . والزير هو الوتر الدقيق من الأوتار وأحكمها فتلا (في عود الطرب) .

فكان المؤلف قال : وعُلِّقَتْ مثاله مشاكلةً لمثانيه . قال المفضل بن سلمة النحوي في كتاب الملاحى مانصه :

”ويقال لأوتاره [أي العود] المحابض واحدها محبض وهي الشرع واحدها شرعة . فنها الزير ، والذي يليه المثنى ومنهم من يسميه الثاني ، والمثلث ومنهم من يسميه الثالث ، والهم . ويقال للتي يسميها الفرس دساتين ، العتب . وكل ذلك قد جاء في الشعر .“

لَا يُتَمَنَّى وَيُسْتَعْمَلُ بِمِثْلِكَ يُعَبَّدُ. فعجب الرشيد من قوله وعرف فضيلة زلزل على
الفارسي، فأمر له بصلة وردّه إلى بلده.

* وكان منصور زلزل من أسخى الناس وأكرمهم. نزل بين ظهراني قوم، وقد
كان يحلّ لهم أخذ الزكاة. فما مات حتى وجبت عليهم الزكاة.*^(١)

وكان إسحاق برصوماً في الطبقة الثانية. قال: فطرب الرشيد يوماً لزمّره، فقال:

«له صاحب الستارة: يا إسحاق! أزمّر على غناء ابن جامع. قال: لا أفعل. قال: يقول»

«لك أمير المؤمنين، ولا تفعل؟ قال: إن كنت أزمّر على الطبقة العالية، رُفِعَتْ إليها.»

«فأما أن أكون في الطبقة الثانية وأزمّر على الأولى، فلا أفعل! فقال الرشيد لصاحب»

«الستارة: ارفعه إلى الطبقة الأولى، فإذا قمت، فأدفع البساط الذي في مجلسهم إليه.»

«رفّع إسحاق إلى الطبقة العالية وأخذ البساط، وكان يساوي ألفي دينار. فلما حمله إلى»^(٢)

«منزله استبشرت به أمّه وأخواته. وكانت أمّه نبطيّة لكّاء. فخرج برصوماً عن منزله»

«لبعض حوائجه، وجاء نساء جيرانه يهنّئنه أمّه بما خُصّ به دون أصحابه ويدعون لها.»

«فأخذت سيكناً وجعلت تقطع لكل من دخل عليها قطعة من البساط، حتى أتت على»

«أكثره. فجاء برصوماً فإذا البساط قد تَقَسَّمَ بالسكاكين. فقال: وَيْلَكَ! ما صنعت؟»

«قالت: لم أدري، ظننت أنه كذا يُقَسَّم. فحدث الرشيد بذلك، فضحك ووهب له آخر.»

«وزعم سعيد بن وهب أن إبراهيم الموصلي غنى أمير المؤمنين هارون صوتاً، فكاد»^(٣)

(١) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن صـ.

(٢) التي لا تقيم العربية لعجمة لسانها. (فأمّوس)

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن وهب البصري. كان كاتباً شاعراً مطبوعاً. مات في أيام المأمون. (أنظر أخباره

يطير طرباً، فاستعاده عاقبة ليله، وقال: «مارأيت صوتاً يجمع السخاء والطرب وجودة الصنعة والسخف غير هذا الصوت!» فأقبل إبراهيم، فقال: «يا أمير المؤمنين! لو وهبك إنسان مائة ألف درهم، أو لو وجدت مائة ألف درهم مطروحة، كنت أسربها أو بهذا الصوت؟» قال: «والله لأنا أسرب هذا الصوت مني بألف ألف، وألف ألف!» قال: «فلو فقدت من بيت مالك مائة ألف كان أشد عليك، أو لو فقدت هذا الصوت وفاتك هذا السرور؟» قال: «بل ألف ألف، وألف ألف أهون علي.» قال: «فلم لا تهب مائة ألف أو مائتي ألف لمن أتاك بشيء فقد ألفي ألف أهون عليك منه؟» فأمر^(١) [له] بمائتي ألف درهم.*

قلت لإسحاق: فالمخلوع^(٢)، أين كان من ذكرت؟ (الامين)

قال: «وما كان أعجب أمره كله! فاما تبدله، فما كان يبالى أين قعد ومع من قعد.»
 «وكان، لو كان بينه وبين ندمائه مائة حجاب، خرّقها كلها وألقاها عن وجهه حتى»
 «يقعد حيث قعدوا. وكان من أعطى الخلق لذهب وفضة، وأنهم للأموال إذا»
 «طرب أولها. وقد رأيته وقد أمر لبعض أهل بيته في ليلة بوقر زورق ذهباً،»
 «فأنصرف به. وأمر لي ذات ليلة بأربعين ألف دينار، فحملت أمامي. ولقد غناه»
 «إبراهيم بن المهدي غناء لم أرتضه. فقام عن مجلسه فأكب عليه فقبل رأسه. فقام»

(١) هذه الجملة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن صـ.

(٢) يعنى الأمين الخليفة العباسي. وبذلك اللقب يسميه أغلب الكتاب والمؤرخين المعاصرين له أو الذين بعده بقليل، لقرب عهدهم بخلعه وأشهره بينهم. وشاهد ذلك بين أيدينا الآن، فإن الأتراك لا يسمون السلطان عبد الحميد في كتاباتهم وأحاديثهم إلا بأسم «المخلوع».

(٣) الإشارة إلى إبراهيم بن المهدي عم الخليفة. (أنظر الأغاني ج ٩ ص ٧١)

(٤) الضمير يعود إلى راوى الحكاية وهو إسحاق بن إبراهيم الموصلي.

وإبراهيم فقبل ما وطئت رجلاه من بساطه. فأمر له بمائتي ألف دينار. ولقد رأيته^(١)
 وريوما، وعلى رأسه بعض غلبانه، فنظر إليه فقال: وَيْلَكَ! ثيابك هذه تحتاج إلى أن
 تُغسل. انطلق، خذ ثلاثين بكرة، فأغسل بها ثيابك.“

ولقد حدثني علويته [الأعرس وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سيف] عنه
 قال: لما أحيط به وبلغت حجارة المنجنيق بساطه، كما عنده فغنته جارية له بغناء
 تركت فيه شيئا لم تُجد حكايته. فصاح: يا زانية! تغنيني الخطأ! خذوها! فحملت.
 وكان آخر العهد بها.

(المأمون)

قلت: فالمأمون؟

قال: ووأقام بعد قدومه عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الغناء. ثم سمعه من وراء
 حجاب، متشبهًا بالرشيد. فكان كذلك سبع حجج. ثم ظهر للندماء والمغنين.
 قال: وكان حين أحب السماع ظاهرا بعينه، أكبر ذاك أهل بيته وبنو أبيه.
 ويقال إنه سأل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي فغمزه بعض من حضر، وقالوا:
 ما يغادر تيها وبأوا^(٢). فأمسك عن ذكره. قال: فجاء زُرُور يوما فقال له: يا إسحاق،
 نحن اليوم عند أمير المؤمنين! فقال إسحاق: فغنه بهذا الشعر:

(١) الزيادة التي بين [] عن كتاب الأغاني لأبي الفرج.

(٢) كان المأمون يعقد مجلسا لتفريق الأرزاق، فكان إسحاق هذا أول من يدخل عليه في طائفة
 الوزراء، ثم القواد، ثم القضاة، ثم الفقهاء، والمعدلين، ثم الشعراء ثم المغنين، ثم الرماة في الهدف. (عن ذيل
 أمالي القالي ص ٩٠)

(٣) البأوهو الفخر والكبر والته. قال حاتم الطائي:

فأزادنا بأوا على ذى قساية * غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقر.

وأنظر هذه القصة أيضا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٤).

يَا سَرَحَةَ الْمَاءِ قَدَسُدْتُ مَوَارِدَهُ، * أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْدُودٍ؟
لِحَسَائِمِ حَامٍ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ * مَحَلًّا عَنِ سَبِيلِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ.

فلما غناه به زُرْزُر، أطربه وأبهجه وحرك له جوارحه. وقال: ويلك! من هذا؟

(١) وردت هذه الكلمة هكذا: "سرحة" في سه، صه وفي "الأغاني" والطبري و"معجم الأدباء"، وأكثر كتب الأدب التي وقعت لنا، ومنها محاسن الملوك. وأما صاحب العقد الفريد فقد روى صدر البيت هكذا: "يا مشرع الماء". والرواية الأولى هي الأصدق والأصوب، وإن كانت الثانية فيها شبهة من جهة المعنى. والسَّرحَةُ شجرة عظيمة بلا شوك تنبت في بلاد العرب وفي نجد خصوصاً، وورقها أخضر دائماً، وهي جميلة المنظر. [ويسمونها أهل شقبيط (آتيل)]. وفي أشعارهم "ذو السَّرح" وهو موضع يسمى عندهم باللغة البربرية "إنواتيل" وهو تعريب له كما ترى. استفدت ذلك من الأستاذ الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي. ومثل ذلك في بلاد العرب مواضع كثيرة مثل السرحة، وذات السرح، وذو السرح. (أنظر ياقوت ج ٢ ص ٥٠٣، ج ٤ ص ٤٨٠؛ وج ٣ ص ٢٨٦؛ وج ١ ص ٥٣٦، ٥٨٠، ج ٣ ص ٧٨٢)

وأصل الكناية عن المرأة بالسرحة أن عمر بن الخطاب أنذر الشعراء بالجلد إذا هم شربوا بالنساء. فقال حميد ابن قور في ضمن قصيدة له:

رَأَيْتُ إِنْ عَلَلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ * مِنْ السَّرحِ مَوْجُودٌ عَلَى طَرِيقٍ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ سَرْحَةً مَالِكٍ * عَلَى كُلِّ سَرْحَاتٍ الْعِضَاءُ تَرُوقُ

(وأنظر ياقوت ج ٣ ص ٧١).

هذا وقد أورد صاحب "لسان العرب" البيهقي الذين نحن بصددهما وقال كنى بالسرحة النابتة على الماء عن المرأة، لأنها حينئذ أحسن ما تكون. (أنظر مادة سرح)

(٢) في صه: "حيام"، وكذلك في الأغاني (ج ٩ ص ٦١)، وفيه "حوام" (ج ٥ ص ١٠٦). وقد أورد هذه الحكاية باسم علويه بدلا من زرزر وأضاف بيانات أخرى. ولكنها هنا أوفى وأكمل.

(٣) ممنوع أى مطرود.

(٤) في الأغاني في الموضعين المذكورين: "طريق". وكذلك في صه. وفي لسان العرب: "طريق الورد".

(٥) استحسن الأصمعي هذا الشعر وقال: "غير أن هذه الحاءات لو اجتمعت في آية الكرسي، لعابتها".

(عن الوسيط في تراجم أدباء شقبيط للأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطي، طبع القاهرة سنة ١٩١١ - ص ٣١١)

قال: عبدك المجفؤ المطرَح، ياسيِّدى، إسحاق. قال: يحضر الساعة. فجاءه رسوله، وإسحاق مستعدٌّ، قد عَلِمَ أنه إن سمع الغناء من مُجيدٍ مؤدٍّ أنه سيبيث إليه. فجاءه الرسول. ^(١) فحدث أنه لما دخل عليه ودنا منه، مَدَّ يده إليه ثم قال: أدن مني! فأكبَّ عليه واحتضنه المأمونُ وأدناه وأقبل عليه بوجهه مُضغياً إليه ومسروراً به. ^(٢)



مباشرة
الملك لندما

ومن أخلاق الملك السعيد ترك القطوب في المنادمة، وقلة التحفظ على ندمائه، ^(٣) و [لا] سِيماً إذا غلب أحدُهم على عقله، وكان غيره أملك به منه بنفسه.



وللسكر حد إذا بلغه نديمُ الملك، فأجلُّ الأمور وأحراها بأخلاقه أن لا يؤاخذَه زِلَّةٌ إن سبقته، ولا بلفظةٍ إن غلبت لسانه، ولا بهفوةٍ كانت إحدى خواطره.

حد الإغضاء
عن الزلات

والحد في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له، وإن خلى ونفسه رمى بها في مهواة، وإن أراد أحدٌ أخذ ثيابه لم يمانعه.

مواطن
المعاقبة عليها

فأما إذا كان ممن يعرف ما يأتي وما يذر، وكان إذا رام أحدٌ أخذ مامعه قاتله دونه، وكان إذا شتم غَضِبَ وانتصر، وإذا تكلم أفصح وقلَّ سقطه: فإذا كانت هذه صفته ثم جاءت منه زِلَّةٌ، فعلى عمْدٍ أتاها وبقصدٍ فعلها. فالملك جديرٌ أن يعاقبه بقدر ذنبه. فإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه، قدح في عزه وسلطانه. ^(٤)

(١) الضمير للجاحظ.

(٢) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة بالفاظ الجاحظ مختصرة. (ص ٦١)

(٣) لاشك أن أداة النفي (لا) قد سقطت من عبارة الجاحظ. وقد نصوا على وجوبها واستشهدوا بقول امرئ القيس * ولا سيّما يوم بدارة جُلجل * وأكد أئمة اللغة أن من أهمها فقد أخطأ. (أنظر التسهيل وشرحه وخاتمة الأشموني في باب الاستثناء، وأنظر البيان الوافي في "تاج العروس" (مادة س وى). [وأنظر

أيضاً ص ١٥٧ من هذا الكتاب.]

(٤) أى لنفسه.

الاقتصاد
في العقوبة

ومن الحق على الملك أن لا يجاوز بأهل الجرائم عقوبة جرائمهم. فإن لكل ذنب عقوبة: إما في الشريعة والنواميس، وإما في الإجماع والأصطلاح. فمن ترك العقوبة في موضعها، فبالحرى أن يعاقب من لا ذنب له. وليس بين ترك العقوبة (إذا وجبت) وعقوبة من لا ذنب له، فرق. وإنما وضع الله الملوك بهذه المواضع الرفيعة ليقيموا كل ميل ويدعموا كل إقامة.



ومن أخلاق الملك أن لا يشارك بطانته وندماءه في مسّ طيب ولا نجس. فإن هذا وما أشبهه يرتفع الملك فيه عن مساواة أحد.

نفرد الملك بالطيب
والنجس ونحوهما

وكذا يجب على بطانة الملك وقربته أن لا يمسّوا طيبا إذا تطيب، لينفرد الملك بذلك دونهم.

وليس الطيب كالطعام والشراب للذين لا بدّ من مشاركة الندماء فيهما. فإما كل ما أمكن الملك أن ينفرد به دون خاصته وحامته، فمن أخلاقه أن لا يشارك أحدا فيه.

وكذا حكى عن أنوشروان ومعاوية بن أبي سفيان. وبعض أهل العلم يحكى عن الرشيد ما يقرب من هذا.

وأولى الأمور بأخلاق الملك - إن أمكنه التفرد بالماء والهواء - أن لا يشرك فيهما أحدا. فإن البهاء والعز والأبهة في التفرد.

(١) نهى صاحب القاموس عن استعمال "القرابة" بمعنى الأقارب، ونسب الجوهري إلى العامة، ووافقهما الأكثرون ومنهم الحريري في "درة القواص". ومن رأيهم أن الواجب أن يقال "ذو القرابة". ولكن هذا اللفظ ورد بهذا المعنى في الحديث الشريف، وعليه جرى الجاحظ في جميع هذا الكتاب. (وأنظر التفصيل في تاج العروس في مادة ق رب)

(٢) الحامة هي العامة، وأيضا أخصاء الرجل من أهله وولده وذوى قرابته.

سنة ملوك
الفرس في ذلك

(١) ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك، لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا شيئاً تعجز عنه الرعية، أو يترقبوا يرى يتهون الرعية عن مثله.

(٢) فمن ذلك أردشير بن بابك، وكان أنبل ملوك بني ساسان. كان إذا وضع التاج على رأسه، لم يضع أحداً في المملكة على رأسه قضيب ریحان متشبهاً به. وكان إذا ركب في لبسة، لم ير على أحد مثلها. وإذا تخم بجاتم، فحرام على أهل المملكة أن يتختموا بمثل ذلك الفص، وإن بعد في التشابه.

٢٧

سنة سادات العرب
والخلفاء في ذلك

وهذه من فضائل الملوك. وطاعة أهل المملكة أن تتحامي أكثر زى الملك وأكثر أحواله وشيمه، حتى لا يأتى مالا بد لها منه. وهذا أبو أحيحة سعيد بن العاص. كان إذا أتم بمكة لم يعتم أحد بعمه مادامت على رأسه.

(٥) وهذا المجاج بن يوسف. كان إذا وضع على رأسه طويلة، لم يجترئ أحد من خلق الله أن يدخل وعلى رأسه مثلها.

وهذا غبدر الملك بن مروان. كان إذا لبس الخف الأصفر، لم يلبس أحد من الخلق خفاً أصفر حتى يزرعه.

(١) في سه، صه : يفعل.

(٢) صه : أمثل.

(٣) حالة من حالات اللبس.

(٤) أول من روى ذلك ابن الكلبي في كتاب الأصنام الموجودة نسخته الوحيدة المعروفة في العالم بخزانة كتي. قال (في ص ٢٠ من الأصل و ٢٠ من طبعنا): "وكان سعيد بن العاص أبو أحيحة يعتم بمكة. فإذا أتم لم يعتم أحد بلون عمامته". وروى ذلك أيضاً ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص ٢٩) وقال إنه ذوالعمامة وإن "أحيحة تصغير أحة وهو ما يحبه الإنسان في قلبه من حرارة غيظ وحر. والأحة والأحاح واحد وقد استقصينا هذا في كتاب الجهرة".

(٥) أى قلنسوة طويلة عالية. وكان هذا النوع من الفلاس خاصة بالأمراء، وبالقضاة أيضاً (كما نذكر على ذلك عبارة البيهقي في "الهاشن والمساوي" ص ٢١٣).

١٥

٢٠

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس . دخل على [أحمد] ابن أبي دؤاد^(٢) [بن علي]
وعليه مبطنة ملونة من أحسن ثوب في الأرض ، وقد أتم على رأسه رصافية بعمامة^(٣)
خرسوداء لها طرفان خلفه وأمامه ، وعليه خف أصفر ، وفي يده عكازة ابنوس ملوح
بذهب ، وفي إصبعه فص ياقوت تضيء يده منه . فنظر إلى هيئة ملائكة^(٤) قلبه ، وكان
جسما ، فقال : "يا إبراهيم ! لقد جئتني في لبسة وهيئة ماتصلح إلا لواحد من الخلق ."^(٥)
فأنصرف فلم يأت به حتى مات .

وحدثني أبو حسان الزبادي^(٦) (وذكر الفضل بن سهل فترحم عليه) وقال : وجه
إلى في ليلة - وقد أويت إلى فراشي - رسولا فقال : يقول لك ذو الرياستين :

(١) أي من عهد قريب من المؤلف . وأنظر ص ١٠٤ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٢٦ من هذا الكتاب

(٢) من أكابر رجالات بني العباس وخصوصا في دولة المأمون والمعتصم والواثق .

(٣) هذه العبارة توضح لنا ما لم يتيسر للعلامة دوزي Dozy الوقوف عليه أثناء تأليفه لمعجم الثياب عند

العرب Dictionnaire des Vêtements chez les Arabes . فيؤخذ من كلام الجاحظ هنا

ومما يليه بأربعة عشر سطرا أن الرصافية هيئة عمة على قلنسوة خاصة بالخليفة أو ولي عهده . ويؤخذ من كلام

أبن خلكان (في ترجمة جعفر البرمكي) أن أكابر بني هاشم كان لهم هذا الحق أيضا . ذكر ابن خلكان أن

عبد الملك بن صالح دخل مجلس جعفر هذا ، وقال إنه كان على رأسه رصافية . وقد روى صاحب الأغاني هذه

الحكاية بحرفها تقريبا (جزء ٥ ص ١١٨) وقال إن عبد الملك نزع قلنسيته . فذلك دليل على أن الرصافية

نوع مخصوص من القلائس المعمة .

(٤) صبه : ففطر إليه بهيبة .

(٥) يعني الخليفة .

(٦) من أكابر فقهاء بغداد الذين أمتحنهم المأمون بخلق القرآن . وهو من أهل الفتوى والرواية . وقد ولّاه

المتوكل قضاء مديرية الشريعة بمصر سنة ٢٤١ (أبو المحاسن في "النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٦٣٩ و ٧٣٥)

لا تَعْتَمُ غَدًا عَلَى قُلَيْسُوَةَ إِذَا حَضَرَتِ الدَّارَ . قَالَ : فَبِتُّ وَاجِبًا ، وَأَنَا لَا أَعْلَمُ مَا يَرِيدُ بِذَلِكَ . وَغَدَوْتُ ، وَغَدَا النَّاسُ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ وَمِرَاتِبِهِمْ . جَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ إِلَى مَنْ فِي الدَّارِ ، فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْعُدُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَيَعْتَمُ عَلَى قُلَيْسُوَةَ ، فَأَنْزَعُوا عَنْكُمْ !

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ الْحَسَنِ بْنِ قُرَيْشٍ قَالَ : لَمَّا مَاتَ الْقَاسِمُ بْنُ الرَّشِيدِ ، وَجَّهَ إِلَى الْمَأْمُونُ رَسُولًا فَأَتَيْتُهُ . فَجَعَلَ يَسْأَلُنِي عَنْ عِيَالِهِ وَعَنْ أَمْوَالِهِ ، وَيَشْكُوهُ إِلَيَّ ، وَيَقُولُ : كَانَ يَفْعَلُ كَذَا وَيَفْعَلُ كَذَا . فَكَانَ فِي تِلْكَ الشَّكَايَةِ أَنْ قَالَ : وَكَانَ إِذَا رَكِبَ بَرًّا (٤) ، وَرَكِبَ فِي رِصَافَةٍ (٥) .

عَدِلَ الْمَلِكُ
فِي مَجْلَسِ الشَّرَابِ

* وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ إِذَا عَلِمَ أَنَّ بَعْضَ النَّدَمَاءِ قَدْ بَلَغَ غَايَةَ مَجْهُودِهِ فِي الشَّرْبِ وَأَنَّ الزِّيَادَةَ بَعْدَ ذَلِكَ تَضُرُّ بِيَدِهِ وَجَوَارِحِهِ أَنْ يَأْمُرَ بِالْكَفِّ عَنْهُ ، وَأَنْ لَا يُكَلِّفَ فَوْقَ وَسْعِهِ . فَإِنَّهُ مَنْ تَجَاوَزَ حَقَّ الْعَدْلِ عَنِ الْخَاصَّةِ ، لَمْ تَطْمَعِ الْعَامَّةُ فِي إِنْصَافِهِ . *

٣٩

مَكَلَّةُ
النَّدَمَاءِ لِلرُّوْكَ

* وَمَنْ حَقَّ الْمَلِكُ أَنْ لَا يَكَلِّمَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّدَمَاءِ مُبْتَدَأً وَلَا سَائِلًا لِحَاجَةٍ ، حَتَّى يَكُونَ

(١) يَعْنِي فَصْرَ الْخِلَافَةِ . وَالْحِكَايَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَاقِعَةَ حَصَلَتْ بِمَرُو ، لِأَنَّ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ قُتِلَ فِي بَلَدِهِ (سِرْحَنَس) عِنْدَ عَوْدَةِ الْمَأْمُونِ إِلَى بَغْدَادِ .

(٢) صَحْه : الْحَسَنِ .

(٣) صَحْه : مَرْسُ . وَأَنْظَرَ الطَّبْرِي (سِلْسِلَةُ ٣ ص ٦٥٢) فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ أَسْمُ هَذَا الرَّجُلِ . وَكَانَ مِنْ خَاصَّةِ الْمَأْمُونِ ، وَقَدْ حَدَّثَهُ الْخَلِيفَةُ عَنْ أَخِيهِ الْقَاسِمِ هَذَا . (الْحَاسَنِ وَالْمَسَاوِي ص ١٨٧)

(٤) مَتَى أَطْلُقَ الْكُتَّابَ هَذَا الْأَسْمَ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِهِ مَرُّ الشَّاهِجَانِ ، لَا مَرُّ الرُّودِ . وَالْأَوَّلَى هِيَ أَكْبَرُ مَدَائِنِ خُرَاسَانَ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ عَامِلًا عَلَيْهَا لِأَبِيهِ .

(٥) تَأَنَّفَ الْمَأْمُونُ لِأَنَّ أَخَاهُ كَانَ يَتَعَمَّدُ النَّسَبَ بِهِ ؛ وَلَمْ يَرَأَ الْوَاجِبَ فِي تَرْكِهِ يَنْفَرِدَ بِالرِّصَافَةِ فِي عَاصِمَةِ مَلِكِهِ ؛ وَلَوْ أَنَّ الْقَاسِمَ حَقًّا فِي إِسْبَاحِهَا لَأَنَّهُ هُوَ أَيْضًا ابْنُ الْخَلِيفَةِ .

(٦) هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمَحْصُورَةُ بَيْنَ النِّجْمَتَيْنِ * مَقُولَةٌ عَنْ صَحْه .

(١) هو المبتدئ بذلك. فإن جهل أحد ما يلزمه في ذلك، تقدم إليه فيما يجب عليه. فإن عاد، فعلى الموكل بأمر الدار أن يحسن أدبه وأن لا يأذن له في الدخول، حتى يكون الملك يتدبّر ذكره، ثم يوعز إليه أنه إن عاد، أسقطت مرتبته فلم يطلأ بساط الملك.

وكان شيرويه بن أبريز يقول: "إنما تُعذر البطانة برفع جوائجها إلى الملوك عند ضيقة تكون، أو عند جفوة تنالهم من ملوكهم، أو عند موت يحدث لهم، أو عند تنابح أزمة. فإذا كان ذلك، فعلى الملك تعهد ذلك من خاصته حتى يصلح لهم أمورهم ويسدّ خلّتهم. فإذا كانوا من الكفاية في أقصى حدودها، ومن خفض العيش في أرفع خصائصه، ومن ذات اليد وإدراار العطايا في أتم صفاتها، ثم فتح أحد فاه بطلب ما فوق هذه الدرجة، فالذي حداه على ذلك الشره والمنافسة. ومن ظهرت هاتان منه كان جديرا أن تُنزع كفايته من يده وتُصير في يد غيره، ويُنقل إلى الطبقة الخسيسة، فيُلزم أذنان البقر وحرارة الأرض."



ومن أخلاق الملك أن لا يمين باحسان سبق منه، ما استقامت له طاعة من أنعم عليه ودامت له ولايته، إلا أن يخرج من طاعة إلى معصية. فإذا فعل ذلك، فمن

من الملوك بنعمهم
عند الضرورة فقط

(١) دخل الإمام الشافعي على الرشيد وسلم فردّ الخليفة عليه السلام ثم قال: "من العجب أن تتكلم في مجلسي بغير أمرى!" (أنظر شرح القصة في ص ٤٢ من كتاب "مناقب الشافعي" لفخر الدين الرازي، طبع حجر بمصر سنة ١٢٧٩). وأول خليفة منع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدم فيه وتوعد عليه عبد الملك بن مروان "البيان والتبيين ج ٢ ص ١٢"، وعلى هذا النظام جرى خلفاء الإسلام، حتى جاء القاضي أحمد بن أبي ذؤاها المتوفى سنة ٥٢٤ هـ، فكان أول من بدأهم بالكلام، وكانوا لا يكلمون حتى يتكلموا. (أنظر ابن خلكان في ترجمته، وأنظر "شذرات الذهب" ج ١ ص ٥١٦)

(٢) بسمه: عقوبة.

أخلاقه أن يَمُنَّ عليه أولاً باحسانه إليه، ويُذَكِّرُه بلاءه عنده وقلة شكره ووفائه، ثم يكون من وراء [ذلك] عقوبته بقدر ما يستحق ذلك الذنب في غلظه ولينه.

* وحدثني محمد بن الجهم^(١) وداود بن أبي داود قالا: جلس الحسن بن سهل في مصلى الجماعة لنعيم بن خازم، فأقبل نعيم حافياً حاسراً وهو يقول: "ذنبى أعظم من السماء! ذنبى أعظم من الهواء! ذنبى أعظم من الماء!" قالا: فقال له الحسن بن سهل: "على رسلك! تقدمت منك طاعة، وكان آخر أمرك إلى توبة. وليس للذنب بينهما مكان. وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو."^(٢)



ومن أخلاق الملك السعيد أن لا يعاقب وهو غضبان. لأن هذه حال لا يُسَلَّم معها من التعدي والتجاوز لحد العقوبة. فإذا سكن غضبه ورجع إلى طبعه، أمر بعقوبته على الحد الذي سنته الشريعة ونقلته الملة. فإن لم يكن في الشريعة ذكر عقوبة ذنبه، فمن العدل أن يجعل عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ الذنوب ولينها، وأن يجعل الحكم عليه فيه، ونفسه طيبة وذكر القصاص منه على بال. فأما العقوبة فلا تجوز إذا رُفِعَ أمرها إلى الملك.

عدم المعاقبة
في حال الغضب

(١) كثيراً ما يروى الجاحظ عن هذا الإنسان في كتاب "الحيوان" وفي كتاب "البيان والتبيين".

(٢) كان في معية المأمون حيناً أرسله إلى مرو أبوه هارون قبل وفاته بثلاث وعشر من ليلة. وصار من قواده ورجال دولته حيناً أقضت إليه الخلافة. (طبرى سلسلة ٣ ص ٧٣٤ و ٨٤١ و ١٠٢٢)

(٣) هذه الجملة المحصورة بين التبعين * منقولة عن صه. (وهي واردة في "البيان والتبيين" ج ١ ص ٤٥)

(٤) سه: الأئمة.

(٥) سه: "فأما العفو فلا يجوز إذا رفع أمره إلى الملك". ولهذه الرواية أيضاً وجه وجيه. والضهير راجع إلى الذنب. والمعنى أن الملك لا يجوز له تعطيل الشريعة بالعفو عن الجاني.

(١) وليس الذنب بحضرة الملك كالذنب بحضرة السُّوقَة، ولا الذنب بحضرة الحاكم كالذنب بحضرة الجاهل. لأن الملك هو بين الله وبين عباده. فإذا وجب بحضرته الذنب، فمن حقه العقوبة عليه ليزجر الرعايا عن العيافة والتتبع^(٢) في الفساد.

❦



ومن حقّ الملك - إذا هم بالحركة للقيام - أن تسبقه بطانته وخاصته بذلك. فإن أوما إليهم أن لا يرحوا، لا يقعد واحد منهم حتى يتوارى عن أعينهم. فإذا خرج، فمن حقه أن تقع عينه عليهم وهم قيام. فإذا قعد، كانوا على حالهم تلك.

آداب البطانة
عند قيام الملك

فإن نظر إليهم ليقعدوا، لم يقعدوا جملة. بل تقعد الطبقة الأولى أولاً. فإذا قعدت عن آخرها، تبعها الطبقة الثانية. فإذا قعدت عن آخرها، تبعها الطبقة الثالثة. وأيضاً فإن لكل طبقة رأساً وذنباً. فمن الواجب أن يقعد من كل طبقة رأسها ثم هلمّ جراً على مراتب الطبقة أولاً أولاً.



ومن حقّ الملك أن لا يدنو منه أحد - صغر أو كبر - حتى يمسّ ثوبه ثوبه إلا وهو معروف الأبوين، في مركّب^(٣) حسيب، غير خامل الذكر ولا مجهول.

عدم الدتوم
الملك، إلا بشروط

(١) هكذا في سـ، صـ. ولعل الصواب: "الحكيم" أو "الحليم"

(٢) التتابع بالمشاة التحتية: التهافت والإسراع في الشرّ (قاموس).

(٣) المركّب كمعظم الأصل والمنبت (قاموس).

فإن احتاج الملك إلى مشافهة خامل أو وضيع وأضطر إليها، إما لنصيحة يُسرّها إليه أو لأمرٍ يسأله عنه، فمن حقّ الملك أن لا يُخلّى أحداً يدنو منه حتى يُفتش أولاً، ثم يأخذ بضبعيه آثان، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله. فإذا أبدى ما عنده وقبل منه الملك ما جاء به، فمن حقّه على الملك الإحسان إليه والعائدة عليه والنظر في حاجته - إن كانت له - ليرغب ذوو النصائح في رفعها إلى ملوكهم والتقرب بها إليهم.



الاستماع
لحديث الملك

ومن حقّ الملك، إذا حدث بحديث أن يصرف من حضره فكره وذهنه نحوه. فإن كان يعرف الحديث الذي يُحدث به الملك، أستمعه أستماع من لم يدُر في حاسّة سمعه قط ولم يعرفه، وأظهر السرور بفائدة الملك والاستبشار بحديثه. فإن في ذلك أمرين: أحدهما ما يظهر من حسن أدبه، والآخر أنه يعطى الملك حقّه بحسن الاستماع. وإن كان لم يعرفه، فالنفس^(١) إلى فوائد الملوك والحديث عنهم أقرم وأشهى^(٢) منها إلى فوائد السوقة ومن أشبههم.

* وإنما مدار الأمر والغاية التي إليها يُجرى، الفهم والإفهام والطلب ثم التثبت. قال عمرو بن العاص: "ثلاثة لا أملهنّ: جليسي ما فهم عني، وثوبي ما سترني، وذابتي

(١) في سه: "الاستماع وإن كان لم يعرفه فلنفس". وقد أكلت موضع البياض وصححت العبارة، بناء على ما في صه وعلى ما أورده المسعودي. فانه نقل هذه الحكاية برمتها مع تغيير قليل، وزيادة ونقصان، واضطراب في التقسيم، وقيل إنها مما قاله حكيم اليونان. فلعله نقلها هو والمحافظ عن كتاب آخر. (أنظر مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٨)

(٢) أي أشد حرصاً. [حاشية في صه]. ورواية سه: "أقرب"، [وهي بعيدة عن الصواب].

ما حملت رجلي. ^(١) وذكر الشعبي ناساً، فقال: "مارأيت مثلهم أشد تنافداً في مجلس ولا أحسن فهماً عن محدث." ^(٢)

وقال سعيد بن سلم [الباهلي] لأمير المؤمنين المأمون: "لو لم أشكر الله إلا على أحسن ما أبلاني أمير المؤمنين من قصده إلى بالحديث وإشارته إلى بطرفه، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة وتوجهه الحزبية." قال المأمون: "لأن أمير المؤمنين والله يحمد عندك من حسن الإفهام إذا تحدثت، وحسن الفهم إذا حدثت ما لم يحده عند أحد فيما مضى ولا يظن أنه يحده فيما بقي." ^(٣)

(ما جهل لرجل
كان أنوشروان
بسايره)

وفما يحكي عن أنوشروان أنه بينا هو في مسيره له (وكان لا يسايره أحد من الخلق مبتدئاً وأهل المراتب العالية خلف ظهره على مراتبهم، فإن ألقت يمينا، دنا منه صاحب الحرس، وإن ألقت شمالاً، دنا منه المؤبد، فأمره بإحضار من أراد مسايرته)، قال: فالتفت في مسيره هذا [يمينا]، فدنا منه صاحب الحرس، فقال: فلان، فأحضره. فقال: حدثني عن أردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر، وكان الرجل قد سمع من أنوشروان هذا الحديث مرة. فاستعجم عليه وأوهمه أنه لا يعرفه. فحدثه أنوشروان بالحديث. فأصغى الرجل إليه بجوارحه كلها، وكان مسيره على شاطئ نهر. وترك الرجل - لإقباله على حديثه - النظر إلى مواطئ حافر دابته. فزلت إحدى قوائم الدابة، فالت بالرجل إلى النهر فوقع في الماء ونفرت دابته. فابتدراها حاشية الملك وغلماؤه، فأزالوها عن الرجل، وجذبوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه. فأعتم لذلك أنوشروان ونزل عن دابته، وبسط له هناك، فأقام حتى

(١) أنظر رواية أخرى لهذه الكلمة في "كامل" المبرد. (ص ١٥٠)

(٢) هاتان الفقرتان المصورتان بين نجمتين * منقولتان عن صه.

(٣) هو مفتاح الخلاء والزاني اسم جيل (قاموس). والمتعارف الآن عند الفرنج ضم الخلاء. وأظهر ياقوت.

تَغْدِي فِي مَوْضِعِهِ ذَلِكَ. وَدَعَا بَنِيَّابَ مِنْ خَاصِّ كُسُوتِهِ، فَأَلْقَيْتَ عَلَى الرَّجُلِ، وَأَكَلَ
مَعَهُ، وَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَغْلَقْتَ النَّظَرَ إِلَى مَوْطِئِ حَافِرِ دَابَّتِكَ؟ قَالَ: "أَيُّهَا الْمَلِكُ! إِنْ
اللَّهُ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ، قَابَلَهَا بِحَنَةٍ وَعَارَضَهَا بِبِلَاسَةٍ. وَعَلَى قَدَرِ النِّعَمِ تَكُونُ الْحَنُّ.
وَإِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيَّ بِنِعْمَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ، هُمَا: (١) إِقْبَالَ الْمَلِكِ عَلَيَّ بِوَجْهِهِ مِنْ بَيْنِ هَذَا
السَّوَادِ الْأَعْظَمِ، وَهَذِهِ الْفَائِدَةُ وَتَدْيِيرُ هَذِهِ الْحَرْبِ الَّتِي حَدَّثَ فِيهَا عَنِ أَرْدَشِيرِ
حَتَّى لَوْ رَحَلْتُ إِلَى حَيْثُ تَطْلُعُ الشَّمْسُ أَوْ تَقْرُبُ، كُنْتُ فِيهِ رَاجِحًا. فَلَمَّا أَجْتَمَعْتُ
نِعْمَتَانِ جَلِيلَتَانِ فِي وَقْتٍ [وَاحِدٍ]، قَابَلْتُهُمَا هَذِهِ الْحَنَةُ. وَلَوْلَا أَسَاوِرَةُ الْمَلِكِ وَخَدَمُهُ
[وَحَسَنُ جَدِّهِ]، كُنْتُ بِمَعْرِضِ هَلَكَةٍ. وَعَلَى ذَلِكَ، فَلَوْ غَرِقْتُ حَتَّى أَذْهَبَ عَنِ جَدِيدِ
الْأَرْضِ، كَانَ قَدْ أَبْقَى لِي الْمَلِكُ ذِكْرًا مُتَلَدًّا مُتَحَدًّا، مَا بَقِيَ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ.

فُسِّرَ الْمَلِكُ وَقَالَ: مَا ظَنَنْتُكَ بِهَذَا الْمَقْدَارِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ!

فَخَشَا قَمَّهُ جَوْهَرًا وَدُرًا رَائِعًا ثَمِينًا، وَأَسْتَبَطَنَهُ حَتَّى غَلَبَ عَلَيَّ أَكْثَرُ أَمْرِهِ. (٤)

وَهَكَذَا يُحْكِي عَنْ [أَبِي شَجَرَةَ] يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةِ الرَّهَآوِيِّ، أَنَّهُ بَنَى هُوَ يَسِيرَ مَعَاوِيَةَ (٥)

(ما وقع لأبي شجرة
الرَّهَآوِيِّ حِينَ
حَادَثَهُ مَعَاوِيَةُ)

(١) فِي سَمِّهِ، صَمٌّ: "مِنْهَا" تَحْرِيفًا عَنْ "مِنْهَا". وَقَدْ صَحَّحْتُ بِمَعُونَةِ الْمَسْعُودِيِّ.

(٢) فِي سَمِّهِ، صَمٌّ: "وَمِنْهَا هَذِهِ" تَحْرِيفًا عَنْ "مِنْهَا". وَقَدْ صَحَّحْتُ بِمَعُونَةِ الْمَسْعُودِيِّ.

(٣) الزِّيَادَةُ عَنِ الْمَسْعُودِيِّ.

(٤) نَقَلَ الْمَسْعُودِيُّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِتَمَامِهَا وَبِحَرْفِهَا، إِلَّا فِي كَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ. وَقَالَ إِنَّهُ وَجَدَهَا فِي كِتَابِ سَيَرِ الْمُلُوكِ

مِنِ الْأَعَاجِمِ. وَنَسَبَهَا إِلَى شَيْرَوَيْهِ بْنِ أَبِرُويز، وَقَالَ إِنَّ الرَّجُلَ هُوَ بُنْدَارُ بْنُ خُشَيْدٍ (ج ٦ ص ١٢٤ - ١٢٦).

وَنَقَلَهَا أَيْضًا صَاحِبُ كِتَابِ "تَنْبِيهِ الْمُلُوكِ وَالْمَكَائِدِ" (ص ٢٧ - ٢٩)، وَأَخْتَصَرَهَا صَاحِبُ "مَحَاسِنِ

الْمُلُوكِ" (ص ٨١ - ٨٢). وَنَقَلَهَا بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ فِي "الْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي" ص ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٥) مِنْ أَرْكَانِ دَوْلَةِ مَعَاوِيَةَ. أَرْسَلَهُ إِلَى مَكَّةَ سَنَةَ ٣٩ لِيَقِيمَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ وَلِيَأْخُذَ لَهُ الْبَيْعَةَ وَيَطْرُدَ عَامِلَ عَلَى

عَنْهَا. ثُمَّ أَرْسَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِنُزُومِ الْبَحْرَمَرَّةِ أَوْ مَرْتِنَ (سَنَةَ ٤٩ وَسَنَةَ ٥٦). وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى قَبِيلَةِ

مِنَ الْعَرَبِ (أَنْظُرْ تَاجَ الْعَرُوسِ فِي مَادَّةِ ر هـ). وَأَمَّا النِّسْبَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمَشْهُورَةِ بِأَسْيَا الصَّغْرَى فَهِيَ

الرَّهَآوِيُّ، بِضَمِّ الرَّاءِ.

(١) ابن أبي سفيان، ومعاوية يحدثه عن يوم خزاعة وبني مخزوم وقريش. وكان هذا قبل الهجرة. وكان يوماً أشرف فيه الفريقان على الملكة حتى جاءهم أبو سفيان فارتفع بعبيره على رابية ثم أومأ بكميه إلى الفريقين، فأنصرفوا.

قال: فبينما معاوية يحدث يزيد بن شجرة بهذا الحديث، إذ صك وجه يزيد حجر عائر فأدماه، وجعلت الدماء تسيل من وجهه على ثوبه، [وهو] ما يمسح وجهه. فقال له معاوية: لله أنت! ما ترى ما نزل بك؟ قال: وما ذاك، يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا دم وجهك يسيل على ثوبك! قال: أعتق ما أملك، إن لم يكن حديث

(١) في المسعودي: "يحدثه عن جرعان يوم كان لبني مخزوم وغيرهم من قريش". وفي بعض نسخه: "جرعان". والصواب خزاعة كما هو وارد في س، صه |.

(٢) س: "بكمه" صه: "بكفه". [والتصحيح عن "محاسن الملوك"].

(٣) هذه القصة لم نجدها لغير الجاحظ والذين نقلوا عنه مثل المسعودي وصاحب "تبيين الملوك" وصاحب "محاسن الملوك". ولعل الواقعة التي يشير إليها هي المذكورة في آخر ديوان حسان بن ثابت الصحابي، وفي السيرة الحلبية (ج ١ ص ١٤٣ طبع المرحوم الزبير رحمت باشا العباسي في بولاق سنة ١٢٩٥ هـ، وج ١ ص ٢٧٣ طبع العلامة وستفيلد في مدينة ليبسك سنة ١٨٥٨ م)

(٤) في سه غاير. وفي صه غاير. [وهذه الكلمة كثيراً ما يصحفها النساخون والطابعون. فتارة يضعون "غاير"، وأخرى "غاير"، وأخرى "عابر". والصواب "عائر" بالعين المهملة والياء التحتية المثناة المهموزة. قال صاحب تاج العروس في مادة (ع و ر): والعائر من السهام ما لا يدري راميها وكذا من الحجارة. . . . والجمع العوائر].

(٥) في المسعودي: أعتق ما أملك. ولكن سه أنفرد بجعل الضمير للغائب على سبيل الحكاية لئلا تقع العين على المتكلم أو القارئ. فوردت فيه العبارة هكذا: "عتق ما يملك". وعلى ذلك جرى كثير من الكتاب. وذلك من باب التشدد في التأثم والتحرج. وإذا كان ناقل الكفر ليس بكافر، فكيف يقع في العين من يروى مجرد كلام لغيره؟ ولعلمهم أرادوا عدم جريان اللسان بمثل هذه الأيمان

أمير المؤمنين أَلْهَانِي حَتَّى غَمِرَ فِكْرِي وَغَطَّى عَلَى قَلْبِي، فَمَا شَعَرْتُ بِشَيْءٍ حَتَّى نَبَهَنِي
 أمير المؤمنين. فقال له معاوية: لقد ظلمك مَنْ جعلك في أَلْفٍ من العطاء، وأخرجك
 من عطاء أبناء المهاجرين، وَكَمَاةِ أَهْلِ صِفِّينَ^(١)! فأمر له بخمسمائة ألف درهم، وزاده
 في عطائه ألف درهم، وجعله بين جلده وثوبه.^(٢)

فلئن كان يزيد بن شجرة خدع معاوية في هذه، فمعاويةُ مَنْ لَا يُخَادَعُ وَلَا يُجَارَى.^(٣)
 ولئن كان بلغ من بلاد يزيد بن شجرة وقلة حِسِّه ما وصف به نفسه، ما كان
 يجدير بخمسمائة ألف وزيادة ألف في عطائه. وما أظن ذلك خَفِيَ عن معاوية، ولكنه
 تغافل على معرفة، لَمَّْا وَفَّاهُ حَقَّ رِيَاستِهِ.^(٤)

[ويروى عن معاوية أنه كان يقول: "السَّرُّوُ التَّغَافُلُ"^(٥)]

(١) صه : حماة.

(٢) روى هذه القصة في "تنبيه الملوك" بالفاظ الجاحظ (ص ٢٩)، ورواها صاحب "محاسن الملوك"
 باختصار (ص ٢٠). وأوردها صاحب "المحاسن والمساوى" بالحرف الواحد (ص ٤٩٥ - ٤٩٦).

(٣) صه : يجارى.

(٤) نقل المسعودي هذه الحكاية أيضا عن الجاحظ، ولم يسمه كما جرت عادته. ولكنه حينما اضطرَّ
 لنقل فكره وتقديره عند قوله "فلئن كان يزيد بن شجرة"، لم يجد بداً من الإشارة إليه بطريق
 الوصف والتعميم، فقال: "قال بعض أهل المعرفة والأدب عن صف الكتب في هذا المعنى وغيره"
 ثم نقل العبارة الثانية برمتها أيضاً، مع تغيير قليل في اللفاظ أو في مواضعها. (مروج الذهب جزء ٦
 ص ١٢٨ - ١٣٠)

(٥) هذه الجملة من زيادات صه. [ومعنى السَّرُّوُ السَّخَاةُ في مرودة. فيكون المراد من هذه
 المقولة أن التظاهر بالغفلة هو من دلائل السخا الممزوج بالمرودة. وسترد هذه المقولة أيضاً
 في صفحة ١٠٣ من هذا الكتاب.]

(١) وكان [أبو زُرعة] رُوح بن زِنْبَاع [بن رُوح بن سلامة الجُدَامِي] يقول: إن أردت أن يَمَكِّنَكَ الْمَلِكُ مِنْ أَدْنَاهُ، فَأَمَكِّنْ أَدْنَكَ مِنَ الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ. (٢)

(كلمة روح بن زنباع)

(٤٧)

(٣) وكان أسماء بن خارجة [الفَزَارِيُّ] يقول: ما غلبني أحد قط غلبة رجل يصغى إلى حديثي. (٢)

(كلمة أسماء بن خارجة الفزاري)

وكان معاوية يقول: يُغَلِّبُ الْمَلِكُ حَتَّى يُرَكَّبَ بِشَيْئَيْنِ: بِالْحِلْمِ عِنْدَ سَوْرَتِهِ، وَالْإِصْغَاءِ إِلَى حَدِيثِهِ. (٢)

(كلمة معاوية)

(١) قال في "تاج العروس" إن كل من سمى "رُوح" من المحدثين فهو بالفتح، إلا رُوح بن القاسم، فإنه بالضم. ورُوح بن زنباع الجُدَامِي من رجالات بني أمية. كان في سنة ٦٤ والبا على فلسطين للخليفة مروان بن الحكم، فوثب عليه بابل بن قيس الجُدَامِي فأخرجه، وبايع لأبن الزبير حين قيامه بالخلافة في الحجاز. ثم عاد رُوح واليا عليها، بعد أن ألقي خطبة جذب بها الناس لبيعة مروان بن الحكم دون عبد الله بن عمر بن الخطاب ودون عبد الله بن الزبير. (أنظرها في آبن الاثير في حوادث سنة ٦٤). ولذلك صار من أجل الناس عنده وعند أبنة عبد الملك بن مروان. وكان جليسه وأنيسه ونديمه وسميره ومشيره حتى قال الخليفة فيه إنه جمع ثلاث خصال لم تجتمع في غيره: فقه الحجاز، في دهاء أهل العراق، في طاعة أهل الشام. (العقد الفريد ج ١ ص ٩ و ٢٠٧ وأسد الغابة). وقد وقعت له مع هذا الخليفة ومع زوجته الأعرابية حكاية ظريفة أوردتها في "الحاسن والمساوي" (ص ٤١٩). [وأنظر صفحة ١١٣ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب].

ثم صار مشيراً للوليد بن عبد الملك. ومع ما كان عليه من الفضل والدهاء والذكاء، فقد وقعت له حكاية ظريفة مضحكة أثناء وجوده بالكوفة مع بشر أخى عبد الملك بن مروان واليا. أوردتها في "مروج الذهب" (ج ٥ ص ٢٥٤ - ٢٥٨ - وفي المستطرف ج ٢ ص ١١٢)

(٢) نقلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤).

(٣) أسماء بن خارجة هو ابن حصن بن حذيفة بن بدر. كان سيد بني فزارة، وكان من أتباع الكوفة. مات سنة ٩٦. وله ترجمة في "فوات الوفيات" (ج ١ ص ١٤). ولم يل أسماء بن خارجة شيئا للسلطان (العقد الفريد ج ١ ص ٥١).



آداب أهل الزلفى
بعد المضاحكة

ومن أخلاق الملك، إذا قرب إنساناً أو أنس به حتى يهازله ويضاحكه ثم دخل عليه بعد، أن يدخل دخول من لم يحجر بينهما أنس قط وأن يظهر من الإجلال له والتعظيم والاستخذاء أكثر مما كان عليه قبل. فإن أخلاق الملوك ليست على نظام.



تكر أخلاق الملوك

ومن أخلاقهم أن لا تكون أخلاقهم معروفة فيتمثل عليها ويعاملون بها. ألا ترى أن الملك قد يغضب على الرجل من حمايته، والرجل من حاقته وبطانته: إما لجناية في صلب مال، أو لجناية حرمة الملك، فيؤثر عقوبته دهرًا طويلاً، ثم لا يظهر له ما يؤحشيه حتى يتيق ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك. وليست هذه أخلاق سائر الناس، إذ كنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الجنايات وعند أول بوادر الغضب.



صبر الملوك على
مضض الحقد حتى
تخين الفرصة

فأما الملوك وأبناؤهم، فليست تُقاس أخلاقهم ولا يُعابَرُ عليها. إذ كان أحدهم يضع أعدى خلق الله له بين أذنه وعاتقه، وبين سحره ونحره. فتطول بذلك المدة (٢) وتمتد به الأزمنة، وهو لو قتله في أول حادثة تكون وعند أول عثرة يعثر لم يكن (٤)

(١) الخضوع والافتقار. وفي "الأغاني": أنت تخضع لهذا، هذا الخضوع وتستغذي له؟ (ج ٧ ص ١٨٣)

(٢) صم: تعامل.

(٣) السحر (بالفتح) هو الرقة. والمراد به هنا ما يجاذبه، وهو الصدر. قالت عائشة (رضي الله عنها):

"مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين سحرى ونحرى". تعنى بين صدرها ونحرها. والمقصود شدة الاقتراب والاتراق، كما نقول أيضاً: بين سمعه وبصره. (عن تاج العروس)

(٤) صم: وهوله. سم: ويقولون.

بين هذه القِتلة وبين الأُخرى بعدها بعشرين سنة فرق. إذ كان لا يخاف ناراً، ولا في المَلِك وَهَبًا.

(معاينة أنوشروان
لن خاتمه في حريمه)

وفيا يُذكر عن سيرة أنوشروان أن رجلاً من خاصّ خَدَمه جنى جناية أطلع عليها أنوشروان، والرجل غافل عنه. وكانت عقوبة تلك الجناية توجب القتل في الشريعة. فلم يدر كيف يقتله: لا هو وجدَ أمراً ظاهراً يَقْتُلُ بمثله الحكماء فيسفك به دمه، ولا قدر على كشف ذنبه لما في ذلك من الوهن على المَلِك والمملكة، ولا وجد لنفسه عذراً في قتله غيلةً، إذ لم يكن ذلك في شرائع دينهم ووراثه سلفهم. فدعا به بعد جنايته بسنة فاستخلاه وقال: قد حزبنى أمرٌ من أسرار ملك الروم، وبى حاجة إلى أن أعلمها، وما أجدنى أسكنُ إلى أحد سُكونى إليك، إذ حلت من قلبى المحل الذى أنت به. وقد رأيتُ أن أدفع إليك مالاً لتحمل إلى هناك تجارةً وتدخل بلاد الروم فتقيم بها لتجارتك. فإذا بعْتَ ما معك، حملت مما فى بلادهم من تجاراتهم وأقبلت إلى. وفى خلال ذلك تُصنِى إلى أخبارهم وتطلع طلعاً ما بنا حاجةً إليه من أمورهم وأسرارهم.

٤٩

فقال الرجل: أفصل أيها الملك، وأرجو أن أبلغ فى ذلك محبة الملك ورضاه.

فأمر له بمال، وتجهز الرجل وخرج بتجارة. فأقام ببلاد الروم حتى باع واشترى ولقن من كلامهم ولقنهم ما عرف به مخاطبتهم وبعض أسرار ملكهم. ثم أنصرف إلى

(١) حَزَبَ الأمر اشتدَّ عليه وأصابه منه غم.

(٢) أى: ونعم سرَّ أمرهم الذى نحن فى حاجة إلى معرفته.

(٣) أى فهم وحفظ بسرعة.

(٤) صه: أسرارهم.

أنوشروان بذلك . فاستبشر بقدومه وزاد في برّه ، وردّه إلى بلادهم وأمره بطول
المقام بها والتربّص بتجارته . ففعل حتّى عرف واستفاض ذِكْرُه . فلم تزل تلك حاله
ستّ سنين . حتّى إذا كان في السنة السابعة ، أمر الملك أن تُصوّر صورة الرجل

❦

في جامٍ من جاماته التي يشرب فيها ، ويُجعل صورته بإزاء صورة الملك ، ويُجعل مخاطباً
للكم ومشيراً إليه من بين أهل مملكته ، ويُدنى رأسه من رأس الملك في الصورة كأنه
يسرّ إليه . ^(١) ثم وهبَ ذلك الجلام لبعض خدمه ، وقال له : ” إن الملوك ترغب في هذا

الجلام . فإن أردت بيعه ، فأدفعه إلى فلان إذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته . فإنه إن
باعه من الملك نفسه ، نفعتك ، وإن لم يمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو من
بعض حاشيته . ” فجاء غلام الملك بالجلام ليلاً ، وقد وضع الرجل رجله في غرّز ركابه ، ^(٢)

فسأله أن يبيع جامه من الملك ، وأن يتخذَ بذلك عنده يدًا . وكان الملك يقدر ذلك
الغلام ، وكان من خاصّ غلمانِه وصاحب شرايه . فأجابه إلى ذلك ، وأمره بدفع الجلام إلى
صاحب خزانته ، وقال : ” احفظه ! فإذا صرْتُ إلى باب الملك ، فليكن فيما أعرضه

عليه . ” فلما صار إلى ملك الروم ، دفع صاحب الخزانة إليه الجلام فعزله فيما يعرض
على الملك . فلما وقع الجلام في يدي الملك ، نظر إليه ونظر إلى صورة أنوشروان فيه وإلى
صورة الرجل وتركيبه : عضواً عضواً وجارحةً جارحةً . فقال : ” أخبرني ، هل يُصوّر

❦

مع الملك صورة رجلٍ خسيس الأصل ؟ قال : لا . قال : فهل يُصوّر في آية الملك
صورة لا أصل لها ولا علة ؟ قال : لا . قال : فهل في دار الملك أشنان يتشابهان

(١) صه : يساره .

(٢) الفرز هو الركاب من جلد مخروز

في صورة واحدة حتى يكون هذا كأنه هذا في الصورة، وكلاهما نديماً الملك؟ قال: لا أعرفه. فقال: قم! فقام. فتأمل له قائماً، فوجد صورته قائماً في الجاه. ثم قال: أدبر! فأدبر، فتأمل صورته في الجاه مُدبراً. ثم قال: أقبل! فأقبل. فتأمل صورته في الجاه مقبلاً. فوجدها بحكاية واحدة وتخطيط واحد. فضحك الملك ولم يجترئ الرجل أن يسأله عن سبب ضحكه، إجلالاً له وإعظماً. فقال ملك الروم: الشاة أعقل من الإنسان إذ كانت تأخذ مُمَدِّيتها فتدفعها، وأنت أهديت إلينا مُمَدِّيتك بيدك! ثم قال له: تغديت؟ قال: لا. قال: قربوا له طعاماً. فقال الرجل: أيها الملك! أنا عبد ذليل، والعبد لا يأكل بحضرة الملك. فقال: أنت عبدٌ ما كنت عند ملك الروم متطلعاً على أموره متبعاً لأسراره، بل أنت ملكٌ ونديمٌ ملكٍ إذا قدمت بلاد فارس. أطعموه! فأطعم وسقى الخمر حتى إذا نمل، قال: إن من سنن ملوكنا أن تقتل الجواسيس في أعلى موضع تقدر عليه، وأن لا تقتله جائعاً ولا عطشان. فأمر أن يصعد به إلى صرح كان يُشرف منه على كلِّ من في المدينة، إذا صعد. فضربت عنقه هناك، وأُلقيت جثته من ذلك الصرح، ونُصب رأسه للناس.

فلما بلغ ذلك كسرى، أمر صاحب الحرس أن يأمر المغرّد بصوت الحراسة - إذا ضربَ بأجراس الذهب - أن يقول، إذا مرَّ على دور نساء الملك وجواريه:

(١) سه: نجي.

(٢) روى المقرئ عن ابن عبد الظاهر "أن خادماً رأى من مشرف عال ذباحاً، وقد أخذ رأسين من الغنم فدبح أحدهما ورعى سكينته ومضى ليقضى حاجته. فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بفيه ورمأها في البالوعة. فجاء الجزار يطوف على السكين، فلم يجدها. وأما الخادم، فإنه استصرخ وخلصه منه. وطولع بهذه القضية أهل القصر، فأمروا بعمله جامعاً" (الخط ج ٢ ص ٢٩٣). وهذا الجامع هو المعروف اليوم بجامع الفاكهاني.

(٣) سه: يأمر بالعود بضرب.

”كُلُّ نَفْسٍ وَجِبَ عَلَيْهَا الْقَتْلُ فِي الْأَرْضِ تُقْتَلُ، إِلَّا مَنْ تَعَرَّضَ لِحَرَمِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ فِي السَّمَاءِ.“

(١) فلم يدرِ أحدٌ من أهل مملكته ماذا أراد بذلك حتى مات.

(٢) فليس في الأرض نفسٌ تصبر على مَضَضِ الحِقدِ ومطاولَةِ الأيامِ بها صبرَ الملوك. ولذلك بطل القياس على أخلاقهم، ووُجِّهَتْ آراءُ ذوى الحِجَا والتمييز في العمل عليها والمقابلة بها حتى تخرج على وزنٍ واحدٍ وينظم مؤتلف.

(٣) وكذلك يُحكى عن عبد الملك بن مروان وعمر بن سعيد الأشدق، أنه أقام

٥٣
تكملة عبد الملك بن مروان بممن نازعه الملك

(١) روى صاحب ”تنبيه الملوك“ هذه القصة عن الجاحظ (ص ٣٠ - ٣٤)، وهي واردة بالحرف في ”الحاسن والأضداد“ (ص ٢٧٧ - ٢٨٠)

(٢) الضمير يعود إلى النفس.

(٣) في ”الاستقفاق“، لكن دُرِّدَ (ص ٤٩) مانصه: عمرو بن سعيد بن العاص يعرف بالأشدق، وهو الذى يلقب بطعيم الشيطان. لما بلغ خبره إلى ابن الزبير (وهو مطالب بالخلافة في مكة) سعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن أبا ذئبان قتل طعيم الشيطان ”وكذلك نولُ بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون“.

قتله عبد الملك بن مروان في خطب طويل ذكره المؤرخون بالتفصيل، مثل السعدي (ج ٥ ص ١٩٨ و ٣٣٤-٣٣٩)، وابن الأثير (في حوادث سنة ٦٩). لكن حكاية ابن الأثير لا تدل على تردد عبد الملك في شأنه بضع سنين كما يصرِّح به الجاحظ، وهو الحق. كان الرجل ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام، وكبرياء وعظمة لا نهاية لها. سعى في حمل الناس على مبايعة مروان، بعد أن اتفق معه على أن يجعله ولي عهده بعد خالد بن يزيد. فلما تم الأمر لمروان، نقض الشرط وجعل الخلافة لابنه عبد الملك، على أن يكون خالد وعمر ولي عهده بعده. ولكن عبد الملك تخلص من خالد بأسر سبب، وحرَّبه أمر عمرو وهو يصايره. وكان بينه وبين عبد الملك مكاتبات ومحادثات بشأن الخلافة. كتب إليه عبد الملك: ”إنك لتطمع

نفسك بالخلافة، ولست لها بأهل“! فأجابته عمرو: ”استدراج النعم إليك أفادك البغي، ورأحة القدرة أورتك الغفلة. زهرت عما وافقت عليه، وندبت إلى ما تركت سبيله. ولو كان ضعف الإنسان يؤيس الطالب، ما أنتقل سلطان ولا ذلَّ عزيز. وعن قريب يقين من مريع بغي وأسير غفلة“. قال في المستطرف =

بضع سنين يزاول قتله، ثمرة يرجئه، وأخرى يهيم به، وثمره يحجم، وأخرى يقبض، حتى قتله، على أحب حالاته.

وحدثني قثم بن جعفر بن سليمان، قال: حدثني مسرور الخادم: قال: أشهد بالله! لَكُنْتُ مِنَ الرَّشِيدِ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ بَحِثَ يَمْسُ ثَوْبِي ثَوْبَهُ، وَهُوَ يَقُولُ فِي مُنَاجَاتِهِ رَبَّهُ: "اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ فِي قَتْلِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى". ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست.

(نكتة الرشيد بالبرامكة)

ومن حق الملك أن لا يرفع أحد من خاصته وبطانته رأسه إلى حرمة له، صغرت أم كبرت، فكم من فيل قد وطي هامة عظيم وبطنه حتى بدت أمعاؤه، وكم من

مراعاة حرم الملك

١٠ = (ج ٢ ص ٤٤) إنه سمي بالأشدق لأنه كان ماثلاً للشدق. وأنظر التفاصيل في المواطن التي نهبا عليها. | وأنظر الأقوال الأخرى التي رواها الجاحظ في سبب تسميته بالأشدق وأنه كان خطيباً مفاوها "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ وأنظر أيضاً ص ١٨٤ - ١٨٥ منه.

(١) سم: يراود.

(٢) هو قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. كان عاملاً على المدينة، وأميراً على البصرة. وله فيها مجالس علم وأدب. (أنظر البلاذري والأغاني في فهرسهما)

١٥

(٣) في الأصل: "فحسين". ولا نعلم أن الرشيد خادماً خاصاً بهذا الاسم. ولذلك أبدلاه بخادمه المشهور وهو: "مسرور". يؤيد ذلك أيضاً رواية "تنبيه الملوك والمكايد" الواردة في الحاشية رقم ٥ من هذه الصفحة.

(٤) سم: مع.

(٥) في "تنبيه الملوك والمكايد" مانصه: "كان الرشيد أدهى الناس وأكتمهم لسره. وبما يدل على ذلك ما حدث به مسرور خادمه، قال: كنت مع الرشيد في بعض سني حجه، فسمعتهم وقد ألزم المستجار من

٢٠

الكعبة وهو يلتفت يميناً وشمالاً، وكنت بين أستار الكعبة لم يرني. وهو يقول: "اللهم إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى! مراراً كثيرة. فلما سمعته طار عقلي وخشيت أن يفطن بي، فيكون ذلك سبب هلاكي. فأقبلت أتموؤد، ولم أزل أحتال حتى أستلكت من الأستار. قال أبو هاشم مسرور الخادم: فكان بين الوقت الذي أختار الله فيه في قتل جعفر بن يحيى وبين قتله سبع سنين". (صفحة ١٩٧ - ١٩٨)

(١) شريك وعزيز قوم قد مزقته السباع وتمششته؛ ولكم من جارية كانت كريمة على قومها عزيزة في ناضها قد أكلتها حيتان البحر وطير الماء، ولكم من جمجمة كانت تُصان وتعل بالمسك والبان قد أُلقيت بالعرء،^(٤) وغِيبت جُثتها في الثرى بسبب الحرم والنساء، والخدم، والأولياء! ولم يأت الشيطان أحداً من باب قط حتى يراه بحيث يهوى منقسم اللحم والأعضاء، هو أبلغ في مكيدته وأحرى أن يرى فيه أُميته من هذا الباب، إذ كان من ألطف مكايده وأدق وساوسه وأحلى تريينه!

(١) أى مصّت عظمه. وفي سر: "تمزقه السباع وتمششته". وفي صه: "تمزقه السباع وتمششته". وفي "الحاسن والأضداد": ونهسته.

(٢) أى تطيب مرة بعد أخرى بالمسك الخ، عله بالحناء يعله ويعله "الكامل للبرد". والعليلة المرأة المطيبة طيباً بعد طيب "قاموس". وفي صه: تعل. وفي نسخ "الحاسن والأضداد": ثقل، ثقل، ثقل. [وأظهر صفحة ١٥٥ من هذا الكتاب والحاشية ١ و ٢ منها]

(٣) يطلق العرب أسم البان على شجرتين مختلفتين. فالأولى هى المساة أيضاً بشجرة الخلاف، وهى التى يهيم بها الشعراء ويشبهون قوام المحبوب بقضبانها. وهى كثيرة بمصر. والخلاف نوع من الصفصاف (Saulo) أو هو غيره. ويطلقون أسم الخلاف فى مصر على زهرة مما يشم رطباً ويستقطر نفل الورد والنسرين والنيلوفر (نهاية الأرب، فى الباب الأول من القسم الأول من الفن الرابع؛ وحسن المعاصرة). وفى "صبح الأعشى ج ١ ص ٣٩٣" أن البان والخلاف من الفواكه المشمونة وأنهما نوعان.

أما أسم هذا البان عند علماء النبات فهو *Salix Egyptiaca*. والشجرة الثانية هى التى عنها الجاحظ. تشبه الأثل ولها ثمر كأنه الجوز فيه حب كالفسق، ومنه يستخرجون الدهن المشهور بدهن البان أو بالبان فقط. وهذا الثمر يسمى بالشوع أيضاً. ودهنه يدخل فى تركيب قنأس الطيب والأعطار والفوالى. وتوجد شجرته ببلاد العرب. واسمه العلمى (*Guilandina moringa*) واسمه العامى المشهور عند الفرنج (Ben) مأخوذ عن العربية. (راجع ابن البيطار وترجمته إلى الفرنسية فى الكلمات التى ذكرناها)

(٤) صه: نبذت.

(٥) من باب ضرب بمعنى يسقط.

(٦) فى نسخ "الحاسن والأضداد" (ص ٢٧٣ - ٢٧٤) أجل تراينه، أجل بواثله.

فعلی الحکیم المحبّ لبقاء هذا النسيم الدقيق، وهذا الماء الرقيق، أن يطلب
 دوامهما لنفسه بكل حيلة يجد إليها سبيلا؛ ويدفع مفارقتها لكل شئ يقع فيه^(٢)
 التأويل بين أمرين من سلامة تُنجى أو عَطِبَ يُتلف^(٣)؛ ولا يتَّكَل على خيانة خَفِيتْ
 أو فُجِرة حَطِي بها أحدٌ من أهل السفه والبطالة. فإنَّ تلك لا تُسمَّى سلامة، بل^(٤)
 إنما هي حسرة وندامة، يوم القيامة. وكم من فعلة قد ظُهرَ عليها بعد مرور الأيام
 وطول الأزمنة بها، فَرَدَّتْ من كان قد أحسنَ بها الظنَّ حتى تركته كأمس الزاهب،^(٥)
 كأن لم يكن في العالم!



ومن حقَّ الملك - إذا أَسَّ بإنسانٍ حتى يُضاحكه ويُهزله ويُفَضِّي إليه بسرّه
 ويَحْصُهُ دون أهله، ثم دخل على الملك داخلٌ أو زاره زائرٌ - أن لا يرفع إليه طرفه،
 إعظاما وإكراما، وتجيلا وتوقيرا، ولا يضحك لضحك الملك ولا يعجب لعجبه.
 وليكن غرضه الإطراق والصمت وقلة الحركة.

إغضاء البصر
 بحضرة الملك



(١) يُكْنَى بالنسيم الدقيق عن النَّفس؛ وبالماء الرقيق عن الدم.

(٢) سمه : مفارقتها بكل . صه : مفارقتها بكل . [وربما كان الأصوب ما وضعناه في متن الكتاب :

١٥ "ويدفع مفارقتها لكل شئ الخ" أى يحول دون ارتكابها لأى أمر تكون عاقبته مشكوكا فيها بين السلامة والهلاك . قال في تاج العروس : "قارفه مقارفة وقرافا : قاربه . ولا تكون المقارفة إلا في الأشياء الدنيئة ."

(٣) صه : غضب .

(٤) سمه : نسي .

(٥) الفعل هنا هو ردّى مثل أردى، بمعنى أهلك . وفى صه : فأوردت .

٢٠ (٦) أَمَسَ الزاهب، وأمس الدابر، وخبر كان : كلها بمعنى واحد . (أنظر لسان العرب في د ب ر)



غض الصوت
بحضرة الملك

ومن حق الملك أن لا يرفع أحد صوته بحضرة. لأن من تعظيم الملك وتجييله
خَفَضَ الأصوات بحضرة، إذ كان ذلك أكثر في بهائه وعزّه وسلطانه.

تأديب الله
للصحابة

وهذا أَدَبُ الله أصحاب رسوله (صلى الله عليه وسلم)، فقال عزّ من قائل:
”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ.“ فَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ فَقَدْ آذَاهُ، وَمَنْ آذَاهُ فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ.

وكان قومٌ من سفهاء بني تميم أَتَوْا النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) فقالوا: يا محمد!
أُخْرِجْ إِلَيْنَا نُكَلِّمَكَ. ففهم ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وساء ما ظهر من سوء
أدبهم، فأنزل الله عز وجل: ”إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ.“^(١)

ثم أتى على مَنْ غَضَّ صَوْتَهُ بِحَضْرَةِ رَسُولِهِ، فقال جل اسمه: ”إِنَّ الَّذِينَ يَغْضَوْنَ
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى.“^(٢)



فمن تعظيم الملك وتجييله خَفَضَ الأصوات بحضرة، وإذا قام عن مجلسه:
حتى لا يدخل الملك وهنٌ ولا خللٌ ولا تقصيرٌ، في صغيرٍ أمرٍ ولا جليله.



حرمة مجلس الملك
في غيبته

وكانت ملوك الأعاجم تقول: إِنَّ حُرْمَةَ مَجْلِسِ الْمَلِكِ إِذَا غَابَ حُرْمَتُهُ إِذَا حَضَرَ.

(١) أنظر قصة هذا الوفد في كتب السيرة النبوية، وفي ”صبح الأعشى“ (ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٦).
وفي ”البيان والتبيين“ (ج ٢ ص ٣٩).

(٢) أنظر ”محاضرات الراغب“ (ج ١ ص ١١٧).

(١) وكان لها عيون على مجالسها، إذا غابت عنها. فمن حضرها، فكان في كلامه وإشارته وقلة حركته وحسن ألفاظه وأدبه - حتى أنفاسه - على مثل ما يكون إذا حضر الملك، سُمي ذا وجه. ومن خالف أخلاقه وشيئه وظهر منه خلاف ما يظهره محضرة الملك، سُمي ذا وجهين، وكان عند الملك منقوضاً مُتَصَنِّعاً.^(٢)

الرقباء على مجالس
ملك البعج عند
غياهم



ومن أخلاق الملك أن يخلع على من أدخل عليه سروراً، إما في خاصة نفسه وإما في توكيد ملكه. فإن كان السرور لنفسه في نفسه، فمن حقه على الملك أن يخلع عليه خلعاً في قرار داره، وبمحضرة بطانته وخاصته. وإن كان في توكيد ملكه، فمن حقه أن يخلع عليه بمحضرة العاتية، لينشر له بذلك الذكر ويحسن به الأجدوة وتصلح عليه النيات، ويستدعى بذلك الرغبة إلى توكيد الملك وتسديد أركانه.

مواطن المكافات



وليس من العدل أن يُفردُ الحُسنُ بخلعة فقط، إلا أن تكون الخلعة على شرب أو هوي. فإما إذا كانت لأحد المعينين الذين قدمنا ذكرهما، فمن العدل أن يكون معها جائزة وصلة وترتيب، أو ولاية أو إقطاع أو إجراء أرزاق أو فك أسير أو حمل حمالات أو قضاء دين أو إحسان، كائناً ما كان، مضافاً إليها وموصولاً بها.

بيان المكافات
وخصوصها
وعموها

باب

في صفة ندماء الملك

ينبغي أن يكون نديم الملك معتدلاً بالطبيعة، معتدلاً بالأخلاق، سليم الجوارح والأخلاق، لا الصفراء تقلقه وتكثر حركته، ولا الرطوبة والبلغم يقهره ويكثر بولاً وبزقه وتثاؤبه ويطيل نومه، ولا السوداء تضججه وتطيل فكره وتكثر أمانيه وتفسد مزاجه. فأتما الدموى^(١)، فليس يدخل في هذه الأقسام المذمومة، إذ كان بالبدن إليه حاجة كحاجته إلى تركيبه وسلامته.



ومن حقَّ الملك - إذا زامله بعض بطانته - أن يكون عارفاً بمنازل الطريق وقطع المسافة، دليلاً بهديته وأعلامه ومياهه، قليل التثاؤب والتعاس، قليل السعال^(٢) والعطاس، معتدلاً المزاج، صحيح البنية، طيب المفاكهة والمحادثة، قصير المياومة^(٣) والملايلة، عالماً بأيام الناس ومكارم أخلاقهم، عالماً بالنادر من الشعر والساير من المثل، متطرفاً من كل فنٍّ، آخذاً من الخير والشر بنصيب. إن ذكر الآخرة ونعيم أهل الجنة، حدثه بما أعد الله تعالى لأهل طاعته من الثواب، فرغبه فيما عنده؛ وإن ذكر النار، حذر ما قرب إليها. فزهده مرةً ورغبه أخرى. فإن بالملك أعظم

(١) صم : الدين.

(٢) التفسير يعود إلى "الدم" المفهوم من قوله "الدموى"

(٣) صم : ومناره.

(٤) صم : قصير الملايلة.

(٥) صم : متصرفاً.

الحاجة إلى مَنْ كانت هذه صفاته وبالْحَرًّا إذا أصاب هذا، أَنْ لا يفارقه إِلَّا عن أمرٍ
تقطع به العصمة وتجب به النعمة.^(١)



ومن حقَّ الملك، إذا خرج لسفَرٍ أو نُزْهِة، أَنْ لا يفارقه خَلْعٌ للكساء، وأَسْوَالُ
للصلّات، وسيَاطُ للأدب، وقيودُ للعصاة، وسلاحٌ للأعداء، وحِماةٌ يكونون من
ورائه وبين يديه، ومُؤَنِّسٌ يُفَضِّى إليه بسرّه، وعالمٌ يسأله عن حوادث أمره وسُنّة
شريعته، ومُملِّهٌ يَقْصُرُ ليلَه ويكثُرُ فوائده.

عدة الملك في خروجه
لسفَرٍ أو نُزْهِة



وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم، أوّلُها وآخرُها.

وأيضاً فإن ملوك العرب، لم تزل تمتثل هذا وتفعله.

ولسنداء الملك وبطانته خِلالُ يُسَافِرُونَ فيها المَلِكُ ضرورةً. ليس فيها نقص على
الملك، ولا ضَعْفٌ في الملك. منها: اللَّعِبُ بِالْكُرَّةِ، وطلب الصيد، والرَّمْيُ في الأغراض،
وَاللَّعِبُ بِالشَّطْرَنْجِ، وما أشبه ذلك.

خلال الندماء

ومن الحقَّ على الملك أَنْ لا يمنع ملاعبه ما يجب له من طلب النِّصْفَةِ في هذه
الأقسام التي عَدَدْنَا.

مساواة الملك
للملاعبه

ومن حقَّ المَلَاعِبِ له المَشَاحَّةُ والمُكَالَبَةُ والمُساوَاةُ والممانعة وتركُ الإغضاء والأخذُ^(٣)

حق الملاعب
على الملك

(١) في "القاموس": "الْحَرًّا الخَلِيقُ. ومنه: بِالْحَرِّ أَنْ يكون ذلك." وفي "الصحيح": ويحدث الرجلُ
الرجل فيقول: بالحرى أَنْ يكون. | والمعنى هنا أن الملك إذا أصاب رجلاً توفّرت فيه هذه الصفات
فالأحرى والأجدر والاخلق به أن لا يفارقه إِلَّا في الحالة التي نص عليها المؤلف.

(٢) سره: "القيمة"

(٣) صه: المعاقبة.

من الحق بأقصى حدوده. غير أن ذلك لا يكون معه بدءاً ولا كلام رَفِث ولا معارضة بما يُزيل حقَّ الملك ولا صياحٌ يعلو كلامه ولا نخيرٌ ولا قذفٌ ولا ما هو خارج عن ميزان العدل.

٦٠

ملاعبة سابور
على أمر مجهول

وفيما يُحكى عن سابور أنه لاعب تريا، كان له بالشطرنج إمرة مطاعة. فقمرة تربه. فقال له سابور: ما امرُك؟ فقال: أربكك حتى أخرج بك إلى باب العامة. فقال له سابور: بئس موضع الدالة وضعتك، فرد غير هذا. فقال: بهذا جرى لفظي. فأسف لذلك سابور وقام فدعا يبرقع، فتبرقع. ثم جثا لتربه، فأمتنع أن يعلو ظهر الملك، إجلالاً له وإعظاماً. فنادى سابور بعد ذلك بسنة في الرعية: لا يلعبن أحدٌ لعبةً على حكمٍ غائب، فمن فعل فدمه هدر.

فأما إذا كانت المشاحة على طلب الحق في هذه الأقسام التي ذكرنا بمعارضة شعير، وتوبيخ في مثيل ونادر من الكلام، وإخبار عن سوء لعب اللاعب وتأنيب له، فهذا مما يُخاطب به الملك ويُعارض فيه. فأما إذا خرج عن هذا، فدخل في باب الجرأة كما فعل ترب سابور، فإنه خطأ من فاعله وجهل من قائله وجرأة على ملكه. وليس للرعية الجرأة على الراعي.

+

٦١

آداب الملاعبة
بالكرة وغيرها

ومن حق الرجل على الملك، إذا ضرب معه بالكرة، أن يتقدم بدابته على دابة

(١) النخير: مد الصوت في الغياشيم. (قاموس)

(٢) أي أن هذا الترب كانت عاداته ودينه أن لا يلعب الشطرنج إلا على إمرة مطاعة. والإمرة المطاعة هي الاحتكام.

(٣) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة باختصار. (ص ٧٨)

(١) الملك، وصوّجَ لآبائه على صولجان الملك، وأن يعمل جهده في أن لا يُخسِرَ حظّه ولا يفترّ في مسابقة ولا مرا كضبة ولا ألتفاف كرة ولا سيق إلى حدّ ونهاية وما أشبه ذلك. وكذلك القول في الرّماية في الأغراض وطلب الصيد ولعب الشّطرنج.

(٢) سمعت محمد بن الحسن بن مُصعب يقول: "كان لي صديق من بني مخزوم، وكان لاعبا بالشّطرنج، فذكرته لأبي العباس عبد الله بن طاهر، فقال: أحضره. فقلت للمخزومي: تهباً للقاء أبي العباس. وكان متصرفاً كثير الأدب. فعدوتُ به، فدخل. فلما وقعت عين أبي العباس عليه، وقف. فراه من بعيد، ثم أنصرف من غير أن يكلمه. فقال: هذا رجلٌ من أهل الأدب، فأعدُّ به ولاعبه الشّطرنج بحضرتي

لعبة الشطرنج
بمحضره عبد الله
ابن طاهر

(١) صه: ولا يعين.

(٢) اضطرب أسم الأب في كثير من كتب التاريخ والأدب. فورد في سم: "الحسين" وكذلك في كامل ابن الأثير طبع أوربة ومصر وفي "المحاسن والمساوي" ص ٢١٧. وورد في صه: "الحسن" وكذلك في الأغاني وفي سم في موضع آخر [أي في صفحة ١٥٠ من هذا الكتاب]. أما الطبري فأورد الاسمين، وفرق بينهما صاحب فهرسته بجعل "محمد بن الحسين" راوياً. ولا أدري من أين له هذه التفرقة، فإن من الطبري لا يفيدها. والظاهر عندي أنهما شخص واحد.

١٥ أولاً - لأن محمد بن الحسين بن مصعب لم يرد في الأغاني مطلقاً، ولو كان رواياً - كما يزعم صاحب فهرست الطبري - لكان من الراجح وقوع اسمه في كتاب الأغاني؛

ثانياً - لأن ابن الأثير ذكر محمد بن الحسين بن مصعب (في حوادث سنة ١٩٨) ثم وصفه بأنه ابن عم طاهر ذي اليمنين الذي فتح بغداد بأسم المأمون. ومعلوم أن طاهراً هذا هو ابن الحسين بن مصعب بلا خلاف. فيكون صاحبنا الذي أشار إليه الجاحظ هو محمد بن الحسن بن مصعب، وإلا لكان عمه. ومحمد بن الحسن بن مصعب هذا هو الذي أرسله طاهر إلى المأمون بخراسان برأس الأمير بعد قتله ببغداد. فهو من عصبة عبد الله بن طاهر الذي وقعت الحكاية في مجلسه. وقد كان بصيراً بالغباء والنعم، وكان من الملحنين. وذلك لأن أبا الفرج الإصفهاني يقول إن الرجل نشأ بخراسان، وبلغته بلقب الأمير. (ابن الأثير ج ٦

ص ٢٠١ و ٣٥٦) و(الأغاني ج ٥ ص ٣٨ و ٩٣ و ١٠٢ و ٩ ص ٩٢ و ج ١٤ ص ٩١)

حَتَّى أَبُورِهِ وَعَاشِهِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَالشَّيْثَةِ. فَلَمَّا قَعَدْنَا، دَارَتْ لِي عَلَيْهِ
ضَرْبَةً، فَقُلْتُ: خُذْهَا، وَأَنَا الْفَلَامُ الْبُوشَنجِيُّ! وَهُوَ سَاكِتٌ. ثُمَّ دَارَتْ لِي عَلَيْهِ ضَرْبَةً
أُخْرَى، فَقُلْتُ: خُذْهَا، وَأَنَا مَوْلَى مَخْزُومٍ! فَسَكَتَ. ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهِ ضَرْبَةً، فَقُلْتُ:
خُذْهَا يَا أَبْنَ مَخْزُومٍ، فِي حَرَمٍ مَخْزُومٍ! فَسَكَتَ. وَأَسْتَوْذِنُ لِرَجُلٍ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمَلِكِ
أَبْنِ صَالِحٍ، وَكَانَ خَاصًّا بِأَبِي الْعَبَّاسِ، فَأَمَرَ بِالِإِذْنِ لَهُ. فَلَمَّا دَخَلَ الْهَاشِمِيُّ وَقَعَدَ،
قَالَ [لِي] الْمَخْزُومِيُّ: لَيْسَ فَيْكَ مَوْضِعُ شَرَفٍ وَلَا عِزٍّ، فَأُفَاخِرُكَ! أَنْتَ بُوشَنجِيٌّ تَمُنُّ دَانِقُ!
وَلَكِنْ قُلْ لِهَذَا الْهَاشِمِيِّ يَفَاخِرُنِي حَتَّى يَنْظُرَ مَا يَكُونُ حَالُهُ. فَأَمَّا أَنْتَ، فَمَنْ أَنْتَ حَتَّى
أُفَاخِرُكَ؟ فَضَحِكَ أَبُو الْعَبَّاسِ حَتَّى لَحَظَ بِرَجُلَيْهِ، وَأَمْرُهُ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ وَقَرِيبِهِ وَأَنَسَهُ.

٦٢

آداب الندماء اذا
أخذت الملك سنة
من النوم

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ، إِذَا غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، أَنْ يَنْهَضَ مِنْ حَضْرِهِ مَنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، بِمَحْرَكَةٍ
لَيِّنَةٍ خَفِيفَةٍ، حَتَّى يَتَوَارَى عَنْ قَرَارِ مَجْلِسِهِ، وَيَكُونُ بِحَيْثُ يَقْرُبُ مِنْهُ إِذَا أَنْتَبَهَ.
وَلَا يَقُولَنَّ إِنْسَانٌ فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ الْمَلِكَ إِنْ هَبَّ مِنْ سِنَتِهِ لَا يَسْأَلُ عَنِّي، أَوْ لَعَلَّهُ أَنْ يَمْتَدَّ
بِهِ النَّوْمُ أَوْ يَعْزِضَ لَهُ شُغْلٌ. فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْخَطَا.
وَقَدْ قَتَلَ بَعْضُ الْمُلُوكِ رُجُلًا فِي هَذِهِ الصِّفَةِ.

(١) البَّورُ الاختبار والأمتحان كالآبِتَار. قال في تقاض جري والفرزدق (ص ٣٥٤): "وهذا كله
آبِتَارٌ مِنْهُ لِلنَّاسِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى خَلْعِهِ".

(٢) يظن بعض الجهلة أن هذا اللفظ ليس بعربي، لأن بعض المتجدلقين مالوا إلى الشتم لفظاً ومعنى، دون
أن ينقلوا إلى الفرق بين الأسم والمصدر. والقاموس وشرحه وكل متون اللغة والملاحظ وأمثاله شهود عدول.
وأنظر أيضاً شرح القاموس في مادة هـ زل فقد صرح بأنهم اشتقوا الشئمة من الشتم [وأنظر البيان والبيان ج ٢ ص ٦]
(٣) إشارة إلى نشأته بمدينة بوشنج من خراسان.

(٤) كلمة مركبة تركيباً إضافياً من كلمتين. وحذف حرف الألف من الثانية. والمعنى ظاهر. وهو شئمة.
ويضارع ذلك في حذف الألف، قول العرب: "لَابَ لَكَ"، أي لا أَبْ لَكَ، وقولهم: "وَبِلْمَةٌ" (أنظر تاج
العروس في مادة وى ل). [وأنظر صفحة ١٣٥ من هذا الكتاب].

(٥) أي ضرب الأرض برجله كثيراً حتى كأنه يبحث فيها.

وليس من الحزم أن يجعل الحكيم للملك على نفسه طريقا، وهو وإن سلم من عدل الملك ولائحته لكرم الملك وشيئته، قدح ذلك في نفس الملك وأضطن عليه. وبالحرى أن لا يسلم من عدل وتأنيب.^(١)



ومن حق الملك - إذا حضرت الصلاة - فالملك أولى بالإمامة، لخصال: منها - أنه الإمام، والرعية مأمومة؛ ومنها - أنه المولى، وهم العبيد؛ ومنها - أنه أولى بالصلاة في قرار داره وموطئ بساطه، ولو حضر مجلسه أزهى الخلق وأعلمهم.

إمامة الملك للصلاة



فإذا قام للصلاة، فمن حقه أن يكون بينه وبين من يصلي خلفه عشرة أذرع، وأن لا يتقدمه أحد بتكبير ولا بركوع ولا سجود ولا قيام.

وهذا، وإن كان يجب لكل من أم قوما من صغير أو كبير أو شريف أو ضيع، فهو للملك أوجب.

فإذا سلم الملك، فمن حقه أن يقوم كل من صلى خلفه قائما. فإنهم لا يدرون أريد تنفلا أودخولا أوقعودا في مجلسه.^(٣)

فإن قام لنافلة، فليس من حقه أن يتنقلوا. لأنهم لا يدرون لعله أن يسبقهم أو يقطع صلاته لحديث، فيكون يحتاج إلى أن يسبقهم، وهم قيام يصبئون بإزائه، وهو قاعد. ولكن من حقه أن يكونوا بحالهم حتى يعلموا ما الذي يفعل. فإن قعد، انحرفوا إلى حيث لا يراهم، فصَلُّوا نوافلهم. وإن دخل في الصلاة، صلُّوا على مكاناتهم.^(٤)

(١) أنه تأنيبا: عفة ولامه. (حاشية في صـ)

(٢) صـ: بالإقامة.

(٣) في صـ: "تنفلا"، بالقاف، ولكن بقية السياق تدل على أنه بالقاف.

(٤) المكانة المنزلة عند ملك. (قاموس). وقد وردت هذه الآداب بزائدة وأختصار في "محاسن

الملوك" (ص ٧٨).



آداب مسامرة
الملك



وقد قلنا إن من حقِّ الملك أن لا يبتدئه أحدٌ بمسامرة. وإن طلب ذلك منه من يستحقُّ المسامرة، فالذي يُجزئه من ذلك أن يقف بحيث يراه ويتصدى له. فإن أوماً إليه، سايره؛ وإن أمسك عن الإيماء، علم أن إمساكه هو ترك الإذن له في مساميرته. ومن حقّه، إذا سايره أن لا يمسّ ثوبه ثوب الملك، ولا يذني دابّته من دابّته، ويتوشّح أن يكون رأس دابّته بإزاء سرج الملك، غير أنه لا يكلفه أن يلتفت إليه. ولا ينبغي له أن يبتدئه بكلام.

وإن كان لا يشقّ بلينِ عنان دابّته حتى يصرفه كيف شاء ومتى شاء، فالرأى له أن لا يسايره. فإن في مساميرته وُصمةٌ عليه وعلى الملك. أمّا عليه، فإنه يحتاج إلى حركة متواترة يُتعب بها نفسه ودابّته، ويخرج بها عن حدّ أهل الأدب والمروءة والشرف. ولعلّه في خلال ذلك أيضاً أن لا يبلغ ما يريد. وأمّا على الملك، فإنه وهنٌ في المملكة. لأن الملك، إن طلب الصبر عليه وعلى سير دابّته، كان إنما يسير عند ذلك بسيره. وليس في آيين المملكة أن يسير الأعظم بسير من هو دونه.

سنة أكابر العجم
عند تهيئهم للمسامرة



ولذلك كانت رؤساء الأكاسرة والأساورة والديربذ وموبذان موبذ ومن أشبه هؤلاء من خاصّة الملك، إذا هم الملك بالمسير في زُهرة أو لبعض أموره، عرضوا دوابهم

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ و ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب.

(٢) كلمة فارسية تفسرها حافظ الكتاب (التهذيب والإشراف للسعودي ص ١٠٤). والمقصود من الكتاب الكتاب المقدس عند المحوس. وربما كان الصواب في هذا المقام: "ديربذ" من كلمتين الأولى فارسية والثانية عربية بمعنى "كاتب اليد". ذلك لأنهم لم أعثر في معجمات اللغة الفارسية على تفسير يوافق ما ذهب إليه المسعودي. اللهم إلا أن تكون الكلمة محرفة وتحتاج إلى التثقيف. [وأنظر صفحة ١٦٠ و ١٧٣ من هذا الكتاب].

(٣) أما الموبذ فهو القاضي، وموبذان موبذ هو قاضي القضاة. وموبذ من ألفاظ الفهلوية، وهي اللغة الفارسية القديمة ومعناها القاضي (مروج الذهب ج ٦ ص ٣٧٥).

على راضة الملك وصاحب دوابه . وكان كل واحد منهم لا يأمن أن يدعو به الملك
للسايرة والمحاذثة ، فيحتاج إلى معاناة دابته لبلادة أو كثرة نفور أو عثار أو جماج .
فيكون على الملك من ذلك بعض مايكره . وكان الراض يمتحن دابة دابة من دواب
هؤلاء العظماء . فما اختار منها ركب ، وما نفى أرجى .

وأيضا إن من حق الملك ، إذا سايه واحد ، أن لا تروث دابته ولا تبول ولا تتحصن ^(١)
ولا تتشعب ، ولا يطلب المحاذاة لسير دابة الملك ، وإن أراد ذلك منعه راكمه .

ما حصل للموبذ
أثناء مسيرته لقباز

وفيما يحكى عن ملوك الأعاجم أن قباد ، بينا هو يسير والموبذ يسايه ، إذ راثت
دابة الموبذ وفطن لذلك قباز . فأغتم الموبذ بذلك ، فقال له في كلام بينهما : ما أول
ما يستدل به على سُخف الرجل ، أيها الموبذ ؟ فقال : أنت يعلف دابته في الليلة
التي يركب في صبيحتها الملك . فضحك قباز حتى أقتر عن نواجذه . وقال : لله أنت !
ما أحسن ما ضمنت كلامك بفعل دابتك ! وبحق ما قدمك الملوك وجعلوا أزمة
أحكامهم في يدك ! ووقف ثم دعا بدابة من خاص مراكبه ، فقال له : تحول عن
ظهر هذا الجاني عليك إلى ظهر هذا الطائع لك . ^(٢)



(١) تحصن الفرس صارحصانا أى إذا تكلف ذلك . ولعل المعنى أن الفرس تثب على الدابة التي تكون
قدأما كما يفعل الفحل . لئلا يحدث مثل ما وقع لسلطان مصر قايتباى إذ ركب في محرم سنة ٨٧٦ ومعه
الأتابكي أزبك (منشئ الأذربكية) متوجهين من القاهرة إلى شيبين القناطر . ففى أثناء الطريق شب فرس
الأتابكي على فرس السلطان ورفسه . فجاءت الرفسة في قصبة ساق السلطان فأنكسرت ، فزل بشيبين وهو في غاية
الأم . واستحضر السلطان محفة من القاهرة ليعود عليها . (وأظفر التفصيل في آبن لباس ج ٢ ص ١٢٨)

١٥

(٢) معرب قباد . وفى كتاب "برهان قاطع" أنه بنى مدينتى حلوان وكازرون . وأقول إن حلوان هذه
هى غير التي بالقرب من القاهرة . وعن ياقوت أنها كانت أكبر مدينة في العراق بعد الكوفة والبصرة وبغداد
وعمر من رأى . [وأظفر صفحة ١٠٥ من هذا الكتاب] .

٢٠

(٣) رواها في "مخاسن الملوك" بأختصار . (ص ٨٢ - ٨٣) ، ورواها بالحرف في "المخاسن
والمساوى" (ص ٤٩٦ - ٤٩٧) .

ماحصل لشرحيل
أثناء سيارته لمعاوية

وهكذا يُحكى عن معاوية بن أبي سفيان أنه بينما هو يسير وشرحيل بن السَّمِطِ^(١) يساويه، إذ رامت دابة شرحيل، وكان عظيم الهامة بسيط القامة. ففطن معاوية بروث الدابة، وساء ذلك شرحيل. فقال معاوية: يا أبا يزيد! إنه يقال إن الهامة إذا عظمّت، دلّت على وفور الدماغ وصحة العقل. قال: نعم يا أُمير المؤمنين، إلّا هامت فإنها عظيمة، وعقل ضعيف ناقص. فتبسّم معاوية، وقال: كيف ذلك، والله أنت! قال: لإطعامي هذا النائل أمّه البارحة مَكُونِي شعير. فضحك معاوية، وقال: أَفَحَسِتَ، وما كنت فاحشًا! وحمله على دابة من مراكبه.^(٢)
^(٣)

(١) هو أبو السّمح الكندي. كان من رجالات معاوية وأركان دولته، وكان يستشير في جلائل الأمور ويقول عليه في حلّ المشكلات الجسام. وقد أرسله مع عمرو بن العاص لملاقاة أبي موسى الأشعري في قضية التحكيم. وكان من قواد الجيوش ومن صناديد الفرسان المعدادين، واشترك في رئاسة الجيوش التي فتحت العراق والقادسية وبيسان وأجنادين. وقد طلب من علي عليه السلام أن يدفع إليهم قتلّة عثمان بن عفّان إن لم يكن هو القاتل. وهو الذي فتح حصص ثم تولّاها لمعاوية، وهو الذي قسم منازلها بين أهلها. ونما يحسن ذكره للتعريف بجلالته في نفسه وقومه أنه اعتزل مع ولده بني معاوية حينما أطبقوا على منع الصدقة، وقال لهم: "إنه لقيح بالحرار [الأحرار] التنقل. إن الكرام ليلزمون الشبهة فينكرومون أن ينتقلوا إلى أوضع منها، مخافة العار. فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحق، إلى الباطل والقيح؟ اللهم إنا لانمالي قوما على ذلك!" توفي سنة ٤٠ أو سنة ٤٢. (ابن الأثير ج ٢ ص ٢٩١ و ٣٤٨ و ٣٧٤ و ٣٨٧ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٤٩٤ و ج ٣ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٩٧ و ٣٣٨، والأشتقاق لابن دريد ص ٢١٨، وتاج العروس في باب الباء وفي باب اللام)

(٢) إقديت في هذا الموضع بما فعله في صلحته ٧٩ طابع ثياب طراز المجالس للشهاب الخفاجي في المطبعة الوهية بالقاهرة. [وأنظر صفحة ١٣١ من هذا الكتاب].

(٣) رواها باختصار في "نحاسن الملوك". (ص ٨٤)، وفي "نحاسن المساوي" (ص ٤٩٧).

فَلْيَتَنَكَّبْ مَنْ يَسِيرُ الْمُلُوكَ مَا يَقْدِرُ أَعْيُنُهُمْ بِكُلِّ جُهْدِهِ . فَإِنَّ لِمَسَايِرَتِهِمْ شُرُوطًا يَجِبُ عَلَى مَنْ طَلَبَهَا أَنْ يَسْتَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَ فِيهَا . وَقَلَمًا حِطًى أَحَدُ مَسَايِرَةِ مَلِكٍ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهَا مَقَدِّمَاتٌ يَجِبُ بِهَا الْحُظُوفَةُ .

تحذير



فَأَمَّا نَفْسُ الْمَسَايِرَةِ لِلْمَلِكِ الْمُتَّصِلَةِ ، فَإِنَّ الْأَعَاجِمَ كُلَّهَا كَانَتْ تَتَطَيَّرُ مِنْهَا وَتَكْرَهُهَا . وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَثَابِرُ عَلَى مَسَايِرَةِ أَحَدٍ مِنْ بَطَانَتِهِ بَعِيْنَهُ ، لَمَّا كَانَ يَعْلَمُ مِنْ طَيْرَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ وَكَرَاهَتِهِمْ لَهُ .

تطير المعجم من
مسايرة الملك
المتصلة

وَيَقَالُ إِنَّ سَعِيدَ بْنَ سَلَمَ ، بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ مُوسَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ

ماحصل من
صاحب الشرطة
وهو يسير بين يدي
الهادي

(١) هُوَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمَ بْنِ قَتِيْبَةَ بْنِ مُسْلِمِ الْبَاهَلِيِّ . كَانَ بِمَنْزِلَةِ عَظِيْمَةٍ مِنَ الْهَادِي وَمِنْ الرَّشِيدِ بَعْدَهُ ، وَكَانَ يَرْكَبُ مَعَهُ فِي قَبَةِ وَاحِدَةٍ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ الرَّشِيدُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، ثُمَّ عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ . أَخْرَجَ الْخَزْرَعْلِيَّ فَهَزَمُوهُ وَفَعَلُوا الْأَفَاعِيلَ الْمُنْكَرَةَ الَّتِي لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِهَا النَّاسُ . فَأَرْسَلَ الرَّشِيدُ رَجُلَيْنِ فَأَصْلَحَا مَا أفسَدَهُ . ثُمَّ وَلَاهُ مَرْعَشَ . فَأَغَارَتِ الرُّومُ عَلَيْهِمَا وَأَصَابُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْصَرَفُوا ، وَلَمْ يَتَحَرَّكَ سَعِيدٌ مِنْ مَوْضِعِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٩١ . قَالَ سَعِيدٌ إِنَّ أَعْرَابِيَا مَدَحَهُ بَيْنَيْنِ لَمْ يَسْمَعْ أَحْسَنَ مِنْهُمَا :

أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ ، لَا تَخْشِ ضَلَّةً ! * سَعِيدُ بْنُ سَلَمَ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادٍ .
لَنَا مُقَرَّمٌ أَرَبِيٌّ عَلَى كُلِّ مُقَرَّمٍ ، * جَوَادٌ حَتَّى فِي وَجْهِ كُلِّ جَوَادٍ .

فَأَغْفَلَ صُلْتهُ فَهَجَاهُ بَيْنَيْنِ لَمْ يَسْمَعْ أَجْمَى مِنْهُمَا :

لِكُلِّ أُنْحَى مُدَحٍ ثَوَابٌ عَلَيْهِ ، * وَلَيْسَ لِمُدْحِ الْبَاهَلِيِّ ثَوَابٌ .
مَدَحْتُ أَبْنَ سَلَمَ ، وَالْمَدْحُ مَهْزَةٌ ، * فَكَانَ كَهَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ .

(إِنْ الْأَثَرِ ج ٦ ص ٧١ و ٨١ و ١٠٥ و ١١١ و ١١٢ و ١٤١ ؛ و "الْأَغَانِي" ج ١٧ ص ٣٢

و ج ٢١ ص ٢٣٤ ؛ و "عَيُونُ الْأَنْبَاءِ" ج ١ ص ١٥٤ ؛ و "أُمَالِي الْقَالِي" ج ٢ ص ٢٧)

(١) مالك [الخزاعي] أمامه، والحربة في يده، فكانت الريح تَسْفِي التراب الذي تُشِيرُهُ دابة عبد الله في وجه موسى، وعبدُ الله لا يشْعُرُ بذلك، وموسى يحيد عن سَنَنِ التراب. وعبد الله في خلال ذلك يلحظ موسى وموضِعَهُ، فيطلب أن يحاذِيَهُ. فإذا حاذاه، ناله من ذلك التراب ما يؤذيه. حتى إذا كثر ذلك من عبد الله، ونال موسى أذى ذلك التراب، قال لسعيد: أما ترى ما نلقى من هذا الخائن في مسيرنا هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين! والله ما قَصَرَ في الاجتهاد، ولكنه حُرِمَ حَظَّ التوفيق.^(٢)

وفيما يذكر عن عبد الله بن حسن أنه بينا هو يسير بأبا العباس [السفاح] بظاهر مدينة

ما قاله عبد الله بن الحسن للسفاح

(١) كان صاحب الشرطة في أيام المهدي فالحادي فالرشيد. وكان من أكابر القواد وتولى أرمينية وأذربيجان. له مع الهادي حكاية ظريفة ذكرها ابن الأثير (ج ٦ ص ٧٠ و ٧١). وكان بينه وبين يحيى بن خالد البرمكي عداوة وتحاسد، وآنهت بضالهما على يد أحد الزورين من حيث لا يعلمان ولا يعلم (ساقها في المحاسن والمساوي ص ٤١٥ - ٤١٦). وفيه يقول أحد الشعراء في شكاة أشتكها:

ظَلَّتْ عَلَى الْأَرْضِ مُظْلَمَةٌ * إِذْ قِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ قَدْ وُكِّعَ.

باليث ما بك بي، وإن تَلَفْتُ * نَفْسِي لَذَاكَ! وَقُلْ ذَاكَ لَكَ!

(أنظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦٥ و ٦٨ و ١٢٥ و ١٣٤ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٥ و ١٥٣ و ١٥٤) وأنظر الأغاني ج ٥ ص ٥ و ٨ و ١٠٥ و ١٦٧ ص ١٦٧). وأنظر صفحة ٩٢ من هذا الكتاب. (٢) يستفاد من كلام الجاحظ هنا مضافاً إليه كلام ابن الأثير (في ج ٦ ص ٦٥ وفي ج ٧ ص ٧٦) أن من شعار الخليفة وولى عهده أن يسير قائدٌ بحربة بين يدي كل منهما.

(٣) كذا في س، صه، وفي العقد الفريد وفي المحاسن والمساوي. ولعل الأصل: "المائق".

(٤) نقل ابن عبدربه هذه الحكاية باختصار في مقدمتها ولم يُشِرْ إلى مصدرها. (العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٦) ونقلها بالحرف في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧).

(٥) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وله أخبار ووقائع كثيرة مع السفاح والمنصور. لأن السفاح اجتهد في ترصّبه حتى لا يطالب بالخلافة. وكذلك فعل المنصور. ولكن ولديه محمد النفس الزكية وإبراهيم خرجا على المنصور. (أنظر العقد الفريد لابن عبدربه ج ٣ ص ٣٤ والأغاني ج ١٨ ص ٢٠٣ - ٢٠٩ والطبري والكمال للبرد بمقتضى فهارسهما).



الأنبار وهو ينظر إلى بناء قد بناه، فقال أبو العباس له: هات ما عندك، يا أبا محمد!
(١) (وهو يستطيع الحديث بالأنس منه) فأنشده:

أَلَمْ تَرَ مَا لَمَّْا تَبَنَى * بِنَاءَ نَفْعِهِ لِبَنِي بَقِيلَةَ؟
يُرَجَّى أَنَّ يَعْمَرَ عُمَرُ نُوْجٍ، * وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ!

فتبسّم أبو العباس كالْمَغْضَبِ، وقال: لو علمنا، لآشرطنا حقّ المسيرة! فقال
عبد الله: يا أمير المؤمنين، بوادر الخواطر وإغفال المشايخ! قال: صدقت، فخذ
في غير هذا. (٢)

وذكر المديني أن عيسى بن موسى، بينا هو يسير أبا مسلم عند مُنْصَرَفِهِ (٣)

ماقاله الهاشمي لأبي
مسلم الخراساني

(١) سم: يستفهمه.

(٢) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة (ص ٨٣ و ٨٤)، ورواها أيضا صاحب الأغاني
(جزء ١٨ ص ٢٠٦) بأختصار، وأورد البيت الأول هكذا:

أَلَمْ تَرَ حَوْشِبَا أُمْسَى يَبْنَى * بِنَاءَ نَفْعِهِ لِبَنِي بَقِيلَةَ

ونقيلة تصحيف في المحاسن وفي الأغاني، إذ لم يرد في أسمائهم؛ والذي ورد من هذه المادة إنما هو نُقِيلَ.
وأما بقيلة فهو الاسم الصحيح الوارد في متون اللغة وكتب التاريخ. قال ابن دُرَيْد: "ومنهم (أي من العرب) بنو سُنَيْنٍ
وهم بالخير منهم بقيلة صاحب القصر الذي يقال له قصر بني بقيلة بالخير. منهم عبد المسيح بن عمرو بن حيان
١٥ ابن بقيلة الذي صالح خالد بن الوليد على الخير، وكان من المعمرين وهو الذي بعث به كسرى أبرويز إلى
سطيح بالشام في رؤيا الموبدان، وله حديث". وفي حاشيته مانصه: "في معجم الشعراء للرزباني رحمه الله:
عبد المسيح بن بقيلة الفسائي هو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة. وبقيلة اسمه ثعلبة بن سُنَيْنٍ
ويقال الحارث. وسنى بقيلة لأنه خرج في بردين أخضرين، ف قيل له: يا حارث! ما أنت إلا بقيلة خضراء.
فغلبت عليه". (الأشتقاق ص ٢٨٥؛ وراجع الطبري وابن الأثير في فهارسهما؛ وتاج العروس في ب ق ل،
٢٠ ون ف ل؛ والمسدودي ج ١ ص ٢١٧-٢٢٢ وج ٢ ص ٢٢٨؛ وكتاب البلدان لليقوتى ص ٣٠٩). وقد
أورد هذه الحكاية صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٤) وجاء في النسخة المطبوعة: "بقيلة" بالنون والقاء.
وهو غلط أيضا من الناسخ أو الطابع. وأوردها أيضا في "المحاسن والمساوي" (ص ٩٨)، ولم يغلط
طابعه في "بقيلة".

(٣) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله الهاشمي (راجع فهارس ابن الأثير والأغاني). ٢٥

(٤) هو أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية بخراسان. [وأظهر ص ١٧٦ من هذا الكتاب وحاشية ص ٣٨٦].

إلى أبي جعفر في اليوم الذي قُتل فيه، إذ أنشد عيسى:

سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت، * وما حلَّ في أكلاف عادٍ وجرهم،
ومن كان أنأى منك عزاً ومفخراً، * وأنهد بال جيش اللّهام العرمرم.^(١)

فقال أبو مسلم: هذا مع الأمان الذي أُعطيت؟ قال عيسى: أعتق ما أملك إن كان هذا الشيء من أمرك! وما هو إلا خاطر أبداه لساني. قال: فبئس الخاطر والله إذن!^(٢)



ومن حقّ الملك أن لا يُسمّى ولا يُكنّى في جدٍّ ولا هنزٍ ولا أنيس ولا غيره. ولولا أن القدماء من الشعراء كنّ الملوك وسمّتهم في أشعارها وأجازت ذلك وأصطلحت عليه، ما كان جزاء من كنّى ملكاً أو خليفة إلا العقوبة. على أن ملوك آل ساسان لم يكنّوا أحد من رعاياها قط ولا سمّاها في شعرٍ ولا خطبةٍ ولا تقريرٍ ولا غيره. وإنما حدث هذا في ملوك الحيرة.^(٣)

عدم تسمية الملك
أو تكتيته

(١) صه: أدنى.

(٢) كثير اليهود أو النهوض بأمر الجيش والقيام بأعبائه.

(٣) نقلها في "المجاسن والمساوي" (ص ٤٩٨).

(٤) أظن ياقوت في وصف هذه المدينة وأحوالها وأساطيرها في الجاهلية، ولم يذكر لنا شيئاً عنها في أيام عظمتها على عهد الإسلام. وإنما استفدنا منه أنها بقرب النجف. ولذلك رأينا أن نثبت هنا ما جاء منها في الأغاني (ج ٨ ص ١٢٥) ليعرف القارئ مكاتبا التي دخلت الآن في خبر كان. قال:

« كان بعض ولاية الكوفة بدم الحيرة في أيام بن أمية، فقال له رجل من أهلها، وكان عاقلاً ظريفاً:

— أتعييب بلدة بها يضرب المثل في الجاهلية والإسلام؟

— وبما ذا تمّدح؟ =

والدليل على ذلك أنه لو سُمِّي أحدٌ من الخطباء والشعراء في كلامه المنشور مَلِكًا

== بصحة هوائها، وطيب مائها، وزهرة ظاهرها. تصلح للحنف والظلف. منهل وجبل، وبادية وبستان، وبرّ وبحر، محلّ الملوك ومزارهم، ومسكنهم ومناوهم. وقد قدمتها. أصلحك الله — مُخَفًّا فرجعت مثقلًا، ووردتها مقلًا فأصارتك مُكثَّرًا.

— فكيف نعرف ما وصفتها به من الفضل؟

— بأن نصير إلىّ، ثم أدع ماشئت من لذات العيش، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه!

— فأصنع لنا صنيعا [Une partie de plaisir]، وأخرج من قولك.

— أفعل!

فصنع لهم طعاما، وأطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها: من ظباء ونعام وأرانب وحبّارى. وسقاهم ماءها في قلاها، ونحرها في آينتها. وأجلسهم على رُفُها، وكان يُخَذُّها من الفراش أشياء ظريفة. ولم يستخدم لهم حرًّا ولا عبدًا إلا من مولديها ومولّداتها، من خَدَم ووصائف كأتهم اللؤلؤ، لغتهم لغة أهلها. ثم غنّاهم حُنينًا وأصحابه في شعر عديّ بن زيد، شاعرهم، وأعشى همدان لم ينجأ وزهما. وحيّاهم برأحيتها. ونقلهم على نحرها — وقد شربوا — بفواكهها. ثم قال:

— هل رأيتهُ استعنتُ على شيء، مما رأيتهُ وأكلتهُ وشربتهُ وأقترشتهُ وشممتُ وسمعتُ، بغير ما في الحيرة؟

— لا، والله! ولقد أحسنتَ صفة بلدك، ونصرتَه فأحسنْتَ نصرتَه والخروج مما تَصَمَّنتَه. فبارك الله لكم

في بلدكم! »

وكان ابنُ شُبْرَمَةَ يقول: "يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنين". (كتاب البلدان للهمداني ص ٢٦٢). وعن أهلها أخذت قريش الزدقة في الجاهلية، والكتابة في فجر الإسلام (الأعلاق النفيسة لابن رُسْتَه ص ١٩٢ و ٢١٧).

وكانت عمارة الكوفة سببًا لخراب الحيرة. وقد أتى على الكوفة الزمان، وكذلك الأمر في واسط وسُرم من رأى. وأنت عليم بما صارت إليه البصرة وبغداد. وهذه الستة هي أكبر أمصار العراق في عهد الخلافتين. وناهيك بها من أمصار رفعت للحضارة أعلى منار! فسبحان من بيده ملكوت الأرض والسماء! يتصرف بالبلاد والبلاد كما يشاء!

أو خليفة وهو يُخاطبه باسمه، كان جاهلاً ضعيفاً خارجاً من باب الأدب.
(١) (٢)

ولولا أن الاصطلاح منعنا إيجاب المنع من ذلك، كان من أول ما يجب.

ولا أدري لم فعل القدماء ذلك، كما أني لا أدري لم أجازته ملوكها ورَضِيتَ به، إذ كانت صفة الملوك ترتفع عن كل شيء وترقى عنه.
(٣)

وكانت الخفاة من العرب بسوء أدبها وغلظ تركيبها - إذا أتوا النبي (صلى الله عليه وسلم) - خاطبوه ودَعَوْهُ بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ. فأما أصحابه، فكانت مخاطبتهم إياه: "يا رسول الله!" و"يا نبي الله!"

(١) ص: "الاضطلاع" وبجانبها "الاصطلاح". وفي س: "الاصلاح".

(٢) سبق الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي إلى تقرير هذه القاعدة. فهو أول من منع الناس أن ينادوه باسمه. (محااضرة الأوائل ومسامرة الأواخر). ولكن يظهر أن ذلك الأمر تراخى بتطاول العهد، فعاد القوم إلى ما كانوا عليه.

(٣) على أن أهل الأدب ورواة الأشعار كانوا يتحرون عند إنشاد القصائد على أحد الخلفاء والأمراء، فيتغيرونها من التي لا يكون فيها اسم مشوقة يشابه اسم أم له أو ابنة أو أخت أو زوجة (الأغاني ج ٥ ص ١٧٤). وفي "محاسن الملوك" (ص ٢٩) أن إبراهيم بن المهدي قال: كنت عند الرشيد، فأهديت له أطباقاً ومعه رُقعة. فلما قرأها، استنفزه الطرب. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما الذي أطربك؟ فقال: هذه هدية عبد الملك بن صالح. ثم نبذ إلي الرُقعة، فإذا فيها بعد البسملة: "دخلت، يا أمير المؤمنين، بسنة أتعمرته بنعمتك، وقد أبغيت أئمانه وفاكته. فأخذت من كل شيء (وعدد أنواعاً من الفاكهة) وصيرته في أطباق القضاء وجهته لأمر المؤمنين، ليصل إلي من بركة فضائه، ما وصل إلي من بركه ونعمانه". قلت: يا أمير المؤمنين، وما في هذا يقتضي هذا السرور؟ فقال: ألا ترى إلى ظرفه، كيف قال: "القضبان"؟ فكنت به عن الخبز ران، إذ كان يجري به اسم أمنا.

وهكذا يجب للملك أن يقال في مخاطبتهم: يا خليفة الله! (١) ويا أمين الله! (٢) ويا أمير المؤمنين! (٣)

(١) لم يرَضَ أبو بكر الصديق بأن يُسَمَّى خليفة رسول الله (كما في لسان العرب ج ١٠ ص ٤٣٧) فضلا عن أن يُسَمَّى خليفة الله. ولكن الكتاب والشعراء جرى اصطلاحهم على خلاف ذلك. قال الزجاج: جاز أن يقال للأنمة "خلفاء الله في أرضه" بقوله تعالى: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (لسان العرب ج ١٠ ص ٤٣١). وقال جرير: "خليفة الله ماذا تأمرن بنا؟" وقال أيضا: "خليفة الله يُستسقى به المطر". وقال بشار (وإن كان من باب التهم):

ضاعت خلافتكم، يا قوم، فآلتمسوا * خليفة الله بين الرقِّ والعود!

وقد قال صاحب محاضرة الاوائل إن المعتصم بن الرشيد هو أول من تلقب بخليفة الله. ففعل ذلك كان بصفة رسمية في المكاتبات الصادرة عن ديوانه. وإلا فقد رأينا من الأشعار السابقة أن هذا اللقب كان موجودا فعلاً. (٢) قال حسان بن ثابت يري عثمان بن عفان.

إني رأيت أمين الله مضطهدًا * عثمان رهنا لدى الاجداث والكفن.

(٣) قال في "محاسن الملوك" بهذه المناسبة (ص ٢٥ - ٢٧) ما نصه:

«وإنما يتسامح بذلك للشعراء. وما زالت الشعراء يمدحون الملوك بأسمائهم، ولا ينكر ذلك عليهم. كقول الشاعر، وهو حسان:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * وعند الله في ذلك الجزاء.

وكقول المرأة تخاطبه:

أحمد، ولدتك من كريمة * في قومها والفعل لخل نمرق!

رَوَى أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَمَحَ حَبِيبَهُ لَهُ وَأَهْلَهُ، فَقَالَ يُخَاطِبُهُ:

يَا عُمرَ الْخَيْرِ بَرِيَّتِ الْجَنَّةِ * أُنْكُسُ بَنِيَّيَ وَأُمَهْنَهُ

أقسم بالله لتفعلته

فقال عمر: يكون ماذا؟ فقال:

يكون عن حالي لتسألته =

الادب في حالة
مشابهة الاسم
لإحدى صفات
الملك أو لاسمه

ومن حقَّ الملك، إذا دخل عليه رجلٌ، وكان اسمُ ذلك الرجل الداخل أحدَ صفات الملك، فسأله الملك عن اسمه، أن يُكنَّى عنه ويُجيبَ باسمِ أبيه. كما فعل سعيدُ

= فقال عمر: متى؟ قال:

يَوْمَ تَكُونُ الْأَعْطِيَّاتُ جُنَّةً * وَالْوَاقِفُ الْمَسْئُولُ بَيْنَهُ
إِمَّا إِلَى نَارٍ وَإِمَّا جَنَّةً.

فنبذ عمر رضى الله عنه قِصَّهُ، وقال: هَذَا جُنَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ!

وروى أن الرشيدَ جلسَ يوماً لظالمٍ فرأى في الناسَ شيئاً حسنَ الهيئةِ. فلما تقوَّضَ المجلسُ، قام الشيخُ وبيده قِصَّةٌ، فأمرَ بأخذها. فقال: إن رأيتُ أمير المؤمنين أن يأذنَ لي في قراءتها، فإنِّي أحسنُ تعبيراً لخطي. قال: اقرأ! قال: يا أمير المؤمنين، إني شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ، والمقامُ عظيمٌ. فإن رأيتُ أمير المؤمنين أن يأذنَ لي في الجلوسِ؟ فقال: اجلس! اجلس! ثم قال:

بَاخِرَ مَنْ جَدَّتْ لِرَحْلَتِهِ * نُجْبُ الرِّكَابِ بِمَهْمِهِ جَلْسِ!

يقول فيها:

لَمَّا رَأَيْتُكَ الشَّمْسُ طَالِعَةً، * سَجَدْتُ لَوَجْهِكَ طَلْعَةُ الشَّمْسِ.
خَيْرُ السَّرِيَّةِ أَنْتَ كُلِّهِمْ * فِي يَوْمِكَ الْغَادِي وَفِي أَمْسِ،
وَكَذَلِكَ لَمْ تَنْفَكْ خَيْرَهُمْ * تَحْسِي، وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تَحْسِي.
لِلَّهِ يَا هَرُونَ مِنْ مَلِكٍ * عَفَّ السَّرِيَّةِ طَاهِرِ النَّفْسِ!
نَمَّتْ عَلَيْهِ لِرَبِّهِ نَعَمٌ * تَرْدَادُ جِدَّتْهَا عَلَى الْبَنَسِ.

(أردتُ قوله "لله يا هارون")

وبقية الشعر:

مِنْ عَتَرَةٍ طَابَتْ أَرْوَمُهَا، * أَهْلُ الْعَفَافِ وَبَنَى الْقُدْسِ.
مُتَلَبِّينَ عَلَى أَسْرَتِهِمْ * وَلَدَى الْهِجَابِ مَصَاعِبِ شُمْسِ

ابن مرة الكندي، حين أتى معاوية فقال له: أنت سعيد؟ فقال: أمير المؤمنين
السعيد، وأنا ابن مرة! ^(١)

وكما قال السيد بن أنس الأزدي ^(٢) - وقد سأله المأمون عن اسمه - فقال: أنت السيد؟
قال: أمير المؤمنين السيد، وأنا ابن أنس! ^(٣)

وهكذا جاءنا الخبر عن العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وصنو أبيه. قيل له: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: هو أكبر مني، وولدت أنا قبله! ^(٣)

= إني لجأت إليك من فرع * قد كان شردني من الأنس .
لما استعرت الله مجتهداً ، * يمتّ نحوك رحلة العنيس .
وأخترت حلك لا أجازه * حتى أغيب في ثرى الرمس .

١٠ فلما أتى على آخرها، قال: من يكون الشيخ؟ قال: علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق. قال: أنت آمن!
وأمر له بخمسة ألف درهم.

وأما من سوى الشعراء، فليقل: أيها الخليفة! أو يا أمير المؤمنين! أو يا سلطان العالم! أو يا أمين الله
أو يا أمير المسلمين!

قال المغيرة لمعمر بن أبي العباس: يا خليفة الله! فقال له عمر: ذلك نبي الله داود! قال: يا خليفة رسول
الله! قال: ذلك صاحبكم المفقود! قال: يا خليفة خليفة رسول الله! قال: ذلك أمر يطول! قال: ١٥
يا عمر! قال: لا تجشّ مقامى شرفه! أتم المؤمنون، وأنا أميركم. فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين! «

(١) روى ذلك صاحب "محاسن الملوك" (ص ٢٨)، ورواها في "المحاسن والأضداد" (ص ٢١)
وفي "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠)

(٢) أنظر المحادثة عبارة أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧).

(٣) أنظر رواية أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧)؛ وأنظر "المحاسن والأضداد"
٢٠ (ص ٢١) و"المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠).

(١) ألا تراه (رحمه الله) كيف تخلص إلى أحسن الأحوال في الأدب، فأستعمله؟

(٢) وعلى هذا المثال يجب أن تكون مخاطبة الملوك، إذ كانت صيغتهم غير صيغ العامة، كما قال أردشير بن بابك في عهده إلى الملوك.



ومن حقَّ الملك أن يتفرد في قرار داره بثلاثة أشياء، فلا يطمع طامع في أن يشركه فيها.

الأمور التي يتفرد بها الملك في عاصمته

(١) وما يدخل في هذا الباب ما حكاه باقوت الحموي في معجم الأدباء (ج ١ ص ١٤٩ طبع الأستاذ مرجوليوث) أن "أبا زيد البلخي لما دخل على أحمد بن سهل - أول دخوله عليه - سأله عن اسمه، فقال: أبو زيد. فعجب أحمد بن سهل من ذلك حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته، وعَدَّ ذلك من سقاطاته. فلما خرج، ترك خاتمه في مجلسه عنده. فأبصره أحمد بن سهل، فأزداد تعجباً من غفلته. فأخذه بيده ونظر في نقش فصّه، فإذا عليه: أحمد بن سهل. فعلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للواقعة الواقعة بينه وبين اسمه، وأنه أخذ بحسن الأدب وراعى حدَّ الاحتشام، واختار وصمة التزام الخطأ في الوقت والحال، على أن يتعاطى اسم الأمير بالاستعمال والابتدال."

وروى ابن عبد ربه (ج ١ ص ٢٧٣) في هذا المعنى أيضاً أنه قيل لأبي وائل: أيكأ أكبر، أنت أم الربيع بن خثيم؟ قال: أنا أكبر منه سنّاً، وهو أكبر مني عقلاً.

وقال معاوية لأبي الجهم العدوي: أنا أكبر أم أنت؟ فقال: لقد أكلتُ في عرس أمك، يا أمير المؤمنين. قال: عند أي أزواجها؟ قال: عند حفص بن المغيرة. قال: يا أبا الجهم، إياك والسلطان! فإنه يفضض غضب الصبي ويأخذ أخذ الأسد. (ابن عبد ربه ج ١ ص ١٢). قال الحجاج للهلب: أنا أطول أم أنت؟ فقال: الأمير أطول، وأنا أبسط قامّة منه. (المحسن والأضداد ص ٢٢، والمحاسن والمساوي ص ٤٩٠)

وكان الأولي به أن يقتدى بطويس المعنى المشهور فقد سأله سعيد بن عثمان بن عفان: أينا أسن؟ فقال: "بأبي وأمي أنت! لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب." لتلايؤهم أمراً. (ابن عبد ربه ج ١ ص ٢٧٣؛ ومحاضرات الراغب ج ١ ص ١١٧). وأورد الجاحظ قبل غيره هذه الحكاية وعلّق عليها تعليقاً لطيفاً، فقال: فأنظر إلى حذقه وإلى معرفته بخارج الكلام! كيف لم يقل "زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك" (أنظر البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٤)

(٢) ص: "كانت صيغتهم غير صيغ العامة."

فمنها الحِجَامَةُ، وَالْقَصْدُ، وَشُرْبُ الدَّوَاءِ. فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ مِمَّنْ فِي قِصْبَةِ دَارِ الْمَمْلَكَةِ أَنْ يَشْرَكَ فِي ذَلِكَ.

وكانت ملوك الأعاجم تمنع من هذا وتعاقب عليه وتقول: "إذا أراق الملك دمه، فليس لأحد أن يُريق دمه في ذلك اليوم حتى يساوي الملك في فعله، بل على الخاصة والعامة الفحص عن أمر الملك، والتشاغل بطلب سلامته، وظهور عافيته، وكيف وجد عاقبة ما يعالج به."

وليس الآفناء بفعل الملك في هذا وما أشبهه من فعل من تمت طاعته وصحت نيته وحسنت معونته، لأن في ذلك آستهانة بأمر الملك والمملكة.

ومن قصد إلى أن يشرك الملك في شيء يجد عنه مندوحة ومنه بداً، بالمهل المبسوطة والأيام المدودة، فهو عاصٍ مفارقٌ للشرعية.

١٠

ويقال إن كسرى أنوشروان كان أكثر ما يحتجم في يوم السبت، وكان المنادى - إذا أصبح في كل يوم سبت - نادى: "يا أهل الطاعة! ليكن منكم ترك الحِجَامَةِ في هذا اليوم على ذكرٍ! ويا حجامون! اجعلوا هذا اليوم لنسائكم وغسل ثيابكم!" وكذا كان يفعل في يوم فصد العرق وأخذ الدواء.



١٥

ومن حق الملك - إذا عطس - أن لا يُسَمَّتْ؛ وإذا دعا، لم يؤمن على دُعائه. وكانت ملوك الأعاجم تقول: "حقيق على الملك الصالح أن يدعو للرعية الصالحة، وليس بحقيق للرعية الصالحة أن تدعو للملك الصالح: لأن أقرب الدعاء إلى الله دعاء الملك الصالح."

عدم تسميت الملك
وعدم التأين
على دعائه

ومن حقَّ الملك أن لا يُعزِّيَه أحدٌ من حاشيته وحامته وأهل بيته وقربته. ^١
وإنما جعلت التعزية لمن غاب عن المصيبة، أو لمن قارب الملك في العز والسلطان
والبهاء والقدرة. فأما من دون هؤلاء، فيُنهَوْن عن التعزية أشدَّ النهي.

وفيما يُذكر عن عبد الملك بن مروان أنه مات بعض بنيه وهو صغير، فجاءه الوليد
فعرَّاه، فقال: يا بُنَيَّ! مصيبتى فيك أقدم في بدنى من مصيبتى بأخيك! ومتى رأيت
أبنا عزى أباه؟ قال: يا أمير المؤمنين! أمى أمرتني بذلك. قال: ذاك يا بُنَيَّ
أهونُ عليَّ! وهذا العَمْرُ من مشورة النساء! ^(٢)

سرعة الغضب
وبطء الرضا

ومن أخلاق الملك سرعة الغضب، وليس من أخلاقه سرعة الرضا.
فأما سرعة الغضب، فإنما تأتى الملك من جهة دوام الطاعة. وذلك لأنه لا يدور
في سمعه ما يكره في طول عمره. فإذا ألفت النفس هذا العز الدائم، صار أحد صفاتها،
فمضى قرع حس النفس ما لا تعرفه في خلقها، ففرت منه نفورا سريعا، فظهر الغضب،
أنفة وحية.

وأما رضا الملك فبطيء جدا. لأنه شئٌ تُمانعه النفس أن يفعله، وتدفعه عن
نفسها. إذ كان في ذلك جنسٌ من أجناس الاستيذاء، وخلقٌ من أخلاق العامة.

(١) صه: والقراءة.

(٢) روى صاحب "المحاسن والمساوى" هذه القصة (ص ٥٨٥ - ٥٨٦) ورواها صاحب "محاسن
الملوك" (ص ٣٤) وختمها بأن عبد الملك قال لأبيه: "والله ليُعزيتك إياي أهون عليَّ من قبلك
مشورة النساء!" [وهي أحسن من روايتنا.] ثم أضاف على ذلك أن "يزيد بن معاوية وعمر بن عبد العزيز
وغيرهما من ملوك الإسلام لا يرون بذلك بأسا."

غضب السفاح
على أحد رجاله

وهكذا يُحكى عن أبي العباس أنه غَضِبَ على رجل ذهب عني اسمه، فذكره ليلة من الليالي. فقال له بعض سُمَّاره: يا أمير المؤمنين! فلان لو رآه أعدى خلق الله له، لرحمه وأنصر له قلبه. قال: ولم ذاك؟ قال: لغضب أمير المؤمنين عليه. قال: ماله من الذنب ما يبلغ به من العقوبة هذا الموضع. قال: فمن عليه، يا أمير المؤمنين، برضاك. قال: ما هذا وقت ذاك! قال: قلت إنك يا أمير المؤمنين لما صغرت ذنبه، طمعت في رضاك عنه. قال: إنه من لم يكن بين غضبه ورضاه مدة طويلة، لم يحسن أن يغضب ولا يرضى.

(٧٤)

وعلى هذا أخلاق الملوك وصنيعهم.

وكذا جرى لعبد الله بن مالك الخُزاعي مع الرشيد، حين غضب عليه. أمر أهله وحشمه وجميع قراته أن يحتنبوا كلامه وخدمته ومعاطاته حتى أثر ذلك في نفسه وبدنه. فتحاماه أقرب الناس منه من ولد وأهل، فلم يذنب منه أحد ولم يطف به. فجاءه محمد بن إبراهيم الهاشمي - وهو كان أحد أودائه - في جوف الليل، فقال له: يا أبا العباس! إن لك عندي يدًا لا أنساها ومعروفا ما أكرهه. وقد علمت ما تقدم به أمير المؤمنين في أمرك. وها أنا ذا بين يديك ونُصب عينيك! فمرني بأمرك! فوالله

غضب الرشيد
على أحد قواده

١٥

(١) يقال في اللغة عَصَرَ العنب ونحوه فأنعصر. وفي المفضليات:

وَهِيَ لَوْ يُعَصَّرُ مِنْ أَرْدَانِهَا * عَبَقُ الْمِسْكِ، لَكَانَتْ تَنْعِصَرُ.

ومن شواهد النجاة:

خَوْدٌ يَقَطُّ الْفَرْعَ مِنْهَا الْمُؤَزَّرُ * لَوْ عَصَرَهَا أَلْبَانُ وَالْمِسْكِ، أَنْعَصَرَ.

وكنتي الجاحظ بأحصار القلب عن شدة الألم لحال الرجل. ومن مجاز الأساس: "أنا معصور اللسان"

أي يابس عطشا.

٢٠

(٢) [أنظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٨١ من هذا الكتاب].

(٣) أكثر العرب على ضم النون، كما في شفاء الغليل.

(١) (٢)

٧٥

لأَجْمَلَنَ نَفْسِي وَفَايَةَ نَفْسِكَ، أَوْ أَسْوَقَهَا فِي كُلِّ مَا نَكَّاهَا أَوْ جَرَّحَهَا. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ خَيْرًا، وَأَنْتَنِي عَلَيْهِ، وَأَخْبَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَوْجِدَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ. فَوَعَدَهُ مُحَمَّدٌ أَنْ يُكَلِّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُخْبِرَهُ بِاعْتِزَالِهِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ مُحَمَّدٌ وَافَاهُ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَكَبَ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ: مَنْ أَتَيْتَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ قَالَ: عَبْدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ، وَهُوَ يَحْلِفُ بِطَلَاقِ نِسَائِهِ وَعِثْقِ مَمَالِكِهِ وَصَدَقَةِ مَالِهِ مَعَ عَشْرِينَ نَذْرًا يُهْدِيهَا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ حَافِيًا رَاجِلًا، وَالْبَرَاءَةَ مِنْ وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانَ مَا بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَمِعَهُ اللَّهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ، أَوْ أَطْلَعَ عَلَيْهِ أَوْ هَمَّ بِهِ أَوْ أَضْمَرَهُ أَوْ أَظْهَرَهُ. قَالَ: فَاطْرُقِ الرَّشِيدَ مَدِيًّا مُفَكِّرًا. وَجَعَلَ مُحَمَّدٌ يَلْحَظُهُ، وَوَجْهُهُ يُسْفِرُ وَيُشْرِقُ حَتَّى زَالَ مَا وَجَدَهُ. وَكَانَ قَدْ حَالَ لَوْنُهُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: أَحْسِبُهُ صَادِقًا، يَا مُحَمَّدُ. فَمَرَّهُ بِالرَّوَّاحِ إِلَى الْبَابِ. قَالَ: وَأَكُونُ مَعَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَانْصَرَفَ مُحَمَّدٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَبَشَّرَهُ بِجَمِيلِ أَمْرِهِ، وَأَمَرَهُ بِالرُّكُوبِ رَوَّاحًا. فَدَخَلَ جَمِيعًا. فَلَمَّا بَصُرَ عَبْدُ اللَّهِ بِالرَّشِيدِ انْحَرَفَ نَحْوَ الْقِبْلَةِ نَحْزَ سَاجِدًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ. فَاسْتَدْنَاهُ الرَّشِيدُ. فَدَنَا وَعَيْنَاهُ تَهْمِلَانِ. فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَ رِجْلَهُ وَبَسَّاطَهُ وَمَوَطَّعَ قَدَمِيهِ، ثُمَّ طَلَبَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الْاِعْتِزَالِ. فَقَالَ: مَا بَكَ حَاجَةٌ إِلَيَّ أَنْ تَعْتَذَرَ، إِذَا عَرَفْتُ عُذْرَكَ. قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ إِذَا دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ، رَأَى فِيهِ بَعْضَ الْإِعْرَاضِ وَالْاِقْتِبَاضِ. فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. فَقَالَ مُحَمَّدٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنْ عَبْدُ اللَّهِ يَشْكُو أَثَرًا بَاقِيًا مِنْ تِلْكَ النَّبْوَةِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْأَلُ الزِّيَادَةَ

٧٦

(١) أَرَجَبُ وَفَرَحُ النَّكَاحِ بِهَا.

(٢) أَصَابَهَا بِجَرَاخَةٍ.

في بسطه له . فقال الرشيد : يا محمد ! إنا معشر الملوك ، إذا غضبنا على أحد من بطانتنا
ثم رضيينا عنه بعد ذلك ، بقي لتلك الغضبة أثر لا يُخرجُه ليلٌ ولا نهارٌ .^(١)



ومن حقَّ الملك أن يكتم أسرارَه عن الأب والأُم والأخ والزوج والصديق .
فإنَّ الملكَ يَحْتَمِلُ كُلَّ منقوص ومأنوف ، ولا يحتمل ثلاثة : صفة أحدهم أن
يطعن في ملكه ؛ وصفة الآخر أن يُدَّيع أسرارَه ؛ وصفة الآخر أن يُخونه في حُرْمه .
فأما من وراء ذلك ، فمن أخلاق الملوك أن تلبس خاصتها ومن قرب منها على
ما فيهم ، وأن تستمع منهم إذا سلموا من هذه الصفات الثلاث .
وكان كسرى أبرويز يقول : "يجب على الملك السعيد أن يجعل همه كله في امتحان
أهل هذه الصفات ، إذ كانت أركان الملك ودعائمه" .^(٢)



فكانت محتته في إذاعة السرَّ عجيبة . وللقائل أن يقول فيها إنها خارجة من باب
العدل ، داخلة في باب الظلم والجور ، ولأنَّه يقول إنها نحن الحكماء من الملوك .
وكان إذا عرف من رجلين من بطانته وخاصته التحاب والألفة والاتفاق في كلِّ
شيءٍ وعلى كلِّ شيء ، خلا بأحدهما فافضى إليه بسرِّ في الآخر ، وأعلمه أنه عازم على
قتله ، وأمره بكتمان ذلك عن نفسه ، فضلا عن غيره . وتقدَّم إليه في ذلك بوعيده .

امتحان أبرويز
رجاله في حفظ السرِّ

(١) نقل هذه القصة في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٤٢ - ٥٤٣) .

(٢) أي الرجل المكره . وهذه الكلمة ساقطة في صـه .

(٣) قارن ذلك بما في محاضرات الراغب . (ج ١ ص ١١٨) . وهذه المقولة منسوبة بلفظ آخر لابي
جعفر المنصور العباسي . (أظهرها في الحاسن والأضداد ص ٢٨ ، والحاسن والمساوي ص ٤٠٢) .

(٤) في "محاسن الملوك" (ص ٥٤) مانصه : وأما كتمان سرِّ السلطان فهو ملاك الأمر ونظام الملكة وسبب بقاء
الدولة . كان أبرويز إذا دخل إليه وزيره وصاحب سرِّه ، لم يقاوضه في شيء حتى لا يبقى عنده أحد . فإذا لم يبق
أحد ، أمر أن تُرفع الستائر عن لعله يكون وراءها . فإذا علم أنه ليس أحد وراءها ، فاقاوضه بسرِّه .

٧٨

ثم جعل محتته في إذاعة سره ملاحظة صديقه في دخوله عليه وخروجه من عنده، وفي إسفار وجهه ولقائه للملك، فإن وجد آخر أمره كأوله في أحواله، علم أن الآخر لم يفيض إليه سره ولم يظهره عليه، فقربه وأجتهه ورفع مرتبته وجابه، ثم خلا به، فقال: "إني كنت أردت قتل فلان لشيء بلغني عنه. فبحثت عن أمره فوجدته باطلاً." (١)

وإن رأى من صاحبه نفور نفس وأزورار جانب وإعراض وجه، علم أنه قد أذاع سره، فأقصاه وأطرحه وجفاه، وأخبر صاحبه أنه أراد محتته بما أودعه من سره. فإن كان هذا من أهل المراتب، وضع مرتبته، وإن كان من الندماء، أمر أن يُجَبَّ عنه، وإن كان من أصحاب الأعمال، أمر أن [لا] يُستعان به، وإن كان من سدنة بيوت النيران، أمر بعزله وإسقاط أرزاقه. ويقول: "من لم يصلح لملكه، لا يصلح لنفسه، ومن لم يصلح لنفسه، فلا خير عنده." ويقول: "إن القلب أعدل على القلب شهادة من اللسان، وقل شيء يكون في القلب إلا ظهر في العينين: إذ كانت الأعضاء مشتركة يتعلق بعضها ببعض." (٢)

انتحانه لرجاله
في حفظ الحرم

٧٩

فأما محتته في الحرم، فكان إذا خفف الرجل على قلبه وقرب من نفسه، وكان عالماً يظهر التأله، وكان عنده ممن يصلح للأمانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره، أحب أن يمتحنه بمحنة باطنة. فيأمر به أن يحول إلى قصره ويُفرغ له بعض الخمر التي تقرب منه، ولا يحول إليها امرأة ولا جارية ولا حُرمة ويقول له: "إني أحب الأئس بك في ليلي ونهاري. ومتى كان معك بعض حرمك، قطعك عني وقطعتني عنك." (١)

(١) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه العبارة باختصار. (ص ٥٤ - ٥٥)

(٢) سم: إن القلب ليظهر ما فيه في العينين.

فَجَعَلَ مُنْصَرَفًا إِلَى مَنْزِلِ نِسَائِكَ فِي كُلِّ خَمْسِ لَيَالٍ لَيْلَةً. " فَإِذَا تَحَوَّلَ الرَّجُلُ وَخَلَا بِهِ وَأَنَسَهُ وَكَانَ آخِرَ مَنْ يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِهِ، فَيَتْرَكُهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَشْهُرًا .

فَأَمْتَحَنَ رَجُلًا مِنْ خَاصَّتِهِ بِهَذِهِ الْمِحْنَةِ فِي الْحَرَمِ، ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ جَارِيَةً مِنْ خَوَاصِّ جَوَارِيهِ وَوَجَّهَ مَعَهَا إِلَيْهِ بِالطَّافِ وَهَدَايَا. وَأَمَرَهَا أَنْ لَا تَقْعُدَ عِنْدَهُ فِي أَوَّلِ مَا تُأْتِيهِ. فَلَمَّا أَتَتْهُ بِالطَّافِ الْمَلِكِ، قَامَتْ. فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَنْصَرَفَتْ. حَتَّى إِذَا كَانَتِ الْمَرَّةُ الثَّانِيَةَ، أَمَرَهَا أَنْ تَقْعُدَ هُنَيْئَةً. وَأَنْ تُبْدِيَ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا، حَتَّى يَتَأَمَّلَهَا. فَفَعَلَتْ وَلَا حَظَّهَا

٨٠

الرَّجُلُ وَتَأَمَّلَهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَتِ الْمَرَّةُ الثَّلَاثَةَ، أَمَرَهَا أَنْ تَقْعُدَ عِنْدَهُ وَتَطِيلَ الْقُعُودَ وَتُحَادِثَهُ، وَإِنْ أَرَادَهَا عَلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْمُحَادِثَةِ أَجَابَتْهُ. فَفَعَلَتْ. وَجَعَلَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَيُسَرِّحُ بِحَدِيثِهَا. وَمِنْ شَأْنِ النَّفْسِ أَنْ تَطْلُبَ بَعْدَ ذَلِكَ الْغَرَضَ مِنْ هَذِهِ الْمَطَايِبَةِ. فَلَمَّا أَبْدَى مَا عِنْدَهُ، قَالَتْ: " إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُعْثَرَ عَلَيْنَا، وَلَكِنْ دَعْنِي

١٠

أَدْبُرُ فِي هَذَا مَا يَتِمُّ بِهِ أَمْرُنَا. " ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ. فَأَخْبَرَتِ الْمَلِكَ بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا. فَوَجَّهَ أُخْرَى مِنْ خَاصِّ جَوَارِيهِ وَتَقَاتَنَ بِالطَّافَةِ وَهَدَايَاهُ. فَلَمَّا جَاءَتْهُ، قَالَ لَهَا: مَا فَعَلْتُ فَلَانَةُ؟ قَالَتْ: أَعْتَلْتُ. فَأَرَبَدَ لَوْنُ الرَّجُلِ. ثُمَّ لَمْ تُطِلْ الْقُعُودَ عِنْدَهُ كَمَا فَعَلَتْ الْأُولَى

فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى. ثُمَّ عَاوَدَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَفَعَدَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْمَقْدَارِ الْأَوَّلِ، وَأَبَدَتْ بَعْضَ

١٥

مَحَاسِنِهَا حَتَّى تَأَمَّلَهَا. وَعَاوَدَتْهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ، فَأُطَالَتْ عِنْدَهُ الْقُعُودُ وَالْمُضَاحِكَةُ وَالْمَهَازِلَةُ. فَدَعَاها إِلَى مَا فِي تَرْكِيبِ النَّفْسِ مِنَ الشَّهْوَةِ. فَقَالَتْ: " إِنَّا مِنَ الْمَلِكِ عَلَى

خُطَى يَسِيرَةٍ، وَمَعَهُ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ؛ وَلَكِنَّ الْمَلِكَ يَمْضِي بَعْدَ ثَلَاثِ أَيَّامٍ إِلَى بَسْتَانِهِ الَّذِي بِمَوْضِعِ كَذَا، فَيَقِيمُ هُنَاكَ. فَإِنْ أَرَادَكَ عَلَى الْذَّهَابِ مَعَهُ، فَاطْهَرِي أَنْكَ عَالِيَةً، وَتَمَارِضِي. فَإِنْ

٨١

خَيْرَك بَيْنَ الْأَنْصَرَفِ إِلَى دُورِ نِسَائِكَ أَوْ الْمَقَامِ هَهُنَا إِلَى رَجُوعِهِ، فَأَخْتَرِ الْمَقَامَ وَأَخْبِرْهُ
 أَنَّ الْحَرَكَةَ تَصْعُبُ عَلَيْكَ. فَإِذَا أَجَابَكَ إِلَى ذَلِكَ، جِئْتُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَلَبِثْتُ عِنْدَكَ
 إِلَى آخِرِهِ. “ فَسَكَنَ الرِّقِيعُ ^(١) إِلَى هَذِهِ الْأَنْسَةِ، وَأَنْصَرَفَتِ الْجَارِيَةُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَخْبَرَتْهُ
 بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهَا وَبَيْنِهِ. فَلَمَّا كَانَ الْوَقْتُ الَّذِي وَعَدْتُهُ أَنْ يُخْرِجَ الْمَلِكُ فِيهِ، دَعَاهُ الْمَلِكُ.
 فَقَالَ لِلرَّسُولِ: أَخْبِرْهُ أَنِّي عَلِيلٌ. فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ وَأَخْبَرَهُ، تَبَسَّمَ أَبْرُويز، وَقَالَ: هَذَا
 أَوَّلُ الشَّرِّ. فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِمِحْفَظَةٍ، فَعَمِلَ فِيهَا حَتَّى أَتَاهُ، وَهُوَ مُعَصَّبُ الرَّأْسِ. فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ
 مِنْ بَعِيدٍ، قَالَ: وَالْعِصَابَةُ الشَّرُّ الثَّانِي. وَتَبَسَّمَ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَلِكِ، سَجَدَ. فَقَالَ لَهُ أَبْرُويز:
 مَتَى حَدَّثْتَ بِكَ هَذِهِ الْعَلَّةَ؟ قَالَ: فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ. قَالَ: فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟
 أَلَا أَنْصَرِفَ إِلَى مَنْزِلِكَ وَنِسَائِكَ لِيَمْرُضَنَّكَ أَوْ الْمَقَامِ هَهُنَا إِلَى وَقْتِ رَجُوعِي؟ قَالَ: هَهُنَا
 أَيُّهَا الْمَلِكُ أَرْفُقْ بِي، لِقَلَّةِ الْحَرَكَةِ. فَتَبَسَّمَ أَبْرُويز، وَقَالَ: مَا صَدَقْتُ! حَرَكْتُكَ هَهُنَا،
 إِنْ خَلَقْتُكَ، أَكْثَرَ مِنْ حَرَكَتِكَ فِي مَنْزِلِكَ.

ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُخْرَجَ لَهُ عَصَا الزُّنَاةِ الَّتِي كَانَ يُوسِّمُ بِهَا مَنْ زَنَى. فَأَيَّقَنَ الرَّجُلَ بِالشَّرِّ.
 وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفًا حَرْفًا، فَيُقْرَأَ عَلَى النَّاسِ إِذَا حَضَرُوا، وَأَنْ
 يُنْفَى إِلَى أَقْصَى حَدِّ الْمَمْلَكَةِ، وَيُجْعَلَ الْعَصَا فِي رَأْسِ رُحْجٍ تَكُونُ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ،
 لِيَحْذَرَ مِنْهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ. فَلَمَّا أُخْرِجَ بِالرَّجُلِ عَنِ الْمَدَائِنِ، مُتَوَجِّهًا بِهِ نَحْوَ فَارِسَ
 أَخَذَ مُذَيَّةً كَانَتْ مَعَ بَعْضِ الْأَعْوَانِ الَّذِينَ وَكَّلُوا بِهِ، فَجَبَّ بِهَا ذَكَرَهُ، وَقَالَ: مَنْ
 أَطَاعَ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ صَغِيرًا، أَفْسَدَ عَلَيْهِ أَعْضَاءَهُ كُلَّهَا، صَغَارَهَا وَكَبَارَهَا.
 فَتَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ. ^(٢)

(١) الرِّقِيعُ والمَرْقَعَانِ الْأَحْمَقُ وَهُوَ الَّذِي فِي عَقْلِهِ مَرَمَةٌ (صَحَاح) | حَاشِيَةٌ فِي ص ٩٠. | وَالْمَرْمَةُ

مَعْنَاهَا هُنَا الْأَخْتِيجُ إِلَى التَّرْقِيعِ وَالتَّرِيمِ. (أَنْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ ج ٩ ص ٤٩١)

(٢) رَوَى هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي "الْمَحَاسِنِ وَالْأَضْدَادِ" (ص ٢٧٥ - ٢٧٧)

امتنعانه فيمن
يطعن في الملكة

(٨٣)

وكان قد نصب رجلاً يمتحن به من فسدت نيته وطعن في المملكة. فكان
الرجل يظهر التآله والدعاء إلى التغلّي من الدنيا والرغبة في الآخرة وترك أبواب
الملوك. وكان يقص على الناس ويكلمهم ويشوب في خلال ذلك كلامه بالتعريض
بذم الملك وتركه شرائع ملته وسنن دينه ونواميس آبائه. وكان هذا الرجل الذي
نصبه لهذا أخاه من الرضاة وترّبه في الصبا. فكان إذا تكلم هذا الرجل بهذا الذي
قد مثله له أبرويز وأمره به ليمتنح بذلك خاصته، أخبر به. فيضحك لذلك
أبرويز، ويقول: "فلان في عقله ضعف، وأنا أعلم به. وإن كان كذلك فإنه لا يقصدني
بسوء، ولا المملكة بما يؤهنها". فيظهر الاستهانة بأمره والثقة من الطمأنينة إليه.
ثم يوجه إليه في خلال ذلك من يدعوه إليه، فيأبى أن يجيبه، ويقول: لا ينبغي لمن
يخاف الله أن يخاف أحداً سواه. فكان الطاعن على الملك والمملكة يكثر
الخلوة بهذا الرجل في الزيارة له والأُس به. فإذا خلّوا، تذاكروا أمر الملك، وأبتدأ
الناسك يطعن على الملك وفي صلب المملكة. فأعانه الخائن وطابقه على ذلك وشاعره
عليه، فيقول له الناسك: "إياك أن تظهر هذا الجبار^(١) على كلامك! فإنه لا يحتمل لك
ما يحتمله لي. فخص من دمع! " فيزداد الآخر إليه استنامة وبه ثقة. فإذا علم
الناسك أنه قد بلغ من الطعن على الملك ما يستوجب به القتل في الشريعة، قال له:
إني عاقد غداً مجلساً للناس أقص عليهم، فأحضره! فإنك رجل رقيق القلب عند
الذكر، حسن النية، ساكن الريح، بعيد الصوت. وإن الناس إذا رأوك قد حضرت
مجلسي، زادت نيّاتهم خيراً، وسارعوا إلى استجابتي. فيقول له الرجل: إني أخاف
هذا الجبار، فلا تذكره إن حضرت مجلسك.

(٨٤)

وكانت العلامة فيما بينه وبين أبرويز أن ينصرف الرجل عن مجلس الناسك، إذا
أبتدأ في قصة الملك. وكان أبرويز قد وضع عيوناً تحضر مجلس الناسك، متى اجلس.
فبكر الناسك وقص على العاقبة وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة. وحضره الرجل
الخائن، فلما فرغ من قصصه وأخذ في ذكر الملك، نهض الرجل وجاءت عيون
أبرويز فأخبرته بما كان. فإذا زال عنه الشك في أمره، وجهه إلى بعض البلدان وكتب
إلى عامله: "قد وجهت إليك رجلاً وهو قادم عليك بعد كتابي هذا في كذا وكذا.
فاظهره^(١) به والأنس به والثقة بناحيته. فإذا أطمأنت به الدار، فاقتله قتلة تخفي بها بيت
النار، وتصل بها حرمة الثوب^(٢) هار. فإنه من فسدت نيته لغير علة في الخاصة والعامة،
لم يصلح بعلة^(٣)."

٨٥

ومن أخلاق الملك التغافل عما لا يقدح في الملك ولا يجرح المال ولا يضع من
العز، ويزيد في الأبهة.
وعلى ذلك كانت شيم ملوك آل ساسان.

تغافل الملك عن
الصغار

(١) هو بيت من بيوت النار: Pyrée. بناء الفرس بمدينة بلخ على مثال البيت الحرام بمكة. وعنه شرح واف
في باقوت (في حرف النون) وفي المسعودي (جزء ٤ ص ٤٧ - ٤٩ طبع باريس) وفي "مراصد الأطلاع"
(في حرف النون) وفي القزويني (ص ٢٢١) وفي "كتاب البلدان" للهمداني (ص ١٥٧ و ٣٢٢ - ٣٢٤)
"وشفاء الغليل" (ص ٢٠٣). وأظهر Dictionnaire géographique de la Perse, par
Barbier de Meynard, p.p. 122, 569.

(٢) ص: "لغير علة صلحت بخلافها". وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٤١ - ٤٢)،
ولخصها جداً صاحب "محاسن الملوك" (ص ٨٥)؛ وأوردتها بالحرف تقريباً في "المحاسن والمسار" (ص ١٥٥ - ١٥٧).

(٣) ص: في القلب ولا يخرج.

تغافل بهرام جور
عن سرقة اللجام

(١) وفيما يُحكى عن بهرام جور أنه خرج يوما لطلب الصيد فعار به فرسه حتى وقع إلى راعٍ تحت شجرة، وهو حاقن^(٢). فقال للراعى: احفظ على عِسان دابَّتِي، حتى أبول. فأخذ بركابه حتى نزل، وأمسك عنانَ الفرس. وكان لجامه مُلبَسًا ذهبًا، فوجد الراعى غفلةً من بهرام فأخرج من خُفِّهِ سِكِّينًا^(٣) فقطع بعض أطراف اللجام. وفرغ بهرام رأسه فنظر إليه فاستحيا، ورمى بطرفه إلى الأرض وأطال الاستبراء ليأخذ الراعى حاجته من اللجام. وجعل الراعى يفرح بإبطائه عنه، حتى إذا ظن أنه قد أخذ حاجته من اللجام، قام فقال: ياراعى! قدّم إلى فرسى، فإنه قد دخل في عينيّ مما في هذه الريح، فما أقدر على فتحهما. وغمض عينيه لئلا يؤهم أنه يتفقّد حلية اللجام. فقترب الراعى^(٤) فرسه فركبه. فلما وثى، قال له الراعى: أيها العظيم! كيف أخذ إلى موضع كذا وكذا؟ (الموضح بعيد). قال بهرام: وما سؤلُك عن هذا الموضع؟ قال: هناك منزلى، وما وطئتُ هذه الناحية قطّ غير يومى هذا، ولا أراى أعود إليه ثانية. فضحك بهرام، وفطن لما أراد. فقال: أنا رجلٌ مسافرٌ، وأنا أحقُّ بأن لا أعود إلى ها هنا أبدا. ثم مضى. فلما نزل عن فرسه قال لصاحب دوابّه ومراكبه: إن معاليق اللجام قد وهبتم لسائل مرّى، فلا تتهمن بها أحدا^(٥).

٨٦

- ١٥ (١) عارَ الفرس أى ذهب ها هنا وها هنا ، وذهب على وجهه كأنه مُثَلَّت. وفى نسبه: فغارت فرسه .
| وفى هامشه : صح : عاره يعوره ويعيره أى أخذه وذهب به | . وأنت ترى أن رواية صه غارية عن الصواب ، وأن حاشيته فى الهامش لا محل لها فى هذا المقام .
(٢) أى أجمع البول فيه ، فهو فى حاجة شديدة إلى تصريفه . ومنه الحديث : « لا رأى لحاقب ولا لحاقن » أى لمن تشد به الحاجة للإخراج من أحد السيلين ويكون مضطرا لحبسهما .
٢٠ (٣) | أنظر حاشية ١ صفحة ١٢٣ من هذا الكتاب |
(٤) سه : عليه .
(٥) روى هذه الحكاية بحرفها فى " المحاسن والمساوى " (ص ٥٠٥ - ٥٠٦) .

تغافل أنوشروان
عن سرقة الجلام

وهكذا يُحكى عن أنوشروان أنه قعد ذات يوم في نيروز أو مهرجَان^(١)، ووُضعت الموائد، ودخل وجوه الناس الإيوان على طبقاتهم ومراتبهم. وقام الموكّلون بالموائد على رؤوس الناس، وكسرى^(٢) بحيث يراهم. فلما فرغ الناس من الطعام، جاؤوا بالشراب في آنية الفضة وجامات الذهب. فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية في آنية الذهب. فلما أنصرف الناس ورُفِعَت الموائد، أخذ بعض القوم جام ذهب فأخفاه في قبائه، وأنوشروان^(٣) يلاحظه. فنصرف وجهه عنه. وافترق صاحب الشراب الجلام، فصاح: لا يخرجن أحد من الدار حتى يُفتش. فقال كسرى: لا نتعزّض لأحد! وأذن للناس فأنصرفوا. فقال صاحب الشراب: أيها الملك! إنّا قد فقدنا بعض آنية الذهب. فقال الملك: صدقت! قد أخذها من لا يردها عليك، وقد رآه من لا نيم عليه. فأنصرف الرجل بالجلام^(٤).

تغافل معاوية عن
كيس الدنانير

وهكذا فعل معاوية بن أبي سفيان في يوم عيد، وقد قعد للناس، ووُضعت الموائد، وبذر الدراهم والدنانير للجوائز والصلّات. فجاء رجل من الجماعة، والناس يأكلون، فقعده على كيس فيه دنانير. فصاح به الخدم: تتعّ، فليس هذا بموضع لك! فسمع معاوية،

(١) هذه الكلمة بفتح الميم وبكسرهما، والفتح أشهر، كما يدل عليه المعجم الفارسي الإنكليزي لرتشاردسن. وضبطها ياقوت بالكسر (ج ٤ ص ٦٦٨) واختارنا الفتح لجريانه على ألسنة المصريين

(٢) أنظر الفصل الطويل المفيد المشعور بالأسانيد الذي أورده العلامة دوزي الهولندي على هذه الكلمة في معجم الثباث عند العرب (ص ٣٥٢ - ٣٦٤) وقد قال في آخره إن الهولنديين أخذوا هذا اللفظ عن (قبای) في اللسان الفارسي فنقلوه إلى لغتهم وقالوا (Kabaai) للدلالة على الثوب الذي يسميه الفرنسيون Robe de chambre.

(٣) رواها باختصار يسير جدًا صاحب "المحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦).

(٤) [راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧]. وفي صه: وبذر.

فقال: دَعُوا الرَّجُلَ يَقْعُدْ حَيْثُ أَتَمَىٰ بِهِ الْمَجْلِسُ. فَأَخَذَ كَيْمَا فَوَضَعَهُ بَيْنَ بَطْنِهِ وَحِجْرَةِ^(١) سِرَاوِيلِهِ، وَقَامَ. فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ. فَقَالَ الْخَادِمُ: أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّهُ قَدْ نَقَصَ مِنَ الْمَالِ كَيْسُ دَنَانِيرٍ. فَقَالَ: أَنَا صَاحِبُهُ، وَهُوَ مُحْسَبٌ لَكَ^(٢).

وهذه أخلاق الملوك معروفة في سيرهم وكتبهم.



وَإِنَّمَا يَتَفَقَّدُ مِثْلَ هَذَا مَنْ هُوَ دُونَ الْمَلِكِ. فَأَمَّا الْمَلِكُ، فَيَجِلُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَيَصْغُرُ عِنْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

والعامة تضع هذا وما أشبهه في غير موضعه. وإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَجْرَاهُ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ، حَتَّىٰ قَالُوا فِي نَحْوٍ مِنْ هَذَا فِي الْبَائِعِ وَالْمَشْتَرِي: "الْمَغْبُونُ لَا مَحْمُودٌ وَلَا مُأْجُورٌ". فَحَمَلُوا الْجَهْلَةَ عَلَىٰ الْمَنَازَعَةِ لِلْبَاعَةِ، وَالْمَشَاتِمَةَ لِلْسَّفَلَةِ وَالسُّوقَةَ، وَالْمَقَازِفَةَ لِلرَّعَاعِ وَالْوَضْعَاءِ، وَالنَّظَرَ فِي قِيَمَةِ حَبَّةٍ، وَالْأَطْلَاعَ فِي لِسَانِ الْمِيزَانِ، وَأَخَذَ^(٣) الْمَعَايِيرَ بِالْأَيْدِي. ^(٤)

الرد على قولهم:
المغبون لا محمود
ولا مأجور

وَبِالْحَرَىٰ أَنْ يَكُونَ الْمَغْبُونُ مَحْمُودًا وَمُأْجُورًا. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَالَ لَهُ: اِغْنِنِي. بَلْ لَوْ قَالَهَا، كَانَتْ أَكْرَمَةً وَفَضِيلَةً، وَقَعْلَةً جَمِيلَةً تَدُلُّ عَلَىٰ كَرَمِ غُنْصِرِ الْقَائِلِ وَطَيْبِ مَرْكَبِهِ.

(١) موضع التكة من السراويل.

(٢) رواها باختصار صاحب "المحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦).

(٣) ص: "والمقازفة للزعازع والوضعاء".

(٤) جمع معيار.

(٥) س: "مكرمة". | وهما بمعنى واحد.

ولذلك قالت العرب: "السُّرُوُ التَّغَاوُلُ!"^(١)

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُيِّنَ، وعن التَّقْصِي إذا بُحِثَ، إلا وجدت له في قلبك فضيلةً وجلالةً ما تقدر على دفعها . وكذا أذنبنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يَرْحَمُ اللهُ سَهْلَ الشِّراءِ، سَهْلَ البَيْعِ، سَهْلَ الْقِضاءِ، سَهْلَ التَّقْاضِي!"^(٢)

٨٩

وهذا الأدب خارج من قولهم: "المَغْبُونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ."

كلمة معاوية

وقال معاوية في نحو من هذا: "إني لأجرُذيلي على الخلدائع."

كلمة الحسن

وقال الحسن (عليه السلام): "المؤمن لا يكون مكَّاساً."

سليمان بن عبد الملك
والأعرابي الذي
أخذ رداءه

وفما يُحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حياة أبيه لِمُتَرَّهه^(٤)، فُبِسطَ له في صُحُراء، فتغشَّى مع أصحابه، فلما حان أنصرافه، تشاغل غلماناه بالترحال، وجاء أعرابيٌّ فوجد منهم غَفْلَةً^(٥)، فأخذ دُواجَ سليمان فرمى به على عاتقه، وسليمانُ ينظر

(١) في سه: "السرو والتغافل". [وأنظر الحاشية ٥ من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن المأثور عن السفاح قوله: "التغافل من سجايا الكرام". (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولشاعرهم:

ليس الغبيُّ بسيدٍ في قومه * لكنَّ سيدَ قومه المتغافِي.

(٢) في الأصل: ولا عن.

(٣) سه: "رحم الله من سَهَّلَ الشِّراءَ وسَهَّلَ البَيْعَ". والذي رأيتُه في صحيح البخاري: "رحم الله رجلاً سَمَحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى". (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) سه: لِمُتَرَّهه.

(٥) الدُّواج هو الخفاف الذي يُلبَس. ولعلَّ شبهه بالملحفة المسماة الآن بالمُضَرَّيَّة، وأنظر ما كتبه عليه دوزي في قاموس الثياب (ص ١٨٦) وليس فيه تفصيلٌ يشرح المعنى. قال في مطالع البدور: وُجِدَ لَأَمَّ المَعْتَرَّة ثلاثة دواويج كانت تستعملهن، فقوِّم الدُّواج بأكثر من ألف دينار (ج ١ ص ٦٠).

إليه . فبصر به بعض حشمه ، فصاح به : ألقِ ما عليك ! فقال الأعرابي : ” لا لعمرى ! لا ألقيه ولا كرامة ! هذا كُسوّة الأمير وخلعته “ . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كُسوته . فزكّاه إعصارُ الريح .

وأحسن من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن عليّ بالأمس ، وقد عُثرَ برجل سرق دُرّةً رائعة ، أخذها من بين يديه . فطلبت بعد أيام فلم توجد . فباعها الرجل ببغداد ، وقد كانت وُصفت لأصحاب الجوهر . فأخذ وحمل إلى جعفر فلما بصر به ، أستحيا منه وقال : ألم تكن طلبت هذه الدُرّة مني ، فوهبتها لك ؟ قال : بلى . قال : لاتعزّضوا له ! فباعها بمائتي ألف درهم .^(١)

جعفر بن سليمان
وسارق الدُرّة
٩٠



ومن أخلاق الملوك إكرام أهل الوفاء وبرّهم والاستئمان إليهم والثقة بهم والتقدم لهم على الخاص والعام والحاضر والبادي .

إكرام أهل الوفاء .
وشكرهم

وذلك أنه لا يوجد في الإنسان فضيلة أكبر ولا أعظم قدراً ولا أنبلُ فعلاً من الوفاء . وليس الوفاء شكر اللسان فقط ، لأن شكر اللسان ليس على أحدٍ منه مؤونة .
وَأَسْمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمِلٌ عَلَى خِلَالٍ :

فمنها - أن يذكّر الرجل من أنعم عليه ، بحضرة الملك فمنّ دونه . فإن كان الملك^(٢)

(١) رواها في ” المحاسن والمساوي ” (ص ٥٠٦) .

(٢) نسه : ” إن ” صه : ” وإن ” . [ووضعت حرف الفاء لمنع التشويش في الجملة ، والاضطراب

في السياق] .

فيه سَيِّئُ الرَّأْيِ، فليس من الوفاء أن يُعِينَهُ عَلَى سُوءِ رَأْيِهِ. فَإِنْ خَافَ سَوْطَ الْمَلِكِ وَسَيْفَهُ، فَأَحْسَنُ صِفَاتِهِ أَنْ يُمْسِكَ عَنْ ذِكْرِهِ بَخِيرٍ أَوْشَرٍ.

ومنها - المؤاساة للصاحب في المال حتى يقاسمه الدرهم بالدرهم والنعل بالنعل والثوب بالثوب.

ومنها - الحفظ له في خَلْفِهِ وَعِيَالِهِ، مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَجْعَلَهُمْ إِسْوَةً عِيَالِهِ فِي الْجَدْبِ وَالْخِصْبِ.

ومنها - الشكر له باللسان والجوارح.

وكانت ملوك الأعاجم كلها، أَوْلَهَا وَآخِرُهَا، لَا تَمْنَعُ أَحَدًا مِنْ خَاصَّتِهَا وَعَاقَتِهَا شُكْرَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهَا أَوْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهَا وَتَقْرِيطَهُ وَذَكَرَ نِعْمَةٍ وَإِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَتْ الشَّرِيعَةُ قَدْ قَتَلَتْهُ وَالْمَلِكُ قَدْ سَخَطَ عَلَيْهِ. بَلْ كَانُوا يَعْرِفُونَ فَضِيلَةَ مَنْ ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْهُ وَيَأْمُرُونَ بِصِلَتِهِ وَتَعَاهُدِهِ.

ويقال إن قُبَادَ^(١) أَمَرَ بِقَتْلِ رَجُلٍ كَانَ مِنَ الطَّاعِنِينَ عَلَى الْمَمْلُوكَةِ. فُقْتِلَ. فَوَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ رَجُلٌ كَانَ مِنْ جِيرَانِهِ فَقَالَ: "رَحِمَكَ اللَّهُ! إِنْ كُنْتَ - مَا عَلِمْتُ - لَتُكْرِمَ الْجَارَ وَتَصْبِرَ عَلَى أَذَاهُ، وَتُوَاسِيَ أَهْلَ الْحَاجَةِ، وَتَقُومَ بِالنَّائِبَةِ! وَالْعَجَبُ كَيْفَ وَجَدَ الشَّيْطَانُ فِيكَ مَسَاغًا حَتَّى حَمَلَكَ عَلَى عَصِيَانِ مَلِكِكَ، فَخَرَجْتَ مِنْ طَاعَتِهِ الْمَفْرُوضَةِ إِلَى مَعْصِيَتِهِ! وَقَدِيمًا مَا تَمَكَّنَ مِنْهُ هُوَ أَشَدُّ مِنْكَ قُوَّةً وَأَثْبَتَ عَزْمًا." فَأَخَذَ الرَّجُلَ

فَبَاذَ وَمَادَحَ الْجَانِي عَلَى الْمَمْلُوكَةِ

صاحبُ الشرطة فحبسه. وأتتهى كلامه إلى قُبَادَ، فوقع قُبَادُ: يُحَسِّنُ إلى هذا الذي شكر إحساناً فَعِلَ به؛ وترفع مرتبته، ويُزَادَ في عطائه. (١)



* وهكذا فعل سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة [المخزومي]، حين حُمِلَ رأس مروان [الجعدي] (٣) إلى أبي العباس [السفاح] بالكوفة، فعقد له مجلساً وجاءوا بالرأس: فقام سعيد بن عمرو بن جعدة فأكبَّ عليه قياماً طويلاً، ثم قال: هذا رأس

(١) رواها في "الحاسن والمساوي" (ص ١١٤).

(٢) كان من رجالات مروان الجعدي، وأشترك معه في وقعة الزاب. (الطبري سلسلة ٣ ص ٢٠٤ و ٢٢٤؛ والأغانى ج ١١ ص ٧٥؛ وابن الأثير في حوادث سنة ١٤٥).

(٣) هو آخر خلفاء بني أمية بالشرق.

١٠ وُلِدَ سنة ٧٢ وقيل سنة ٧٦. تولى هشام ومن بعده من الخلفاء الجزيرة وأرمينية وأذربيجان لغاية سنة ١٢٦. وفي هذه السنة الأخيرة أظهر الخلاف على يزيد بن الوليد. ثم سار في سنة ١٢٧ إلى الشام وحارب سليمان بن هشام ودعا الناس إلى مبايعته. وتمت له البيعة بدمشق في تلك السنة. وهو الذي سُمِّيَ يزيد ابن الوليد بالناقص. وكانت وفاته بأرض مصر في سنة ١٣٢ هجرية. [وأظهر صفحة ١٧٥ من هذا الكتاب].

٢٠ وهو المعروف في كتب التاريخ بمروان الفرس، ومروان الحمار، ومروان الجعدي. سماه العباسيون الذين خرجوا عليه وقلبوا دولته بالحمار في نظير تسميته بالفرس. وقيل إنه لُقِّبَ بالحمار لأنه كان لا يخف له لبد في محاربة الخارجين عليه. (كان يصل السير بالسير ويصبر على مكازة الحروب. ويقال في المثل: "فلان أصبر من حمار في الحروب"، فلذلك لقب به). وقيل إن العرب تُسمِّي كلَّ مائة سنة حماراً. (فلما قارب ملك بني أمية مائة سنة لقبوا مروان بالحمار لذلك). وربما كان ذلك لفراره على حمار (يدلُّ على ذلك قول رؤبة ابن العجاج في مدح السفاح:

ما زال يأتي الأمر من أقطاره * عن اليمين وعلى يساره،
مُشَمَّرًا لا يَصْطَلِي بِناره * حتى أقرَّ الملك في قراره
وفر مروان على حماره.)

(١) أبي عبد الملك، خليفتنا بالامس، رحمه الله! فوثب أبو العباس فطعن في سمجه. (٢)
وأنصرف ابن جعدة إلى منزله، وتحدث الناس بكلامه. فلامه بنوه وأهله، وقالوا:

= وأما تسميته بالجعدى فنسبه إلى أخذه (حين كان واليا على الجزيرة) بتعاليم مؤدبه الجعد بن درهم مولى
سويد بن غفلة. وقع هذا الرجل إلى الجزيرة فأخذ برأيه جماعة من أهلها. فلما حارب الخراسانيون مروان
نسبوا إلى الجعد ما رواه من سعة علمه. وكان الناس يذمون مروان بنسبته إلى الجعد. وكان الجعد من شيوخ
المعتزلة وأظهر مقالته بخلق القرآن والقدر والاستطاعة وغير ذلك أيام هشام. ومن أقواله: "إذا كان الجماع
يتولد منه الولد، فأنا صانع ولدى ومدبره وفاعله، لا فاعل له غيرى، وإنما يقال إن الله خلقه مجازاً لا حقيقة".
ومن قوله: "إن كان النظر الذى يوجب المعرفة، تكون تلك المعرفة فعلا لا فاعل لها". وقيل إنه كان زنديقا.
وعظه ميمون بن مهران، فقال: "للساء قبأ أحب إلى مما تدين به! فقال له مهران: فتلك الله، وهو قاتلك!"
وشهد عليه مهران. فطلبه الخليفة هشام حتى ظفر به. فأرسله إلى خالد القسرى، وهو أمير العراق، وأمره
بقتله. فحبسه خالد ولم يقتله. فبلغ الخبر هشاماً فكتب إلى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله. فأخرج خالد
من الحبس فى وثاقه. فلما صلب العيد يوم الاضحى قال فى آخر خطبته: "انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم، فإني
أريد أن أضحي اليوم بالجعد بن درهم فإنه يقول: ما كلم الله موسى ولا اتخذ إبراهيم خليلاً! تعالى الله عما يقول
الجعد علواً كبيراً!" ثم نزل وذبحه.

أُنظر الطبري سلسلة ٢ (ص ٩٤٠ و ١٥٦٢ و ١٨٢٥ و ١٨٧٠ و ١٨٧٦)؛ وأنظر الأغاني
(ج ١٨ ص ١٢٣ و ج ٢١ ص ٨٧)؛ وأنظر "المحاسن والمساوى" (ص ٢٣٩)؛ والفصل فى الملل
والأهواء والنحل (ج ٤ ص ٢٠٢)؛ وأنساب السمعاني (ص ١٣١)؛ وآبن الأثير (ج ٥ ص ١٩٦
و ١٩٧ و ٣٢٩)؛ وسبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب (ص ٨١)؛ والفرق بين الفرق لعبد القاهر
البغدادى، طبع القاهرة سنة ١٩١٠ (ط ١٤ و ٢٦٢).

(١) هو كنية مروان الجعدى، باسم أبه.

(٢) أى فى حضنه.

عَرَضْنَا وَنَفْسَكَ لِلْبَوَارِ ! فَقَالَ : أَسْكُتُوا ، قَبَّحَ اللَّهُ ! أَلَسْتُمْ الَّذِينَ أُشَارُوا عَلَى
بِالْأَمْسِ بِمَحْزَانٍ بِالتَّخَلُّفِ عَنْ مَرَّوَانَ ، فَفَعَلْتُ فِي ذَلِكَ غَيْرَ فَعَلَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالشُّكْرِ ؟
وَمَا كَانَ لِيَغْسِلَ عَنِّي عَارَ تِلْكَ الْفَعْلَةِ إِلَّا هَذِهِ . فَإِنَّمَا أَنَا شَيْخٌ هَامَةٌ ^(١) ، فَإِنْ نَجَوْتُ يَوْمَ
هَذَا مِنَ الْقَتْلِ ، مُتُّ غَدًا . قَالَ : بِفَعْلِ بَنُوهُ يَتَوَقَّعُونَ رُسُلَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَنْ تَطْرُقَهُ
فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَاصْبَحُوا وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ . وَغَدَا الشَّيْخُ إِذَا هُوَ بِسَلِيمِ بْنِ مُجَالِدٍ . فَلَمَّا
بُصِّرَ بِهِ ، قَالَ : يَا أَبْنِ جَعْدَةَ ! أَلَا أَبْشُرُكَ بِجَمِيلٍ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِنَّهُ ذَكَرَ فِي هَذِهِ
الْلَيْلَةِ مَا كَانَ مِنْكَ ، فَقَالَ : ” وَاللَّهِ ! مَا أَخْرَجَ ذَلِكَ الْكَلَامَ مِنَ الشَّيْخِ إِلَّا الْوَفَاءُ . وَلَهُوَ
أَقْرَبُ مِنَّا قَرَابَةً ، وَأَمْسُ بَنَا رَحِمًا مِنْهُ بِمَرَّوَانَ ، إِنْ أَحْسَنَّا إِلَيْهِ ! “ قَالَ : أَجَلٌ ، وَاللَّهِ ! * ^(٢)

(١) تقول العرب : فلان هامة ، أى يصير في قبره . ومنه قول كثير :

فَإِنْ تَسَلُّ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ دَعِيَ الْهَوَى ، * فَبِالْيَأْسِ تَسْلُو عَنْكَ ، لَا بِالتَّجَلُّ .
وَكُلُّ خَلِيلٍ رَأَى فَنَهَوَ قَائِلٌ : * مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْ غَدَ .

يقال : فلان هامة اليوم أو غدا ، أى يموت في يومه أو غده . ويقال ذلك للشَّيْخِ إِذَا سَنَّ ، وَالْمَرِيضِ إِذَا طَالَتْ
عَلَّتُهُ ، وَالْمَحْتَرِّقَ لِمَدَّةِ الْأَجَالِ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَبَا حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَالَ لِثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ الْأَنْصَارِيِّ وَقَدْ تَخَلَّفَ
مَعَهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ : ” إِنْ هُزِّبْنَا نَصُرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْ غَدَ “ .
(وَكَاثَنَا قَدْ أَسْنَا) . وَمَرَجَعَ ذَلِكَ لِأَعْتِقَادِ الْعَرَبِ فِي مَسْأَلَةِ الْهَامَةِ . (رَاجِعُ ” الْكَامِلُ “ لِلْبُرْدِ ص ٢١١ وَ ٣٨٧ ؛
وَأَنْظُرُ ” الْأَغَانِي “ ج ١٣ ص ١٦٥)

(٢) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين ** منقولة عن صه . وقد رواها في ” المحاسن والمساوى “

(ص ١١٩ و ١٢٠)

كتاب قيس بن سعد
أبن عبادة إلى
معاوية

وهكذا فعل قيس بن سعد بن عبادة [الأنصاري] بمعاوية بن أبي سفيان، حين دعاه إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعته. فكتب إليه قيس بن سعد: "يا وثن ابن وثن! تكتب إلى تدعوني إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعتك وتخونني بفرق أصحابه عنه وإقبال الناس عليك وإجفاهم إليك! فوالله الذي لا إله غيره! لو لم يبق له غيري ولم يبق لي غيره، ما سلمتُك أبداً، وأنت حرب، ولا دخلت في طاعتك وأنت عدوه، ولا آخرتُ عدو الله علي وليه، ولا حزب الشيطان علي حزب الله. والسلام!"

الإسكندر
والمتقربون إليه
بقتل ملكهم

وفي سيرة الإسكندر ذي القرنين أنه لما قصد نحو فارس، تلقاه جماعة من أساورتهم برأس ملكهم، يتمتزون إليه به. فأمر بقتلهم لسوء رغيهم وقلة شكرهم لملكهم ومن أنعم عليهم. وقال: من غدر بملكه كان بغيره أغدر.

شيوخه ومادحه
على قتل أبرويز

وفيما يحكي عن شيوخه أن رجلاً من الرعية وقف له يوماً، وقد رجع من الميدان، فقال: "الحمد لله الذي قتل أبرويز على يديك، وملأك ما كنت أحق به منه وأراح آل ساسان من جبريته وعتوه وبخله ونكده. فإنه كان ممن يأخذ بالحبة (٤) (٣) (٢) (١)

(١) أنظر في المسعودي مكاتبات أخرى جرت بينهما (ج ٥ ص ٤٥).

(٢) أنظر حاشية ١ صفحة ٩ من هذا الكتاب.

(٣) ص: «جبروته». والجبرية القهر والعلية. وفيها لغات كثيرة ذكرها في القاموس وفي كامل المبرد. وفي خطبة عتبة بن غزوان: "وإنه لم تكن نبوة إلا تأسختها جبرية". أي ملك غالب وعضوض. [أنظر

"البيان والتبيين" ج ١ ص ١٧٢]

(٤) ص: بالإحبة.

ويقتسل بالظن، ويُخيف البريء، ويعمل بالهوى. فقال شيرويه للحاجب: احمله إلى . فحمل . فقال له : -

- كم كانت أرزاقك في حياة أبرويز؟

- كنت في كفاية من العيش .

- فكم زيد في أرزاقك اليوم؟

- ما زيد في رزقي شيء .

- فهل وترك أبرويز^(١)، فانتصرت منه بما سمعت من كلامك؟

- لا .

قال - فما دعاك إلى الوقوع فيه، ولم يقطع عنك مادة رزقك ولا وترك في نفسك؟

وما للعامة والوقوع في الملوك، وهم رعية؟

فأمر أن يُزَعَّ لسانه من قفاه، وقال: "بحق ما يقال إن الخرس خير من البيان فيما لا يجب".^(٢)

وحديثي صباح بن خاقان، قال: حدثني أبي أن أبا جعفر [المنصور] لما أتى برأس

المنصور والضارب
رأس الخارج عليه
بعد قتله

(١) وتره حقه أي قصه . (صحيح) [حاشية في صـ]

(٢) روى هذه الحكاية بالحرف في "الحاسن والمساوي" (ص ٤١١) .

(٣) هو صباح بن خاقان المقرئ . كان نديماً لمصعب الزبيري، وكان من مشايخ المروءة والعلم والأدب .

وكان من مصابي الفرزدق وجريز بفضلتهما على الأخطل (أغانى ج ٧ ص ١٧٤ وج ١٥ ص ١٥٩ و ١٦٠) .

وكان هو ومصعب جلسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يفصمان (كامل المبرد ص ٤٦٠) .

وقد أمتدحه إسحاق النديم (المشبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٣١٠) .

(١) إبراهيم بن عبد الله فَوْضِعَ بين يديه، جاء بعض أولئك الرُّوَيْدِيَّةُ فُضِرَبَ الرَّأْسَ بِعُمُودٍ
 كان في يده. فقال المنصورُ لِلْمُسَيَّبِ: دُقَّ وجهه! فدُقَّ الْمُسَيَّبُ أَنْفَهُ. ثم قال [المنصور]
 له: يَا أَبْنُ الْخَنَاءِ! تَجِيءُ إِلَى رَأْسِ أَبِي عَمِّي (وقد صار إلى حَالٍ لَا يَدْفَعُ وَلَا يَنْفَعُ) تَضْرِبُهُ
 بِعُمُودِكَ، كَأَنَّكَ رَأَيْتَهُ وَهُوَ يُرِيدُ نَفْسِي فَدَفَعْتَهُ عَنِّي. أُخْرِجْ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ!

٤٤

المنصور وما دح
 هشام الأُموي

ويقال إن أبا جعفر وجهه إلى شيخ من أهل الشام، كان من بطانة هشام، فسأله
 عن تدير هشام في بعض حروبه الخوارج. فوصف له الشيخ ما دبر، فقال: "فعل
 (رحمه الله) كذا وصنع (رحمه الله) كذا". فقال المنصور: قُمْ، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ! تَطَّأُ
 بِسَاطِي، وَتَتَرَحَّمُ عَلَى عَدُوِّي؟ فقام الرجل، فقال وهو مُوَلٌّ: إِنَّ نِعْمَةَ عَدُوِّكَ لِقِلَادَةٌ
 فِي عُنُقِي لَا يَتَرَعُّهَا إِلَّا غَاسِلِي. فقال له المنصور: ارجع يا شيخ! فرجع. فقال له: أَشْهَدُ

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

(٢) هكذا في س، صه. ولا يمكن أن تكون الكلمة محروقة عن الزاوية لأنهم قاموا على المنصور
 في سنة ١٤٠، وإبراهيم بن عبد الله كان قتل في سنة ١٤٥. ولم يتمكن بعد شدة البحث وكثرة التفتيش
 في كتب التواريخ واللغة من الوقوف على معناها أو تقويمها. ولعلها تكون "الدورية" بمعنى أصحاب الدور
 من العساكر وأرباب الحرس، أو الزردية بمعنى لابس الزرد. ولكنني لست على ثقة من ذلك. والذي في ابن
 الأثير: رجل من الحرس (ج ٥ ص ٤٣٧). وروى الطبري هذه الحكاية على وجه آخر ووصف الرجل
 بأنه من السيفاء (سلسلة ٣ ص ٤١٦).

(٣) هو الْمُسَيَّبُ بْنُ زَهْرٍ الضُّبِّيُّ وهو من ولد ضرار بن عمرو (وبنو ضرار من سادة ضبة). كان على شرطة
 أبي جعفر، وولاه المهدي خراسان. وولى شرطة موسى الهادي. وكانت هذه الوظيفة في أبنائه هارون والأمين
 والمأمون. (معارف ابن قتيبة ص ٢٠٠)

(٤) صه: سَوَّ.

أَنَّكَ نَهِيضٌ حُرَّةٌ وَغَرَّاسٌ شَرِيفٌ! عُدْ إِلَى حَدِيثِكَ! فعاد الشيخ إلى حديثه حتى إِذَا فَرَّغَ، دَعَا لَهُ بِمَالٍ لِيَأْخُذَهُ فَقَالَ: "وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا بِي مِنْ حَاجَةٍ إِلَيْهِ! وَلَقَدْ مَاتَ عَنِّي مَنْ كُنْتُ فِي ذِكْرِهِ آتِفًا، فَمَا أَحْجَوْنِي إِلَى وَقُوفٍ عَلَى بَابِ أَحَدٍ بَعْدَهُ. وَلَوْلَا جَلَالَةُ عِزِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِثَارُ طَاعَتِهِ مَا لَيْسْتُ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ نِعْمَةً." فَقَالَ الْمَنْصُورُ: "مُتَّ إِذَا شِئْتَ، فَلِلَّهِ أَنْتَ! فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِقَوْمِكَ غَيْرُكَ، لَكُنْتُ قَدْ أَبْقَيْتَ لَهُمْ مَجْدًا مُخَلَّدًا". وَيُقَالُ إِنَّ الرَّجُلَ كَانَ مِنْ شَيْبَانٍ^(١).

١٥

✱

وَمِنْ حَقِّ الْمَلِكِ - إِذَا حَضَرَ سُمَّارُهُ أَوْ مُحَدَّثُوهُ - أَنْ لَا يُحَرِّكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَفَتَيْهِ مُبْتَدَأً، وَلَا يَقْطَعُ حَدِيثَهُ بِالْإِعْتِرَاضِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ نَادِرًا شَيْئًا، وَأَنْ يَكُونَ غَرَضُهُمْ حُسْنَ الْإِسْتِمَاعِ، وَإِشْغَالِ الْجَوَارِحِ بِحَدِيثِهِ. فَإِذَا فَرَّغَ مِنَ الْحَدِيثِ فَنَظَرَ إِلَى بَعْضِهِمْ، فَقَدْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يُحَدِّثَهُ بِنَظِيرِ ذَلِكَ الْجَنْسِ مِنَ الْحَدِيثِ. وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ فِي غَيْرِ جَنْسِ حَدِيثِهِ.

الأدب عند ما يتكلم
الملك

وَلَيْسَ لِمَنْ حَدَّثَ الْمَلِكَ أَنْ يُفْسِدَ أَلْفَاظَهُ وَكَلَامَهُ، بَأَنْ يَقُولَ فِي حَدِيثِهِ: "فَأَسْمَعُ مِنْي" أَوْ "إِنِّهِمْ عَنِّي" أَوْ "يَا هَذَا" أَوْ "الْأَتْرَى". فَإِنَّ هَذَا وَمَا شَبَّهَهُ عِثٌّ مِنْ قَائِلِهِ وَحَشْوُهُ فِي كَلَامِهِ وَخُرُوجُهُ مِنْ بَسْطِ اللِّسَانِ وَدَلِيلُ عَلَى الْقَدَامَةِ وَالْغَنَاءَةِ. وَلَيْكُنْ كَلَامُهُ

الأدب في تحديث
الملك

(١) نقل المسعودي هذه الحكاية بتصرف يسير (ج ٦ ص ٦٧ و ١٦٨). ونقلها بالحرف الواحد في "الحاسن والمساوي" (ص ١٢٠). وكان المنصور في أكثر أزموره وتدييره وسياسته متبعا لهشام في أفعاله، لكثرة ما يستحسنه من أخبار هشام وسيرته. (شذرات الذهب ج ١ ص ١٨١)

(٢) سم: وخروج من بسط الزمان، صم: وخروج يربط اللسان.

(٣) القدامة العري عن الحجة، والكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم.

(٤) هي سوء الخلق. ويعبر عنها العامة في أيامنا هذه بقولهم: الفتانة. ومنها فلان غتوت.

كلاماً سهلاً، وألفاظه عذبة متصلة، وسقط كلامه قليلاً. فإذا فرغ من الحديث،
فليس له أن يصله بحديث آخر، وإن كان شبيهاً بالحديث الأول، حتى يرى أن
الملك قد أقبل عليه بوجهه وأصغى إلى حديثه. [فإن أعرض] لشغل يعرض له،
[فليس له] أن يمز في حديثه وأن يصل كلامه، فيحتاج الملك إلى الإصغاء إليه ويحتاج
إلى التشاغل بما عرض له، فيجمع عليه أمرين. فإن هذا يخفف من فاعله وخروج
من الأدب. ولكن لينصت مطرئاً: فإن اتصل شغل الملك، ترك الحديث، وإن
أقطع فنظر إليه، فقد أذن له في إتمامه وإعادةه.



ومن حق الملك أن لا يضحك من حديثه إذا حدث، لأن الضحك بحضرة الملك
جرأة عليه، ولا يظهر التعجب بفائدة حديثه. وإنما هذا إلى الملك. فإن ضحك الملك من
الحديث وأظهر السرور به، فذلك غرض حديثه، وإليه قصد. وإن سكت، فلم يكن
في الحديث ما يلهيه ويطر به أو يستفيد منه فائدة، كان قد سلم من العيب، إذ لم
يضحك ولم يعجب.



ومن حق الملك أن لا يعاد عليه الحديث مرتين، وإن طال بينهما الدهر وغبرت
بينهما الأيام، إلا أن يذكره الملك. فإن ذكره، فهو إذن منه في إعادةه.

وكان رَوْحُ بْنُ زُبَيْعٍ ^(١) أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة من أيامه،
ما أعدت عليه حديثاً.

(١) أنظر الحاشية ١ صفحة ٦٠ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب.

(١) وكان الشعبي يقول: ما حدثت بحديث مرتين لرجل بعينه قط.

كلمة الشعبي في المعنى

(٢) وكان أبو العباس يقول: ما رأيت أحدا أغزر علما من أبي بكر الهذلي، لم يعد علي حديثا قط.

كلمة السفاح

(٣) وكان ابن عيَّاش يقول: حدثت المنصور أكثر من عشرة آلاف حديث. فقال لي ليلة، وقد حدثته عن يوم ذي قار: قد اضطررت إلى التكرار، يا ابن عيَّاش! قلت: ما هذا منها، يا أمير المؤمنين. قال: أما تذكر ليلة الرعد والأمطار، وأنت تحدث عن يوم ذي قار، فقلت لك: ما يوم ذي قار بأصعب من هذه الليلة؟

كلمة ابن عيَّاش في المعنى

(١) هو فقيه العراق وأشهر من أن يذكر.

(٢) يعني السفاح رأس الدولة العباسية.

(٣) أنظر حاشية ٣ صفحة ٥٩ من هذا الكتاب.

(٤) ذو قار هو اسم ماء لبني بكر بن وائل، بالقرب من الكوفة. حدثت فيه معركة هائلة بين العرب والعجم قبل البعثة النبوية، وقيل بين غزو قتيبة بن بكر وأحد. انتصر فيها العرب على العجم انتصارا باهرا تغنى به شعرائهم وتحدثت به أخبار يومهم. ويسمى هذا اليوم أيضا بيوم الحنو، ويوم حنو ذي قار، ويوم حنو القراق، ويوم بطحاء ذي قار، ويوم قراق، ويوم الجبابات، ويوم ذات العجروم. وكلهن مواضع حول ذي قار. ولكنه الأشهر والأكثر في الاستعمال.

(٥) القار (بتخفيف الراء) هو في لغة العرب هذا الأسود (الزفت) الذي تغطي به السفن، وهو شجر مر أيضا (عن تاج العروس). وفي لغة الفرس يدل على البياض وعلى السواد (لأنه عندهم من أسماء الأضداد)؛ وقد أطلقوه من باب التوسع على الثلج وعلى الزفت بسبب لونهما. وليس يستفاد من الحكاية التي أوردها الجاحظ (مع ملاحظة المنصور على جلسه) أن المعركة وقعت في أيام الشتاء، ولأنه ربما كان لتسميتها بيوم ذي قار علاقة بنزول الثلج وأن الموضع ربما سمي بهذا الاسم لهذه المناسبة. والحقيقة أن اللفظ عربي صميم لأنه اسم ماء =

مواطن إعادة
الحديث على الملوك

(١)
وكان الشَّرْفِيُّ بْنُ الْقَطَامِيِّ يُعِيدُ الْحَدِيثَ مَرَارًا. وَذَلِكَ أَنَّ أَكْثَرَ أَحَادِيثِهِ
مُضَاهِيكٌ، وَكَانَتْ تُعْجِبُ الْمُهْدِيَّ فَيَسْتَعِيدُهُ.

= لني بكر بن وائل كما ذكرنا في الحاشية السابقة، ولأن من نظر إلى الخريطة الجغرافية يتبين له أن عرض
هذا المكان مما لا يقع فيه الثلج. وفوق ذلك فالمعلومات التاريخية تدل على أن هذه الحرب وقعت في أيام
القيظ. يدل على ذلك قول النُغْلِيِّ الذي يريد هلاك بكر بن وائل، حينما استشاره كسرى أبرويز في أمرهم:
”أَمَلُهُمْ حَتَّى يَقِظُوا وَيَتَسَاقَطُوا عَلَى ذِي قَارٍ، تَسَاقَطَ الْفَرَّاشُ فِي النَّارِ. فَتَأْخُذُهُمْ كَيْفَ شِئْتَ“ (ابن الأثير
ج ١ ص ٣٥٧). ويؤيد ذلك ويوضحه ما رواه صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ١١٣) فقد أورد
حديث النُغْلِيِّ مع كسرى هكذا:

” - يا خيبر الملوك! ألا أدلك على غِرَّةِ بكرٍ؟

- بلى!

- أقرها، وأظهر الإضراب عنها حتى يُجْلِيَهَا الْقَيْظُ وَيُذْنِبَهَا مِنْكَ. فَانْهَمَ لَوْاقَطُوا، تَسَاقَطُوا عَلَيْكَ بِمَا لَمْ
فِي وَادٍ يُقَالُ لَهُ ذَوْ قَارٍ، تَسَاقَطَ الْفَرَّاشُ فِي النَّارِ.“
وإنما الذي أشار إليه المنصور هو اشتداد الأمر وجرح الحال وأصطلام الحرب، كما كانت ليلته شديدة
برعدها ومطرها.

(أنظر التفصيل عن تلك الواقعة وسببها في معجم البلدان ج ٤ ص ١٠ - ١٢؛ ”والأغانى“ ج ٢٠
ص ١٣١ - ١٤٠؛ ”والعقد الفريد“ ج ٣ ص ١١٣ - ١١٦؛ ”وآبِن الأثير“ ج ١ ص ٣٥٢ -
٣٥٨؛ وأنظر ”صبح الأعشى“ ج ١ ص ٢٣٦؛ ”وتاج العروس“ في ق و ر.)

(١) سماه في القاموس شرق بن القطامي. وفي شرحه عن بعض أهل اللغة أنه بفتح الراء. والقطامي بفتح
القاف في لغة قيس. وعند سائر العرب بالضم.

٢. وهو الوليد بن الحُصَيْنِ الكَلْبِيِّ. والشرقي لقبه، كما أن القَطَامِيَّ لَقِبَ أَبِيهِ. كوفيُّ وأفراسم والادب،
وأشهر بمعرفة الأنساب ورواية الأخبار والدواوين. ولكنه في الحديث معدود من الضعفاء. كان =

وكان ابن دأب^(١) إذا حدث موسى أمير المؤمنين بالحديث، أعاده عليه في القابلة حتى يحفظه.

ويقال إنه لم يُسامر الخلفاء أحدٌ كان أنبل من عيسى بن دأب، ولا أتم صنعة ولا أحسن ألفاظا ولا أفكّه مجلسا ولا أعظم أبهة وقدرًا منه. وكان عيسى بن دأب يتكئ في مجلس أمير المؤمنين.

= صاحب سمر. أقدمه أبو جعفر المنصور ليوم ولده المهدي. وقد سأله: "عَلَامَ يُوقِي المرء؟" فقال: أصلح الله الخليفة! على معزوف قدسلف، أو مثله يؤتف، أو قديم شرف، أو علم مُطَرَف. "ضمه المنصور إلى المهدي حين خلفه بالرّى، وله معه هناك حديث ظريف عن الغريين (ساقه في "مروج الذهب" ج ٦ ص ٢٥١ - ٢٥٦، وأورده ياقوت برواية أخرى في "معجم البلدان" ج ٣ ص ٧٩١ - ٧٩٢). وله كتب في التاريخ والأنساب. روى عنها المسعودي وياقوت والبلاذري. وله قصيدة في الغريب. سأله رجل ذات يوم عما كانت تفرّقه العرب في صلاتها على موتائها. فقال: لا أدري. فقال له الرجل: كانوا يقرؤن:

ما كنت وكواكا ولا بزوّك * رويدك حتى يبعث الخلق باعنه

لحدث بذلك في المقصورة يوم الجمعة. (انظر "كتاب الفهرست" ص ٩٠ و ١٧٠ و ٣٠٦؛ و "نزهة الألباء" ص ٤٢ - ٤٣؛ وآين قتيبة في "المعارف" ص ٢٦٨. وقد صححت البيت عن "لسان العرب" في مادتي زنك، ولك). ١٥

(١) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، ويكنى أبا الوليد. (ودأب مأخوذ من قولهم: ما زال هذا دأبه وديده وعادته ودينه أي فعله الذي لا يفارقه). كان هو وأبوه وأخوه من العلماء بأخبار العرب وأشعارهم. وكان عيسى شاعرا فوق ذلك. وكان يضع بالمدينة الشعر وأحاديث السمر وكلاما يُنسب إلى العرب. وكان أكثر أهل الحجاز بل ومعاصره أدبا وعلمًا وعذوبة لفظ ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم؛ وكان لذيذ المفاكهة، طيب المسامرة، كثير النادرة، جيد الشعر، حسن التزاع له. وهو من نقلة الأخبار ونُقّاد الأشعار. ٢٠ خُطّيَ عند الهادي خطوة لم تكن لأحد قبله. وبلغ من تيهه على الخليفة أنه كان ينادمه ولا يتغذى معه. فقبل له في ذلك، فقال: أنا لا أتغذى في مكان لا أغسل يدي فيه. فقال له الهادي: فتغذ! فكان الناس إذا تغذوا غسل أيديهم، وابن دأب يغسل يديه بحضرة الخليفة. وبلغ من تيهه ودأته عليه أيضا أن الخليفة يدعو له بما يتكئ عليه في مجلسه (وما كان يفعل ذلك بغيره ولم يكن عنده أحد يطعم منه بذلك) :

ولم يكن هذا لأجد. غير أنه يُحكى أن رَوْح بن زُبَاع مَرِض فكان يدعو له
عبدُ الملك بن مروان مُتَتَكًا.^(١)



وعلى المحدث لَمَّا أَنَّ لَا يَعَجَلْ فِي كَلَامِهِ، وَأَنْ يُدْمِجَ الْفَاضِلَ، وَلَا يُشِيرَ بِيَدِهِ،^(٢)

الادب في تحديث
الملك

٥ = وكان يقول له: "ما استطلت بك يوما ولا ليلا، ولا غبت عن عيني إلا تمنيت أن لا أرى غيرك".
أمر له مرة ثلاثين ألف دينار. فعاكسه الحاجب في قبضها، فتركها. ثم رآه الهادي، وليس معه إلا غلام
واحد، فأخذ عليه عدم ظهور النعمة فيه. فلما دخل إليه عرض له بذلك وقال له: "أرى أنك غسبيل، وهذا
شأن يحتاج إلى الجديد". فقال: باعني قصير. فقال: وكيف، وقد صرفنا إليك ما فيه صلاح شأنك؟ فقال:
ما وصل إلي. فدعا صاحب بيت المال واستحضر الثلاثين ألف دينار وحملها بين يديه.

١٠ وكان كثيرا ما يدعوه ويسأله إنشاد الأبيات من أشعر ما قالت العرب. وكان يروى له الأخبار (منها حديث عن
غلام سندی مع مولاه، سافه المسعودي في ج ٦ ص ٢٦٤ - ٢٦٥) وصاحب "الحاسن والمساوي"
(ص ٦١٣ - ٦١٤)، والأشبهى في "المستطرف" (ج ٢ ص ٦٥)، وصاحب "تنبيه الملوك والمكائد"
(ص ١١٦ - ١١٧). ومنها حديث عن عيوب مصر وفضائل البصرة والكوفة، سافه المسعودي أيضا
في الجزء السادس (ص ٢٧٠ إلى ٢٧٧). وقد أخذ عليه خلف الأحمر هفوة فقال فيه: "العجب

١٥ من أين دأب! والله لقد طمع في الخلافة حين ظن أن هذا يُقبل منه". وقد هجاه ابن مناذر الشاعر الفصيح
المقدم في العلم باللغة، لأنه قال فيه قولاً قبيحاً. وكان خلف الأحمر ينسب إليه الكذب. وقالوا إنه كان يتشيع
ويضع أخباراً لابي هاشم. (أنظر "كتاب الفهرست" (ص ٩١)؛ و"الأغاني" (ج ٥ ص ١٥٨ و ١٥٩)؛ و"العيون" (ج ١ ص ١٠٤)

٢٠ و ١٠٦ و ١١ ص ٦٩ و ١٧ ص ٢٤ و ١٩ ص ٤٨)؛ وأنظر ابن الأثير (ج ٦ ص ٧٢ - ٧٣)؛
وأنظر أيضاً "مروج الذهب" (ج ٥ ص ١١٨ و ١٢٨ و ٢٦٣)؛ وأنظر "المعارف" لابن قتيبة
(ص ٢٦٧)؛ و"كتاب الأشتقاق" لابن دريد (ص ١٠٦)؛ و"كامل المبرد" (ص ١٨٦ و ٢١٢)؛
و"الحاسن والمساوي" (ص ٢٠٧ - ٢٠٨)؛ والطبري سلسلة ٣ (ص ٥٨٩)؛ و"شرح الحماسة"
(ص ٢٠٠)؛ و"البيان والتبيين" ج ١ ص ٢٤ و"تاج العروس" في دأب. وله ترجمة وافية في "معجم الأدباء" لياقوت

روى هذه الأحوال صاحب "الحسن الملوك" بالحرف الواحد عن الجاحظ دون أن يسميه (ص ٢٤).

(١) دخل محمد بن عمران على المأمون ذات ليلة، فجعل يأمره وينهاه، ثم دعا له مُتَتَكًا، فقال: أعينك
بالله، يا أمير المؤمنين! ما كنت لأتبي في مجلسك! فقال له: إن على قلبك من ذلك نقلاً وموؤنة، فأردنا
أن يستريح بذلك ليفرغ لنا قلبك. ("مطالع البدور" ج ١ ص ١٠)

(٢) من قولهم: أدج الحبل أجاد فله، وقيل: أحكم فله في رقة. (عن تاج العروس)

ولا يُحرِّك رأسه، ولا يزحف من مجلسه، ولا يُراوح بين قَعْدَتَيْهِ، ولا يرفع صوته، ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً، ولا يُقبِلُ على غير الملك بملاحظته، ولا يكون غرضه أن يسمع حديثه أو يفهم عنه سواه.



ومن حقِّ الملك - إذا تشاءب أو ألقى المروحة أو مدَّ رجله أو تمطَّى أو أتكا أو كان في حالٍ فصار إلى غيرها مما يدلُّ على كسله أو وقت قيامه - أن يقوم كلُّ من حضره. وكان أردشير بن بابك إذا تمطَّى، قام سُماره.

أمارات الملوك
للجلساء بالانصراف

وكان الأَرْدَوَانُ الأَحْمَرُ له وقت من الليل وساعات تُخصى^(١). فإذا مضت، جاء الغلام بنعله، فقام من حضره.

* وكان يُستاسف إذا ذلك عينيه، قام من حضره.

وكان يزدجرد الأئيم إذا قال: "شَبُّ بُشْدٍ"^(٢)، قام سُماره.

وكان بهرام جور إذا قال: "حُرْمُ خَفْتَارٍ"^(٣)، قام سُماره.

وكان قُبَادُ إذا رفع رأسه إلى السماء، قام سُماره.^(٤)

وكان سابور إذا قال: "حسبك يا إنسان!"، قام سُماره.



(١) ص: كَهْ. (بمعنى كلاله)

(٢) لعل الصواب: "الاصفر". [وأنظر الحاشية ٦ من صفحة ٢٩ و صفحة ١٥١ من هذا الكتاب]

(٣) جملة فارسية معناها: صار الليل. وفي هامش ص: يقول ذهب الليل.

(٤) جملة فارسية معناها: نام مسروراً (?)

(٥) هذه الفقرات الأربع المحصورة بين التجمين * * منقولة عن ص.

وكان أنوشروان إذا قال: "قُزْتُ أعينكم!" ^(١) قام سُماره.

وكان عمر بن الخطاب إذا قال: "الصلاة!" ^(٢) قام سُماره. وكان ينهى عن السمر بعد صلاة العشاء.

وكان عثمان إذا قال: "العزة لله!" ^(٣) قام سُماره.

وكان معاوية إذا قال: "ذهب الليل!" ^(٤) قام سُماره ومن حضره.

وكان عبد الملك إذا ألقى المِخْصِرَةَ، قام من حضره.

* وكان الوليد إذا قال: "أستودعكم الله!" ^(٥) قام من حضره.*

وكان الهادي إذا قال: "سلام عليكم!" ^(٦) قام من حضره.

وكان الرشيد إذا قال: "سبحانك اللهم وبحمدك!" ^(٧) قام سُماره.

(١) وكان كيشاسف يدلك عينه؛ ويزدجرد يقول: شب بشد (أى مضى الليل)؛ وبهرام يقول: نرَم خوش باد (أى كُنْ مسروراً)؛ وأبرويزيمد رجله؛ وقباز يرفع رأسه إلى السماء. (عن "محاضرات الراغب" ج ١ ص ١٢١. والتفسير العربي الأول عن المرحوم محمد عارف باشا في حاشية "المحاضرات")

(٢) إذا قال قامت الصلاة. (في "محاضرات الراغب" ج ١ ص ١٢١)

(٣) قال أصحاب معاوية له: إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك، فنريد أن تجعل لنا علامة نعرف بها ذلك. قال: علامة ذلك أن أقول "إذا شتمت!" ^(٤) وقيل ذلك ليزيد، فقال: إذا قلت "على بركة الله!" وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان فقال: إذا وضعت الخيزرانة. ("العقد الفريد" ج ١ ص ١٦٦ و ٢٨٨)

(٤) قضيب كالسوط، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها. وذلك من شعار الملوك.

(٥) في المسعودي (ج ٥ ص ٢٥٧) وفي الراغب في الموضع السابق بيانه، أنه كان يقول: "إذا شتمت"

وكانت سادات العرب يقولون جليسم: "إذا شتمت فقم!" وهذه الجملة استعملها مصعب بن الزبير، كما في الأغاني. (ج ٢ ص ١٣٨)

(٦) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين منقولة عن ص-

(٧) سبحان الله (الراغب ج ١ ص ١٢١)

وكان المعتصم إذا نظر إلى صاحب النعل، قام من حضره.

وكان الواثق إذا مسَّ عارضيه وتثائب، قام سُمَّارُهُ.

وكان المأمون إذا استلقى على فراشه، قام من حضره.^(١)

غير أن بعض من ذكرنا كان ربما قام بجنس آخر من الإشارة والكلام، وإِنَّمَا أضعفنا إلى كل واحد منهم أغلب أفعاله كانت عليه.



ومن حقَّ الملك أن لا يُعَابَ عنده أحدٌ، صَغَرًا أَوْ كَبُرَ.

غير أن من أخلاقها التحريش بين اثنين، والإغراء بينهما.

عدم ذكر أحد
بالغيب في حضرة
الملك

تحريش الملك بين
رجاله

فمن الملوك من يُدبِّرُ في هذا تدبيراً يجب في السياسة. وذلك أنه يقال: قلّ آثان



١٠ آستويا في منزلة عند الملك والجاه والتَّبَع والعزّ والحُظوة عند السلطان فأتفقا، إلّا كان ذلك الاتِّفاق وهناً على المملَكة والمَلِك، وفساداً في تدبيره. وذلك أنهما إذا اتَّفقا، وهما وزيراً للملك، كانا - متى شاأْنُ - ينقضّ ما أبرم الملك ويحلّ ما عقد ويوهيأ ما أكَّد - قَدَرًا على ذلك للاتِّفاق والجامعة. ومتى انفصلا حتّى يتباينا أو يتحارنا كان تباينهما

(١). هذه العبارة غير واردة في ص. . وإذا كانت صحيحة فكانها بعد الكلام عن الرشيد، أي قبل هذا

الموضع بسطرين .

(٢) في "مطالع البدور في منازل السرور" (ج ١ ص ١٨٤) أن أول من جعل لندمانه أمانة ينصرفون بها من مجلسه إذا أراد، كسرى. وهو أن يمدّ رجله، فيعرفون أنه يريد قيامهم، فينصرفون. وتبعه الملوك. فكان فيروز الأصغر يدلك عينيه، وكان بهرام يرفع رأسه إلى السماء. وكان في ملوك الإسلام معاوية يقول: العزة لله!، وعبد الملك يلقي المروحة من يده. وحُدِّث بهذا الحديث عند بعض البخلاء، وسُئل ما أمارته، فقال:

إذا قلت "يا غلام، هات الطعام!"، وأنظر أيضاً "محاضرات الراغب" (ج ١ ص ١٢١)

أثبتت في نظام الملك وأؤكد في عزّ المملكة. وكان متى أراد هذا شيئاً، أراد الآخر خلافه. فإذا تباينا في ذات أنفسهما، اجتمعا على نصيحة الملك، شاء أم أبى. وآثرها كل واحد منهما على هوى نفسه، وانتظم للملك تديره وتم له أمره^(١).

ومن الملوك من لا يقصد إلى هذا ولا يكون غرضه الإغراء بين وزرائه وبطانته لهذه العلة، بل ليعرف معايب كل واحد منهما. فإن معرفة ذلك تقطع الوزير عن الانبساط في حوائجه والتسحب على ملكه.



آداب السفير

ومن الحق على الملك أن يكون رسوله صحيح الفطرة والمزاج، ذا بيان وعبارة، بصيراً بخارج الكلام وأجوبته، مؤدياً لألفاظ الملك ومعانيها، صدوقاً للهجة، لا يميل إلى طمع ولا طبع^(٢)، حافظاً لما حمل.

وعلى الملك أن يمتحن رسوله منحة طويلة، قبل أن يجعله رسولا.

(١) كان السفاح، إذا تعادى رجلان من أصحابه وبطانته، لم يسمع من أحدهما في الآخر شيئاً ولم يقبله، وإن كان القائل عنده عدل في شهادته. وإذا أصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه. ويقول إن الضغينة القديمة تولد العداوة المحضة وتحمل على إظهار المسالمة وتحبها الأفعى التي إذا استمكنت لم تبت. (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٦)

(٢) الطبع: الشين والغيب. ومنه الحديث: "استعيذوا بالله من طبع يهدي إلى طمع". أخذه عروة بن أذينة شاعر قریش فقال:

لا خير في طبع يهدي إلى الطبع * وغفّة من قوام العيش تكفيني.

(عن تاج العروس)

والغفّة البغّة من العيش.

سنة ملوك العجم
في اختبار السفير

وكانت ملوك الأعاجم - إذا آثرت أن تختار من رعيتهما من يجعله رسولا إلى بعض ملوك الأمم - تمنحه أولا، بأن توجهه رسولا إلى بعض خاصة الملك ومن في قرار داره في رسائلها. ثم تقدم عينا عليه يحضر رسالته ويكتب كلامه، فإذا رجع الرسول بالرسالة، جاء العين بما كتب من ألفاظه وأجوبته. فقابل بها الملك ألفاظ الرسول. فإن اتفقت أو اتفقت معانيها، عرف الملك صحة عقله وصدق لهجته. ثم جعله الملك رسولا إلى عدوه، وجعل عليه عينا يحفظ ألفاظه ويكتبها، ثم يرفعها إلى الملك. فإن اتفق كلام الرسول وكلام عين الملك وعلم أن رسوله قد صدقه عن عدوه ولم يتريده عليه للعداوة بينهما، جعله رسوله إلى ملوك الأمم، ووثق به. ثم كان بعد ذلك يقيم خبره مقام الحجّة.

١٠٢

كلمة أردشير
في حق السفير

وكان أردشير بن بابك يقول: "كم من دم قد سفكه الرسول بغير حيلة! وكم من جيوش قد قُتلت وعساكر قد هُزمت وحرمة قد انتهكت ومال قد أُنهب وعهد قد نقض بخيانة الرسول وأكاذيبه!"

كلمة ثانية له

وكان يقول: عليّ الملك، إذا وجه رسولا إلى ملك آخر، أن يردفه بآخر. وإن وجه رسولين، أتبعهما بأثنين. وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقة ولا يتعارفان فيتواطأ، [فَلْ]. ثم عليه، إن أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر، أن لا يحدث في ذلك خيرا أو شرا، حتى يكتب إليه مع رسول آخر يحكي له ما في كتابه الأول حرفا وحرفا، ومعنى معنى. فإن الرسول ربما حرم بعض ما أمل،^(١) فافعل الكتب وحرّض المرسل على المرسل إليه، فأغراه به وكذب عليه.

(١) أورد القافشدني هذه الجملة في الجزء الأول (ص ٧٣) من "صبح الانعش" ببعض تصرف

في الألفاظ. وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٨٩). وكذلك صاحب "الحاسن

والمساوي" (ص ١٦٨ - ١٦٩).

ما فعله الإسكندر
بسفير كذب عابه

ويقال إن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق . فجاءه برسالة شك
في حرف منها . فقال له الإسكندر : ويلك ! إن الملوك لا تخلو من مقوم ومسدد ،
إذا مالت . وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة ، غير أن فيها حرفاً
ينقضها . أفعلني يقين أنت من هذا الحرف أم شك فيه ؟ فقال الرسول : بل على
يقين أنه قاله . فأمر الإسكندر أن تكتب ألفاظه حرفاً وحرفاً ويُعاد إلى الملك مع رسول
آخر ، فيقرأ عليه ويترجم له . فلما قرئ الكتاب على الملك فتر بذلك الحرف ، أنكره .
فقال للترجم : ضع يدي على هذا الحرف . فوضعها . فأمر أن يقطع ذلك الحرف
بسكينته ^(١) ، فقطع من الكتاب . وكتب إلى الإسكندر : إن رأس الملكة ^(٢) صخرة فطرة
الملك ، ورأس الملك صدق لهجة رسوله ، إذ كان عن لسانه ينطق ^(٣) وإلى أذنه يودى .
وقد قطعت بسكينتي ما لم يكن من كلامي ، إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلاً .
فلما جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر ، دعا الرسول الأول ، فقال : ما حملك على كلمة
أردت بها فساد ملكين ؟ فأقر الرسول أن ذلك كان لتقصير رآه من الوجه إليه .
فقال الإسكندر : فأراك لنفسك سميت ، لالنا ! فلما فاتك بعض ما أملت ، جعلت
ذلك ثاراً في الأنفس الخطيرة الرفيعة ! فأمر بلسانه فترع من ففاه .



(١) المدينة يسميها العرب سكيناً وسكينة . والاسم الأول أشهر وأكثر شيوعاً ، والسكين يذكر ويؤتى ؛ وقال
بعضهم إن السكينة خطأ ، وليس كذلك . فقد جاء في شرح الفصح أنها لغة قوم من بني سبيعة ، وأوردها الفراء وآبن
سيده . قال الشاعر :
سكينة من طبع سيف عمرو * نصأها من قرب تيس برى .
وفي الحديث : قال الملك لما شق بطنه : إئتني بالسكينة (أنظر "تاج العروس" في س ك ن ، "وشفاء الغليل"
صفحة ١٢٣) . وقد استعمل الجاحظ كلا من اللفظين أحدهما هنا والثاني في صفحة ١٠٠ من هذا الكتاب .
(٢) سم : أس .
(٣) أنظر الحاشية ١ من الصفحة السابقة . وقد أورد هذه الحكاية صاحب "مخاسن الملوك" (ص ٦١)

وآستعمل ألفاظ الجاحظ بنفسها .



ومن أخلاق الملك أن لا يكون لنامه في ليل ولا نهار موضع يُعرف به، ولا حوايٍ يقصد إليه. إذ كانت أنفُسُ الملوك هي المطلوب غرَّتْها، والموَكَّل بِرعاية سِتْنِها وساعة غفلتها. ^(١) ويقال إن ملوك آل ساسان لم يُعرف مبيت أحد منهم قط ولا مقيله.

إحباط الملك
في نامه ومقبله

فأما أردشير بن بابك وسابور وبهرام ويزدجرد وكسرى أبريز وكسرى أنوشروان، فكان يفرش للملك منهم أربعون فراشا ^(٢) [في أربعين موضعا]. ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيدٍ على الأفراد لا يشكُّ أنه فراش الملك خاصة ^(٣) [وأنه نائم فيه]. ولعله أن لا يكون على واحد منها. بل لعله ينام على مجلس رقيق. وربما توسد ذراعه، فنام.

سنة ملوك الفرس
في النوم

ولو لم يجب على ملوكنا حفظ منامهم وصيائته عن كل عين تطرف وأذن تسمع إلا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) فعله - وهو من الله بمكانه المخصوص من كَلَاءته ١٠ إياه وحراسة الروح الأمين له - لقد كان يحق عليهم أن يقتدوا به ويمثلوا فعله. وقد كان المشركون هموا بقتله، فأخبره جبريل (صلى الله عليهما) عن الله (جل ثناؤه) بذلك، فدعا على بن أبي طالب (عليه السلام) فأنامه على فراشه، ونام هو (صلى الله عليه وسلم) بمكان آخر. فلما جاء المشركون إلى فراشه، فنهض منه على، أنصرفوا عنه.

السنة النبوية
في النوم



(١) في صه، سم: "حوى" [وأخترت الحواي لأنه من اصطلاحات الفلسفة بمعنى الخيز]

(٢) صه: عزتها.

(٣) ضبطه في سم: "ستنها" وهو سبق قلم.

(٤) الزيادة عن "محاسن الملوك".

(٥) سم: إلا ومن وزائه من بعيد على الأفراد فراش لا يشك الخ.

ففي هذا أكبر الأدلة وأوضح الحجّة على ما ذكرنا. إذ كانت أنفُسُ الملوك هي الأنفُسُ
الخطيرة الرفيعة التي توزن بنفوس كل من أطلّت الخضراء وأقلّت الغبراء.^(١)
^(٢)

وكانت الأعاجم تقول: لا ينبغي للملك أن يطّلع على موضع منامه إلا الوالدان
فقط، فأما من دونهما، فالوحشة منه وترك الثقة به أبلغ في باب الحزم، وأؤكد
في سياسة الملك، وأوجب في الشريعة، وأوقع في الهويّنا.^(٣)
^(٤)
^(٥)



ومن حق الملك أن يعامله أبنه كما يعامله عبده، وأن لا يدخل مداخله إلا
عن إذنه، وأن يكون الحجاب عليه أغلظ منه على من هو دونه من بطانة الملك
وخدمه، لئلا تتجلى الذلّة على غير ميزان الحق.^(٦)

فإنه يُقال إن يزيد جرد رأى بهرام أبنه بموضع لم يكن له، فقال: مررت بالحاجب؟
قال: نعم. قال: وعلم بدخولك؟ قال: نعم. قال: فأخرج إليه وأضربه ثلاثين سوطاً،
ونحوه عن السّتر، ووكل بالحجابة أراد مرده. ففعل ذلك بهرام وهو إذ ذاك ابن ثلاث
عشرة. ولم يعلم الحاجب فيم غضب الملك عليه. فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل،


(١) السماء.

(٢) الأرض.

(٣) نقل هذه الأحكام صاحب "محاسن الملوك" باختصار مع استعمال ألفاظ الجاحظ (ص ٩٣)

(٤) سمه: وأرفع.

(٥) التّودة والرفق.

(٦) صم: مراد.

(٧) لم أعثر على شيء يتعلق بهذا الجاحظ، ولم أجده هذه الحكاية في غير الجاحظ. وفي "محاسن الملوك"

سماه "فلانا".

دفع أرادَ مَرْدُ في صدره دَفْعَةً وَقَدْهُ منها، وقال: إن رأيتك بهذا الموضع ثانية، ضربتُك ستين سوطاً، ثلاثين منها لجنايتك على الحاجب بالأمس، وثلاثين لثلاث تَطْمَع في الجناية على^(٢). فبلغ ذلك يَزْدَجِدْ، فدعا أرادَ مَرْدَ، فخلع عليه وأحسن إليه.

ويقال إن يزيد بن معاوية كان بينه وبين أبيه باب. فكان إذا أراد الدخول عليه قال: يا جارية! أنظري هل تحرك أمير المؤمنين؟ فجاءت الجارية [مرة] حتى فتحت الباب. فإذا معاوية قاعد، وفي حجره مصحف، وبين يديه جارية تصفح عليه. فأخبرت يزيد بذلك. فجاء يزيد فدخل على معاوية. فقال له: أي بُني! إني إنما جعلتُ بني وبنيك باباً، كما بنى وبين العاقمة. فهل ترى أحداً يدخل من الباب إلا بإذن؟ قال: لا. قال: فكذلك فليكن بابك! فإذا قُرِعَ عليك فهو إذنك.

ما فعله معاوية مع
أبيه يزيد

وهكذا ذكرنا أن موسى الهادي دخل على أمير المؤمنين المهدي فزبره^(٤) وقال:
يَا بَاكَ أَنْ تَعُودَ إِلَى مِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يُفْتَحَ بِأَبْكَ!

ما فعله المهدي مع
أبيه الهادي

وذكر لنا أن المأمون لما استعربه الوجع، سأل بعض بني الحاجب أن يدخله عليه ليراه. فقال: لا والله! ما إلى ذلك سبيل، ولكن إن شئت أن تراه من

ما فعله الحاجب
بولد المأمون

١٠٧

(١) أي أوجعته وآلمته كثيراً. والوقد شدة الضرب. وفي "محاسن الملوك": فدعه دفعة أوقعه بها

(٢) في "محاسن الملوك": وثلاثين على استمرار جنايتك.

(٣) روى هذه الحكاية بتلخيص خفيف صاحب "محاسن الملوك" (ص ٨٦ - ٨٧)

(٤) إتهره.

(٥) نقلها في "محاسن الملوك" (ص ٨٧).

(٦) أي أشد عليه، تشبيهاً باستعمار النار. وفي ص: استغرقه. [ولعل صواب الرواية: استمر]

وفي "المحاسن والمساوي": اشتد.

حيث لا يراك، فأطَّلِعَ عليه من تُقُبِّ في ذلك الباب. فجاء حتى أطلَّعَ عليه وتأمَّلَهُ ثم أنصرف.

وذكر لنا أن إيتاخ بَصَرَ بالوائق في حياة المعتصم واقفاً في موضع لم يكن له أن يقف فيه، فزَّبره وقال: تَنَحَّ! فوالله لولا أني لم أتقدَّم إليك في ذلك، لضربتُكَ مائة عَصاً. وليس لأبن الملك من الملك إلا ما لعبده من الاستكانة والخضوع والخشوع، ولا له أن يُظهر دالَّةَ الأبوةِ وموضعِ الوراثة. فإن هذا إنما يجوز في التَّمَطِّ الأوسط من الناس ثم الذين يُلَوْنُهُمْ. فأما الملوك فترقى عن كلِّ شيءٍ يُمَتُّ به. وليس لأبن الملك أن يسفك دمًا، وإن أوجبت الشريعة سفكه وجاءت المِلةُ

(١) قد يرد هذا الاسم بتقديم التاء على الياء (إيتاخ) كما في سـه وكا في بعض نسخ "كتاب الفهرست". ولكن الصواب تقديم الياء التحتية. ومعناه في اللغة الفارسية الغازي والفاضل، كما في "برهان قاطع". كان أصل هذا الرجل طبَّاخًا ثم ترقَّى به الأحوال إلى أن صار مقدِّم الجيوش وكبير الدولة وصاحب مصر في أيام المعتصم. ولذلك قال بابك إن المعتصم لم يبق لديه أحدًا إلا وجهه به إليه، حتى طبَّاخه. وبعث بذلك المعنى إلى ملك الروم، يُغريه بالخليفة حينًا ضايقه وأخذ بخناقه، وكتب له: "فإن أردت الخروج إليه، فليس في وجهك أحد يمنعك". وقد تولَّى إيتاخ أمر البين والكوفة والحجاز وتهامة ومكة والمدينة ودُعي له على المنابر. وأتته أمره بأن خافه المتوكل وأعمل الحيلة في القبض عليه وإماتته عطشا. وأخذ له من الذهب ألف ألف دينار. كانت وفاته سنة ٢٣٤. (أنظر "النجوم الزاهرة" وأبن الأثير في فهرسهما، و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٥٠٠)

(٢) سـه: أني أتقدَّم.

(٣) الآداب والحكايات الواردة في هذه الصفحة وفي التي قبلها. بقوله بالحرف الواحد وبهذا الترتيب. في "الحاسن والمساوي" (ص ١٧٠ - ١٧٢).

(٤) صـه: الجنوح.

(٥) في سـه: "تمت". وأملتُ هو التوسُّل والتوصل بقراءة أو حرمة أو دالَّة أو نحو ذلك. وفي صـه: فترق عن كل شيء يُمَتُّ إليه.

به ، إلا عن إذن الملك ورأيه . لأنه - متى تفرد بذلك - كان هو الحاكم دون الملك .
وفي هذا وهن على الملك وضعف في المملكة .^(١)

وكذلك أيضا ليس له أن يحكم في الحلال والحرام والفروج والأحكام ، وإن كان
ولى عهد الملك والمقلد إرث أبيه والمحكوم له بالطاعة ، إلا عن أمره ورأيه .

وليس له - إذا جمعته والملك دار واحدة^(٢) - أن يأكل إلا بأكل الملك ولا [أن]
يشرب إلا بشربه ولا [أن] ينام إلا بمنامه .

وكذا يجب عليه في كل شئ من أموره الساسة والضارة أن يكون له تابعا وحركته
تاليا .

وليس هذا على [من] دون ابن الملك من بطانته وسائر عيته . لأن ابن الملك عضو
من أعضائه وجزء من أجزائه ، والملك أصل والأبن فرع ، والفرع تابع للأصل ؛
والأصل مستغن عن الفرع .

وليس لابن الملك أن يرضى عن سخط عليه الملك ، وإن كان المسخوط عليه
لاذنب له عنده . لأن من العدل والحق عليه أن يوالى من والى الملك ، ويعادى
من عاداه . ولا ينظر في هذا إلى حظ نفسه وإرادة طبعه ، حتى يبلغ من حق الملك
ما إن وجد إلى غيلته سبيلا أن يقتله^(٣) . وعلى هذا ينبغي أن يكون نظام العامة لملكها .

(١) ص : وضعة .

(٢) الواو هنا و او المعية .

(٣) الضمير هنا يعود على المسخوط عليه . وفي ص : حيلته .



وقد تحدث في أخلاق الملك مَلَالَةً لَشَهْوَةِ الْأَسْتِبْدَالِ ^(١) فقط. فليس لصاحب الملك، إذا أحدث الملكُ خُلُقًا، أن يعارضه بمثله، ولا إذا رأى نبوةً وأزورارةً، أن يُحدث مثله. فإنه متى فعل ذلك فَسَدَتْ نِيَّتُهُ. ومن فَسَدَتْ نِيَّتُهُ، عادت طاعته معصيةً وولايته عداوةً. ومن عادى الملك، فنفسه عادى وإياها أهان.



ولكن عليه، إذا أحدث الملك الخلق الذي عليه بُنْيَةُ أَكْثَرِ الْمُلُوكِ، أن يَحْتَالَ في صرف قلبه إليه. والحيلة في ذلك يسيرة: إنما هو أن يطلب خَلْوَتَهُ فيُلْهِيه بِمَادَرَةٍ مُضْحِكَةٍ أو ضَرْبِ مَثَلٍ نَادِرٍ أو خَبِيرٍ كان عنه مُغْطًى، فيكشفه له.

كما فعل بعض سُمَّارِ مُلُوكِ الْأَعَاجِمِ. أظهر الملك له جَفَوَةَ الْمَلَالَةِ فقط، فلما رأى ذلك، تَعَلَّمَ نُبَاحَ الْكِلَابِ وَعَوَاءَ الذَّنَابِ وَنَهيقَ الْحَمِيرِ وَصِيَاخَ الدِّيُوكِ وَتَجَمُّعَ الْبَغَالِ وَصَهِيلَ الْخَيْلِ. ثم آحْتَالَ حَتَّى دَخَلَ مَوْضِعًا يَقْرُبُ مِنْ مَجْلِسِ الْمَلِكِ وَفَرَّاشِهِ يُخْفِي أَمْرَهُ. فَنَبَّاحَ الْكِلَابِ، فَلَمْ يَشْكُ الْمَلِكُ أَنَّهُ كَلْبٌ وَأَبْنُ كَلْبٍ، فَقَالَ: أَنْظِرُوا مَا هَذَا! فَعَوَى عَوَاءَ الذَّنَابِ، فَتَزَلَّ الْمَلِكُ عَنْ سَرِيرِهِ. فَنَهَقَ نَهيقَ الْحَمَارِ، وَمَرَّ الْمَلِكُ هَارِبًا. وَجَاءَ غُلَامَانِهِ يَتَّبِعُونَ الصَّوْتَ. فَكَلَمَا دَنَوْا مِنْهُ، أَحْدَثَ مَعْنَى آخَرَ، فَأَجْجَمُوا عَنْهُ. ثُمَّ أَجْتَمَعُوا فَأَقْتَحَمُوا عَلَيْهِ، فَأَخْرَجُوهُ وَهُوَ عُرْيَانٌ مُخْتَبِئٌ. فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ، قَالُوا لِلْمَلِكِ

(١) سه: الاستبدال.

(٢) في المسعودي طبع باريس: "رقاء"، وفي طبعة بولاق: "زقا"، وهذا هو الصواب، ومعناه صياح الديك. (أنظر القاموس وشرحه)

(٣) في المسعودي: "وأخفى أمره" ولعل الأقرب للصواب "وأخفى أمره". وفي صه: من مجلس الملك وموضع مقامه.

هذا ما زيار المضحك! فضحك الملك حتى تبسط وقال: ويلك! ما حملك على هذا؟^(٢)
قال: إن الله مسخني كلبا وذئبا وحمارا، لما غضب على الملك. فأمر أن يُجْلَعَ عليه
وَيُرَدَّ إلى موضعه.^(٣)



وهذا لا يفعله إلا أهل الطبقة السفلى. فأما الأشراف، فلهم حيل غير هذه،
مما يُشبه أقدارهم.

* كما فعل رَوْح بن زنباع، وكان أحد دُهاة العرب. رأى من عبد الملك بن مروان
نبوة وإعراضا. فقال للوليد: ألا ترى ما أنا فيه من إعراض أمير المؤمنين عني
بوجهه، حتى لقد فغرت السباع أفواهاها نحوى، وأهوت بخالبها إلى وجهي؟ فقال له
الوليد: احتل في حديث يضحكه! فقال رَوْح: إذا أطأنا بنا المجلس، فسألني عن
عبد الله بن عمر، هل كان يمزح أو يسمع مزاحا؟ فقال الوليد: أفعل.

وتقدم فسبقه بالدخول وتبعه رَوْح. فلما أطأنا بهم المجلس، قال الوليد لروح:
هل كان ابن عمر يسمع المزاح؟ قال: حدثني ابن أبي عتيق أن أمراءه عاتكة بنت
عبد الرحمن هجته، فقالت:

(١) سماء في المسعودي: "مرزبان" وكره.

(٢) صه: ويحك.

(٣) نقل المسعودي هذه الحكاية. (مروج الذهب ج ٥ ص ٢٨٣)

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب. وورعه وتقواه أشهر من نار على علم. (وترجمته في "الطبقات
الكبرى" لابن سعد. وفي "أسد الغابة" وغيرهما من الكتب الكثيرة الخاصة بالصحابة)

(٥) هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي لحافة. كان من نساء قريش وظرفاتهم
بل قد بذم ظرفا. وله أخبار كثيرة. في الخلاعة بغير رث وفي الجوث بغير فسوق. وقد غلبت عليه
الدعابة واشتهر بها. (أنظر "العقد الفريد" ج ٣ ص ٢٣٨؛ وراجع "كامل" المبرد و"الأغانى"
و"الكامل" لابن الأثير - بمقتضى فهرسها)

ذهب الإله بما تعيش به * وقرت ليلك أيما قر.

أنفقت مالك غير محتشم * في كل زانية وفي الخمر.

قال : وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة ، فأخذ هذين البيتين - وهما في رقعة - فخرج بهما . فإذا هو بعبد الله بن عمر ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ! أنظر في هذه الرقعة ، وأشر على برأيك فيها . فلما قرأها ، أسترجع عبد الله . فقال : ماترى فيمن هجاني بهذا ؟ قال عبد الله : أرى أن تغفوا وتصفح ! قال ، والله يا أبا عبد الرحمن ، لئن لقيت قائلها لأنيلنه نيلاً جيداً ^(١) ! فأخذ ابن عمر أفكلاً ^(٢) ، وأربد لونه وقال : ويلك ! أما تستحي أن تعصى الله ؟ قال : هو والله ما قلت لك .

وأتقرا . فلما كان بعد ذلك بأيام ، لقيه . فأعرض ابن عمر بوجهه ، فقال : بالقبر ومن فيه ، إلا ما سمعت كلامي ! فتحوب عبد الله ، فوقف وأعرض عنه بوجهه . فقال : علمت يا أبا عبد الرحمن أني لقيت قائل ذلك الشعر فنتته ؟ فصعق ابن عمر ولبط به . فلما رأى ما حل به ، دنا من أذنه فقال : إنها امرأتى ! فقام ابن عمر فقبل ما بين عينيه . فضحك عبد الملك حتى خض برجله وقال : قاتلك الله ياروح ! ما أطيب حديثك ! ومد إليه يديه فقام روح فأكب عليه وقبل أطرافه وقال : يا أمير المؤمنين ، الذنب فاعتذر

(١) أنظر الحاشية ٢ ص ٧٩ من هذا الكتاب .

(٢) الأفكل الرعدة . وفي المسعودي : " أفكلاً ورعدة " ، من باب عطف التفسير .

(٣) أقسم عليه بالروضة الشريفة وبالمدفون فيها وهو النبي صلى الله عليه وسلم . فتحوب أى وجد في عدم

الوقوف إثمًا ، فوقف ولكن معرضاً عنه بوجهه .

(١) أم لملالة فأرجو عاقبتها. قال: لا والله! ماذا من شئ نكرهه. ثم عادله أحسن حالاً*
ونحو هذا يحكى عن جرير بن الحطفي^(٢)، حين دخل على عبد الملك، وقد أوفده
إليه الحجاج بن يوسف. فدخل محمد بن الحجاج وقال لجرير: كن في آخر من يدخل.
فلما دخل جرير، قال محمد: يا أمير المؤمنين هذا جرير بن الحطفي، مادحك وشاعرك!
قال: بل مادح الحجاج وشاعره. قال جرير: فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن
لى فى إنشاد مديحه؟ قال هاتِ بالحجاج! قال: فقلت: بل بك يا أمير المؤمنين! قال:
هاتِ فى الحجاج! فأنشدته قولى فى الحجاج:

صَبَرَتَ النَّفْسَ يَا بْنَ أَبِي عَقِيلٍ * مُحَافَظَةً، فَكَيْفَ تَرَى الثَّوَابَ؟
ولو لم تُرِضْ رَبَّكَ، لم يُنَزَّلْ * مع النصارى الملائكة الغضابا.
إذا سَمِعَ الخليفةُ نارَ حَرْبٍ، * رَأَى الحجاجَ أَتَقَبَّها شَهَابًا.

فقال: صدقت، هو كذلك! ثم قال للأخطل^(٣)، وهو خلفى وأنا لا أراه: قم فهات

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * منقولة عن ص. وقد نقل صاحب "محاسن الملوك"
هذه الحكاية بالحرف الواحد تقريباً (ص ٧٦ - ٧٧). أما المسعودى فقد أوردتها بالفاظ أخرى وزيادة
ونقص فى المعنى (ج ٥ ص ٢٨٤ - ٢٨٦)، وكذلك النويرى فى "نهاية الأرب فى فنون الأدب"
(فى الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثانى فى المجون والنوادر والفكاهات والمُلح). ولكن عبارتهم
كلهم فيها خالية من حسن الديباجة وجمال الترتيب الذى تراه فى عبارة الجاحظ.

(٢) سماه فى "الصحيح" الخيطفى. واللفظان معناهما واحد، وهو السريع. وهما مأخوذان من الخطف وهو
الاستلاب. وهو لقب جدّه، لبيت قاله فى شعره. ولكن الأسم المخفف الذى أستعمله الجاحظ هو الأكثر
شيوعاً، وقد ورد فى شعر الأخطل. (أنظر "تاج العروس"، "كتاب الاشتقاق" لأبن دُرَيْد (ص ١٤١)،
"ديوان الأخطل" الذى نشره الأب الفاضل أنطون صالحانى (ص ٢٢٤)؛ وغيرها من دواوين الأدب).

(٣) سبب تسمية الأخطل أن اثنين تحاكما إليه فأقسم أنهما لثيان، هما وأمهما وهو نفسه أيضاً. فقبل له إن هذا
نخطل من قولك. فسمى الأخطل. (أمالى القالى ج ٢ ص ٢٣٤)



مديحنا! فقام فأنشده فأجاد وأبلغ. فقال: أنت شاعرنا وأنت مادحنا. قُمْ فَارْكَبْهُ! قال: ^(١) فالتقى النصراني ثوبه، وقال: جَبَّ! ^(٢) يَا بَنَ الْمَرَاغَةِ. قال: وساء ذلك من حضر من المضرية، وقالوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَرْكَبُ الْحَنِيفُ الْمُسْلِمَ، وَلَا يُظْهَرُ عَلَيْهِ. فَاسْتَحْيَا عَبْدُ الْمَلِكِ، وَقَالَ: دَعُهُ! قال: فَأَنْصَرَفْتُ أَنْزَى خَلْقَ اللَّهِ حَالًا، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ إِعْرَاضِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِّي، وَإِقْبَالِهِ عَلَيَّ عَدُوِّي. حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّوَاكِ لِلْوَدَاعِ، دَخَلْتُ لِأَوْدَعِهِ، فَكُنْتُ آخِرَ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَّاجِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا جَرِيرٌ، وَلَهُ مَدِيحٌ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: لَا، هَذَا شَاعِرُ الْحَجَّاجِ! قُلْتُ: وَشَاعِرُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! قَالَ: لَا. فَلَمَّا رَأَيْتُ سُوءَ رَأْيِهِ، أَنْشَأْتُ أَقُولُ:

أَتَصْحُو أَمْ فَوَادُكَ غَيْرَ صَاحٍ؟ ...

فقال: ذاك فَوَادُكَ!

ثم أنشدته حتى بلغت البيت الذي سره، وهو قولي:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا * وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ؟

فأستوى جالساً، وكان مُتَكَبِّئاً، فقال: بلى نحن كذلك، أعِدْ! فأعدت. فأسقر لونه

(١) أمره بوضع يديه على ركبته أو على الأرض لينمکن من ركوبه. و"جَبَّ" فعل أمر من التجية بمعنى الانحناء. قال في "لسان العرب" في مادة ج ب ي مانصه: وجب الرجل وضع يديه على ركبته في الصلاة أو على الأرض. "وهو أيضاً أنكباه على وجهه". والعامة في مصر تقول الآن في مثل هذا المقام: "طاطى البصلة" ويعنون بالبصلة الرأس. وذلك في حال ما يريد أحدهم ركوب الآخر.

(٢) هذا هو أسم أم جرير. وقيل إن الفرزدق والأخطل سبها كذلك في هجاء كل منهما له. وقيل إن ذلك تعبير له ببني كليب لأنهم أصحاب حمير. ووفود جرير على عبد الملك المذكور في كثير من كتب الأدب مثل "الأنغاني" و"العقد الفريد" (ج ١ ص ١٥١). ولكن رواية الجاحظ هي أوفى وأحسن ما رأيت.



وذهب ما كان في قلبه، ثم ألقت إلى محمد [بن الحجاج] فقال: ترى أم حزة ترويهما مائة من الإبل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! إن كانت من فرائض كلب فلم تروها، فلا أرواها الله! قال: فأمر لي بمائة فريضة. ومددت يدي - وبين يديه صحائف أربع من فضة قد أهديت إليه - فقلت: المحلب، يا أمير المؤمنين! فأخذت منها واحدة. فقال: خذها، لا بورك لك فيها! قلت: كل ما أخذت من أمير المؤمنين مبارك لي فيه. (٤)

* وهكذا فعل بالأمس عبد الملك بن مهلهل الهمداني، وكان سليمان بن أبي جعفر (٥) قد جفاه. فأتاه يوما في قائم الظهيرة، والهجرة تقد (٦) فاستأذن، فقال له الحاجب: ليس هذا بوقت إذن على الأمير. فقال له: أعلمه بمكاني. فدخل عليه فأعلمه، فقال له: مره يسلم قائما ويخفف! فخرج الحاجب فأذن له وأمره بالتخفيف. فدخل فسلم قائما ثم قال: أصلح الله الأمير! إني آنصرفت بالأمس نحو منزلي، و [قد] (٧)

(١) حزة هي بنت جرير. وكان يكتن بها. قال في "تاج العروس" ما نصه: "وأبو حزة كنية سيدنا جرير رضي الله عنه". ولا أدري لماذا لقبه بالسيادة ثم رضى عنه (٢؟) ويظهر أنه فهم أنها كنية جرير بن عبد الله البجلي الصحابي، وليس كذلك.

(٢) ص: كلاب.

(٣) ص: رواها.

(٤) روى صاحب "الأغانى" هذه القصة باختلاف فيه زيادة وفيه نقص (جز ٧ ص ٦٦ و ٦٧). وأظن القصة بعينها مروية بتفاصيل وافية في "ذيل أمالي القالي" (ص ٤٣ - ٤٦) ورواها باختصار ألفاظ الجاحظ في "المحاسن والمساوى" (ص ٢٣٠ - ٢٣١).

(٥) ص: عبد الملك بن هلال الهامى. وقد صححت حسبا في المسعودى طبع باريس وبولاق

(٦) هوسليان بن أبي جعفر المنصور، وكان من قواد موسى الهادى. (مروج الذهب ج ٦ ص ٢٦٦)

(٧) أى كانت شدة الحر تنقذ. وفي مروج الذهب: وأحتداهم الهجير.

(٨) ص: "أعلمه موضعى". وقد آخرت رواية المسعودى.

أَمْسَيْتُ. فَبَيْنَا أَنَا فِي الطَّرِيقِ، إِذَا بِمُؤَذِّنٍ قَدْ تَوَبَّ بِصَلَاةِ الْمَغْرَبِ عَلَى مَسْجِدٍ مَعْلُوقٍ.^(٢)
 فَصَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ... قَالَ سَلِيمَانُ: فَبَلَغْتَ السَّمَاءَ، فَكَانَ مَاذَا؟ قَالَ:
 فَتَقَدَّمَ إِنْسَانٌ، إِمَّا كُرَيْيْحِيٌّ وَإِمَّا سُيْدِيٌّ وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ.^(٣) فَأَمَّ الْقَوْمَ فَقَرَأَ بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمْهُ
 [وَلُغَةٍ مَا أَعْرِفُهَا]، فَقَالَ: "وَيْلٌ لِكُلِّ هَرَّةٍ زَمَاءًا مَالًا وَعَدْدَهُ" يَرِيدُ "وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ
 لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدْدَهُ". قَالَ: وَإِذَا خَلْفَهُ رَجُلٌ سَكَرَانُ مَا يَعْقِلُ سُكْرًا، فَلَمَّا سَمِعَ
 قِرَاءَتَهُ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ "إِيرَعَكِي! إِيرَعَكِي! إِيرَعَكِي! إِيرَعَكِي! إِيرَعَكِي! إِيرَعَكِي!
 فِي حَرَمٍ قَارِيكَ!" فَضَحِكَ سَلِيمَانُ ثُمَّ تَمَرَّغَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَقَالَ: أَدُنْ مِنِّي يَا [أَبَا] مُحَمَّدُ،
 فَأَنْتَ أَطِيبُ أُمَّةٍ مُجِدِّ! ثُمَّ دَعَا لَهُ بِخِلْعَةٍ وَقَالَ: "إِزِمِ الْبَابَ وَأَغْدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ."
 وَعَادَ إِلَى أَحْسَنِ حَالَتِهِ عِنْدَهُ *^(٥)

وَهَذِهِ أَخْلَاقُ الْمُلُوكِ لِمَنْ فِهِمَهَا. وَلَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَتَلَوْنَ أَخْلَاقَهُمْ، إِذْ كُنَّا نَرَى
 أَخْلَاقَ الْقَرِينِ الْمَسَاوِي وَالشَّرِيكِ وَالْإِلْفِ تَتَلَوْنَ وَلَا تَسْتَوِي، وَلَعَلَّهُ يَجِدُ عَنِ الْفَقْهِ

(١ - ٢) ثَوْبٌ: دَعَا إِلَى الصَّلَاةِ. [وَفِي الْمَسْعُودِيِّ طَبْعُ بَارِيسَ وَبُولَاقُ:] "فَدَنُوتُ ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى مَسْجِدٍ
 مَعْلُوقٍ". وَظَاهِرٌ أَنَّ رَوَايَةَ صَ أَوْقَعُ وَأَقْعَدُ وَأَتَمُّ |.

(٣) فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبْعُ بَارِيسَ "إِمَّا كَرْدِي وَإِمَّا طُمَطَانِيٌّ" وَفِي طَبْعِ بُولَاقُ: "إِمَّا كَرْدِي أَوْ طُمَطَانِيٌّ"

(٤) أَظْهَرَ الرُّوَايَاتِ الْآخَرَى فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبْعُ بَارِيسَ وَبُولَاقُ. وَكُلُّهَا مُحَرَّرَةٌ مِنَ النَّسَاحِينَ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ

وَقَدْ نَبَهَ عَلَى ذَلِكَ مُتَرَجِّمُ الْمَسْعُودِيِّ. [وَأَنْظُرْ حَاشِيَةَ ٤ صَفْحَةَ ٧٥ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ |

(٥) هَذِهِ الْفَقْرَةُ الْمَحْصُورَةُ بَيْنَ نَجْمَتَيْنِ * * مُنْقُولَةٌ عَنْ صَ. وَالْحِكَايَةُ أَوْرَدَهَا الْمَسْعُودِيُّ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ

تَقْرِيْبًا عَنِ الْجَاحِظِ دُونَ أَنْ يَشِيرَ إِلَيْهِ (رَاجِعْ "مَهْرُوجُ الذَّهَبِ" طَبْعُ بَارِيسَ ج ٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٨

وَطَبْعُ بُولَاقُ ج ٢ ص ١٠٣)

(٦) صَ: إِنْ فَهِمْتَهَا.

(١) وقرينه وشكله مندوحة . فكيف بمن ملك الشرق والغرب ، والأسود والأبيض ،
والحر والعبد ، والشريف والوضيع ، والعزيز والذليل ؟



وعلى أنه ربما كانت جفوة الملك أصلح في تأديب صاحب من أتصّاله بالأنس ،
وإن كان ذلك لا يقع بمواقفة المجفوّ . لأن فيها فراغ المجفوّ لنفسه وتخلّصه لأمره^(٢)
ولما كان لا يمكنه الفراغ له من مهمّ أمره . وفيها أيضا أنه إن كان المجفوّ من
أهل السمر وأصحاب الفكاهات ، فبالحرى أن يستفيد بتلك الجفوة علما طريقا محدثا
له بالكتب ودراستها أو بالمشاهدة والملاقة ، وربما كان لا يمكنه قبل ذلك ، وهو
في شغله . ومنها أن جفوة الملك ربما أدبت صاحب الأدب الكبير . وذلك انه
كل من أنفس الملك^(٣) مجلسه وطال معه قعوده وبه أنسه ، تمتلئ الفراغ وطلبت منه
نفسه التخلّص والراحة والخلوّة لإرادة نفسه . كما أنه من كثر فراغه وقلّ أناسه ، جفّى
وأطرح ، وطلب الشغل والأنس وما أشبه ذلك .

فهذه الأخلاق ركبّت الفطر وجبلت النفوس .

فإذا جاءه الفراغ الذي كان يطلبه ويتمناه من الجهة التي لم يقدرها ، طلبت نفسه
الموضع الذي يملّه والشغل الذي كان يهرب منه .

(١) س : الآخر .

(٢) س : وتخلص أمره عليه . ص : وخلص أمره عليه . وقد صحّحت بحسب السياق .

(٣) بمعنى أن الملك يجد مجلسه وجلسه معه نفيسا . وفي س ، ص : "نفس" . [ولامعنى لها . ولذلك

صحّحت المتن بما وصل اليه آجنادى .]

ثمرات
التأديب بالجفوة

١١٣

ومنها أنه كان في عِزٍّ ومَنعةٍ وأمرٍ ونهيٍّ، وكان مرغوباً إليه مرهوباً منه، ثم [لما] حدثت جفوة الملك، أنكر ما كان يعرف، وعصاه من كان له مطيعاً، وجفاه من كان به برّاً.

ومنها أن جفوة الملك تُحدثُ رقةً على العامة ورأفة بهم، وتُحدثُ للجفوة حُسنَ نيّةٍ. ٥

ومنها أن الرضا، إذا كان يعقب الجفوة، وجب على المجفوق شكر الله تعالى على ما ألهمه الملك فيه فتصدق وأعطى وصام وصلى.

فكلُّ شيءٍ من أمر الملك حَسَنٌ في الرضا والسُّخط، والأخذ والمنع، والبذل والإعطاء، والسرّاء والضراء. غير أنه يجب على الحكيم المميز أن يجهّد بكلِّ وسع طاقته أن يكون من الملك بالمتزلة بين المتزلتين. فإنها أحرى المنازل بدوام النعمة، واستقامة الحال، وقلة التنافس ومصارعة أهل الحسد والوشاة. ١٠



وليس من أخلاق المملك أن يُدني من عَظَم قدره وأتسع علمه وطاب مُرُكِّبه، أو ظهرت أمانته أو كُتلت آدابه. ١٥

(١) أي رحمة.

(٢) في سه: "مسارعة". وفي صه: "شاذغة".

(٣) كذا في سه، صه. نعم إن بهية الكلام ربما تنفي النفي، ولكن قوله بعد ذلك إن الملك يحتاج إلى هذه الطبقة ضرورة يدل على أن تقريبهم ليس من طباع الملوك ولكن من حاجتهم إليهم. ويؤكد ذلك ختام كلامه بأن التقريب للقرناء والمحدثين كائناً من كانوا ومن حيث كانوا.

وهذه الصفات هي جلس آخر يحتاج الملك إلى أصحابه ضرورة: لحاجته من
القضاة إلى الفقه والأمانة، وحاجته من الطبيب إلى الحِذْق بالصناعة والرَّكَّانَة^(١)،
وحاجته من الكاتب إلى تحبير الألفاظ ومعرفة مخارج الكلام والإيجاز في الكتب،
وما أشبه ذلك. فاما القُرَّاء والمحدثون وأصحاب الملاهي ومن أشبههم، فكل من دنا
منهم من الملك وعلق به: كائناً من كان ومن حيث كان.

١١٥

وكذا وجدنا في كتب الأعاجم وملوكها.

وفيما يذكر عن أنوشروان أنه قال: "صاحبك من علق بثوبك."

كلمة أنوشروان،
وأمثلة كليلية
ودمنة

وكذا وجدنا في أمثال "كَلِيلَة وَدِمْنَة" أن الملك "مِثْل الْكَرَمِ الذِي لَا يَتَعَلَّقُ بِأَكْرَمِ
الشَّجَرِ، إِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِمَا دَنَا مِنْهُ". وقد نجد مصداق ذلك عياناً في كلِّ دهرٍ وأخبارِ
كلِّ زمانٍ.

١٠

(١) الركَّانَة، على ما في "تاج العروس" هي السكون إلى الشيء والأطمئنان به. وربما كانت الأصوب
"الركَّانَة" وهي الظن الذي يكون بمنزلة اليقين.
(٢) ص: فاما الغرباء والمحدثون.

(٣) نقلت هذه العبارة عن أقدم نسخة معروفة لآن من كتاب "كليلية ودمنة" وهي التي طبعها الاب
الفاضل لويس شيخو اليسوعي سنة ١٩٠٥ (صفحة ٥٧) وأصلحت لفظة "بمن" بلفظة "بما". وقد
وردت هذه العبارة في النسخة التي طبعها العلامة البارون دوساسي الفرنسي سنة ١٨١٦ هكذا: "مثل شجر
الكرم الذي لا يعلق إلا بأكرم الشجر" (ص ٨٥). وهي كذلك في النسخة المطبوعة في بولاق عنها
سنة ١٢٨٥هـ. وهذه الرواية مبتورة ومخيفة جداً، ورواية النسخة القديمة متينة ومعقولة، تؤيدها رواية
الجاحظ وإن كان الذي نسخها قد مسخها. فهي في ص: "كالشجرة ليس يتعلق بأكرم الأشجار، ولكن
بالأقرب منها". وفي ص: "كالشجرة ليس يتعلق بأكرم الأشجار، إنما يتعلق بما قرب منها".

٢٠



(١)

ومن أخلاق الملك السخاء والحياء.

سجاء
الملك ورحمته

فهما قرينا كل ملك كان على وجه الأرض. ولو قال قائل إنهما رُكَّبا في الملوك
كتركيب الأعضاء والجوارح، كان له أن يقول. إذ كنا لم نشاهد ولم يبلغنا عن
مضئ من الملوك، ملوك العجم ومن كان قبلهم، وملوك الطوائف وغيرهم، الفحَّة والبخل.
فأما السخاء فلو لم يكن أحد طبائع الملوك، كان يجب أن يكون باكتساب، إن كان
الملك من أهل التمييز. وذلك أنه يُفِيد أكثر مما يُنْفِق. فإذا كانت هذه صفة كل
ملك، فما عليه من اتِّخاذ الصنائع وعمِّ المنِّ والإحسان إلى من نأى عنه أودنا منه
من أوليائه، والرحمة للفقير والمسكين، والعائدة على أهل الحاجة.

وأما الحياء فهو من أجناس الرحمة.



وحقيق للملك (إذ كان الراعي) أن يرحم رعيته، (وإذ كان الإمام) أن يرقَّ على المؤتمِّ
به، (وإذ كان المولى) أن يرحم عبده.

فقد تخطى العامة وكثير من الخاصة في الملوك حتى يُسمَّوهم بغير أسمائهم
ويصفونهم بغير صفاتهم ويحلونهم البخل والإمساك، إذا رأوا الملك على سنن من

(١) ص: الملك الكرم والسخاء. ورواية سه أصح. لان الكلام التالى منقسم إلى موضوع السخاء وإلى
موضوع الحياء. ولذلك أعتمدتها في المتن.

(٢) أفاده واستفاده وتفيده بمعنى واحد. (عن القاموس)

(٣) ص: وتعميم.

(٤) زاد في سه هنا: "للفقير والمسكين والعائدة على أهل الحاجة". وقد سبقت هذه الجملة في الموضوع
المناسب لها في السطر السابق، فلا حاجة لتكرارها.

(٥) ص: الابلخال.

الْقَصْدُ وَعَدْلٌ مِنْ حَدِّ الْإِنْفَاقِ، وَيَعْمَلُونَ عَمَّا أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَهُ (صلى الله عليه وسلم) بقوله عز وجل: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ"، وبمداحه الصالحين من عباده بالقصد في ذات أيديهم، بعلمهم أن أرضى الأحوال عنده مَادْخَلٌ فِي بَابِ الْاِقْتِصَادِ، بقوله: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا".

(١) وقد ذكر بعض من لا يعلم (في كتاب ألفه في البخلاء من الملوك) أن هشام بن عبد الملك بن مروان ومروان بن محمد وأبا جعفر المنصور وغيره، منهم . ولولا أنا

الرد على من وصف المنصور بالبخل

(١) هو غير الكتاب الذي ألفه الجاحظ في البخلاء عامة، وقد طبعه في ليدن سنة ١٩٠٠ المستشرق الهولندي فان فولتن Van Volten، ثم قلده المتأفون على سرقة المطبوعات في مصر. وقد روى الجاحظ فيه (ص ١٦٣) أن هشاماً هذا "دخل حائطاً بستاناً له فيه فاكهة وأشجار وثمار ومعه أصحابه . فجعلوا يأكلون ويدعون بالبركة . فقال هشام : يا غلام ! إقلع هذا ، وأغرس مكانه الزيتون . " فذلك يدل على أنه أراد تحقيق دعوة أصحابه ، لأن الزيتون هو الشجرة المباركة . ويدل أيضاً على بخله ، حتى إذا جاء حائطه مرة أخرى لم يجد أصحابه سبيلاً إلى الإتيان على فاكهته وثمراته . روى صاحب "شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٨١) هذه الحكاية بما يدل على بخل هشام ، وختمها بقول هشام لقيم البستان : " إقلع شجرة وأغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل أحد منه شيئاً " . ولم يذكر الجاحظ شيئاً من هذا القليل عن المنصور في كتابه في البخلاء .

(٢) من الغريب أن صاحب "محاسن الملوك" نقل كثيراً عن الجاحظ بالحرف الواحد أو بالاختصار ولكنه لم يسمه ولم يشر إلى كتابه ، فكان مثله كمثل المسعودي وقر كثير من المؤرخين والمتأدبين . ولكنه حينما جاء إلى ذكر المنصور وتجنّبه ذكر اسم الجاحظ ، فقال في صفحة ١٠٢ مانصه : "قال الجاحظ : ربما وصف الأغنياء المنصور بالبخل ، وليس الأمر كذلك . فإنه لم يسمع عن أحد من الخلفاء والملوك أنه وهب لرجل واحد ألف ألف غيره . وفرق على أهل بيته في ليلة واحدة ألف ألف " . ثم روى القصة الآتية عن زيد مولى عيسى بن نهيك باختصار وختمها بهذه العبارة : "قال الجاحظ : فهل يجوز أن بعد من فعل هذا الفعل بخيلاً ؟"

(١) احتجنا إلى الإخبار عن جهل هذا، لم يكن لذكره معنى ولا للتشغل بالرد عليه. وكيف يكون المنصور ممن دخل في جملة هذا القول، ولا يعلم أن أحدا من خلفاء الإسلام ولا ملوك الأمم وصل بألف ألف لرجل واحد غيره! ولقد فرق على جماعة من أهل بيته عشرة آلاف ألف درهم. ذكر ذلك الهيثم بن عدي والمدائني. وحدثني بعض أصحابنا عن أبيه عن زيد مولى عيسى بن نهيك قال: دعاني المنصور بعد موت مولاي

(١) ص: ولو احتجنا.

(٢) المنصور هو أول خليفة أعطى ألف ألف لكل رجل من عمومته الأربعة (طبرى سلسلة ٣ ص ٤٢١) وما يدخل في مكارم المنصور أن الشعراء دخلوا عليه فأنشدوه من وراء حجاب، فاستحسن أفعال بعضهم، فأمر برفع الحجاب وظهر لهم وأمر لأحدهم بعشرة آلاف دينار وأعطى الباقي ألفين ألفين (ذيل الأمالى للقالي ص ٤١). ودخل عليه رجل من أهل الشام فأعجبه كلامه فقال: يا ربيع لا ينصرف من مقامه إلا بمائة ألف درهم، فحملت معه (ذيل الأمالى للقالي ص ٢٢٨).

ودخل عليه قتي بن حزم فذكر له ما فعله بنو أمية بقومه وأنشده شعرا للأحوص كان سببا في حرمانهم من أموالهم منذ ستين سنة. فأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم كتب إلى عماله برّد ضياع آل حزم عليهم وإعطائهم غلاتها في كل سنة من ضياع بنو أمية، وتقسيم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناضح، ومن مات منهم وفر على ورثته. فأنصرف الفتى بما لم ينصرف به أحد من الناس. (طبرى سلسلة ٣ ص ٤٢١)

(٣) سماه في محاسن الملوك "زيد".

(٤) كان الأمير عثمان بن نهيك على حرس المنصور. فلبس مات سنة ١٤٠ في فتنة الراوندية، استعمل الخليفة أخاه عيسى هذا على حرسه. وكان ذلك بالهاشمية. وهنالك ابن نهيك آخر استعمله المهدي وأمره بضرب بشار بن برد حتى قتله. وأما إبراهيم بن عثمان بن نهيك فقد قتله الرشيد لأنه كان يبيح على قتل جعفر البرمكي =

فقال: يا زيد! قلت: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: كم خلف أبو زيد من المال؟ قلت: ألف دينار أو نحوها. قال: فإين هي؟ قلت: أنفقتها الحرّة في مأتمه. قال: فاستعظم ذلك، وقال: أنفقت في مأتمه ألف دينار! ما أنجب هذا! ثم قال: كم خلف من البنات؟ قلت: ستاً. فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: أغد إلى باب المهدي. فعدوت قليل لي: معك بغال؟ فقلت: لم أومر بإحضار بغل ولا غيره، ولا أدري لم دُعيت. قال: فأعطيت ثمانين ومائة ألف دينار، وأمرت أن أدفع لكل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار. ففعلت. ثم دعاني المنصور فقال: قبضت ما أمرنا به لبنات أبي يزيد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! قال: أغد على بكافئهن حتى أزوجهن

١١٨

= وعلى ما وقع للبرامكة. فكان إذا أخذ منه الشراب، يقول لغلامه: هات سيفي! فيسله ويصيح: واجعفر! ثم يقول: لا أخذت ثارك، ولا قتل قاتلك! فتم عليه أبنة عثمان للفضل بن الربيع فأخبر الرشيد، فكان ذلك سبب قتله. (ابن الأثير ج ٥ ص ٣٨٤ و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٢٣٠ و"النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٥٢٤) وروى صاحب "المحاسن والمساوي" رواية أخرى في وشاية الولد بأبيه للرشيد (ص ٥٩٢). وأما لفظ "نهيك" فهو "مشتق من النهاكة وهي الجراة والإقدام يقال: انتبهك فلان فلانا إذا نال من عرضه وشتمه. ومنه: انتبهك المحارم، ونهكته الحمى إذا أضرت به، وأنتهك عقوبة إذا أوجعه ضرباً". (الأشتقاق لأبن دُرَيْد ص ١٢٨)

(١) هذا اللقب كان يُعطى عادة في أيام الدولة الأموية والعباسية لنساء الأمراء والأشراف والسادات والأكابر. فلما تغلبت الدولة التركية في العراق، وفي مصر خصوصاً، صار لقب نساء الملوك "خونده" "خاتون"، "آدر (جم دار)" وهذا اللقب الأخير كان خاصاً بمصر في زمان المساليك. وفي عصرنا هذا نقول: "حرم"، "و"هانم" وهما لقبان يطلقان على نساء الأكابر. (أنظر ص ١٢١ من كتاب "زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك" المطبوع في باريس)

منهم. قال: فغدوت عليه بثلاثة من ولد العكي^(١) وثلاثة من آل نهيك من بني عمن^(٢).
فزوج كل واحدة منهم على ثلاثين ألف درهم، وأمر أن يجعل صدقهن من ماله.
وأمرني أن أشتري بما أمرهن ضياعاً يكون معاشهن منها.

فهل سمع هذا الجاهل الخائن يمثل هذه المكارم لعربي أو عجمي؟ ولو أردنا أن
نذكر محاسن المنصور على التفصيل والتقصي لطلال بها الكتاب وكثرت فيه الأخبار.

وقلنا استعملت العامة وكثير من الخاصة التميز، إيثاراً للتقليد. إذ كان أقل
في الشغل وأدّل على الجهل وأخف في المؤونة. وحسبك من جهل العامة أنها تفضل
السمين على النحيف، وإن كان السمين مأفوناً والنحيف ذا فضائل؛ وتفضل الطويل
على القصير، لا للطول ولكن لشيء آخر لا ندري ماهو؛ وتفضل راكب الدابة على
راكب البغل وراكب البغل على راكب الحمار، اقتصاراً على التقليد إذ كان أسهل
في المأني وأهون في الاختيار.



ومن حقّ الملك - إذا اعتلّ - أن لا تطلب خاصته الدخول عليه في ليل ولا نهار،
حتى يكون هو الذي يأمر بالإذن لمن حضر؛ وأن لا يرفع إليه الحاجب أسماءهم

١١٩
الأدب
في اعتلال الملك
ونظام التشریفات

(١) الظاهر أن العكي المذكور هنا هو مقاتل بن حکم العكي الذي استخلفه المنصور على حران، وقد حاصره
بها عبدالله بن علي عم المنصور ثم قتله. فهو إذن من أولياء المنصور. (أنظر الطبري سلسلة ٣ ص ٩٤ و ٩٣)

(٢) روى الطبري هذه الحكاية حرفاً حرفاً. (سلسلة ٣ ص ٤٢٠)

(٣) لعل الصواب: المائن، بمعنى الكاذب.

(٤) ص: آثرنا.

(٥) المأفون الضعيف الرأي والعقل. وفي ص: مؤوفاً. [أي ذا آفة وعاهة].

مبتدئاً حتى يأذن له . فإذا أذن له بالدخول ، فمن حقه أن لا تدخل عليه الطبقة العالية مع التي دونها ، ولا يدخل عليه من هذه الطبقة جماعة ، ومن غيرها جماعة . ولكن على الحاجب أن يحضر الطبقات الثلاث كلها أو من حضر منها ، ثم يأذن للعليا جملة . فإذا دخلت ، قامت بحيث مراتبها ^(١) ، فلم تسلم عليه فتجوجه إلى رد السلام ، فإذا علمت أنه قد لاحظها ، دعت له دعاء يسيراً موجزاً ، ثم خرجت . ودخلت التي تليها ، فقامت على مراتبها أقل من قيام الأولى ، ودعت دعاء أقل من دعاء الأولى . ثم دخلت بعدها الثالثة ، فكان حظها أن يراها فقط . وليس من عادة الملوك وقوف هذه الطبقة الثالثة تتأمل الملك وتدعوه وتنتظر إليه . وإنما مراتبها أن يراها فقط .

ومن حق الملك أن لا ينصرف أحد من هذه الطبقات إلى رحله إلا في اليوم الذي كان فيه ينصرف في صحة الملك . وبالحرى ينبغى أن لا يبرح ^(٢) فناء سيده ومالكة ، أنتظاراً لإفافته من علته ^(٣) وخصاً عن ساعات مرضه .

(١٢٠)



ومن الحق على الملك تعهد بطانته وخاصته بجوازهم وصلاتهم ، إن كان ذلك يكون مشاهرة أو مساناة .

جواز
البطانة وصلاتهم

ومن أخلاق الملك أن يوكل بأدكاره صلاتهم ، ولا يجوز أحدًا منهم إلى رفع رُقعة أو إذكار أو تعريض . فإن هذا ليس من أخلاق المتيقظ من الملوك .

(١) صه : بجنب .

(٢) راجع الحاشية ١ صفحة ٢٢ من هذا الكتاب عن لفظ "برح" .

(٣) صه : ومحصى .

سنة ملوك
ساسان في الجوائز

وكانت ملوك آل ساسان يفعلون في هذا فعلاً بقي لهم ذكره إلى هذه الغاية وإلى انقضاء مدة العالم.

فكان الملك منهم يُقدّر للرجل من خاصّته ويطانته تقديراً وسطاً بين الإسراف والاقتصاد في مؤنّه كلّها، وحوائجها خاصّها وعامّها. فإذا كان التقدير - على الجملة التي وصفنا - عشرة آلاف درهم في الشهر، وكانت للرجل ضيعة^(١)، أمر أن يُدفع إليه في كل ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم، لأنزله ونفقاته وحوائجه. ويقول له الملك: "قد علمنا أنّ الضيعة التي أفدتها هي مما تقدّم من صلاتنا لك وقد تسلفنا شكرتلك النعمة منك؛ وليس من العدل أن تكون في خدمتنا، وتكون نفقتك من شيء أفدته^(٢) بشكرٍ قد تقدّم وحرمة قد تأكّدت. فليكن ما أثمرت لك ضيعتك ظهيراً لنواب الزمان وتحرم الأيام وأقلام الدؤل وحوادث الموت. ولتكن مؤنّك^(٣) وكلفك على خاصّ اموالنا."

وكذلك الطبقات على هذا النظام والإحكام. فيمضي على أحدهم عشرون سنة لا يفتح فاه بطلب درهم ولا غيره، منبسطة لزمانه مبهجة بنعم ملكه مسرورة بما يكفي عن التذكار وشكوى الحال.

(١) الأنزال (جمع نزل): القوم النازلون على الإنسان، أو ما هي للضيف أن ينزل عليه، كافي تاج العروس.

(٢) صه: أخذتها.

(٣) صه: أخذته.

(٤) سمه: وحوادث الأيام والموت. صه: وحوادث المؤن.

(٥) صه: وكلك.

(٦) في صه: "مستشظا". وليس لها معنى في اللغة يوافق هذا المقام، فلذلك أصلحناها بما أنقضاء

الحال. وهي من الكلمات التي تفرد بها صه.

(٧) صه: بما كفى من التذكار وشكر الحال.



ومن حقَّ الملك هدايا المَهْرَجَانِ والنَّيْرُوزِ.^(١)
والعلة في ذلك أنَّهما فصلاً السَّنةِ.^(٢)

هدايا المهرجان
والنيروز من
الملك وله

فالمهرجان دخولُ الشتاء وفصلُ البرد، والنيروز إذنٌ بدخول فصل الحرِّ. إلا أن
في النيروز أحوالاً ليست في المهرجان. فمنها استقبال السنة وافتتاح الخراج وتوليةُ
العمال والاستبدال وضرب الدراهم والدنانير وتذكية بيوت النيران وصبُّ الماء وتقريب
القربان وإشادة البغيان^(٣) وما أشبه ذلك.^(٤)
فهذه فضيلة النيروز على المهرجان.

ومن حقَّ الملك أن يُهدى إليه الخاصَّة والحامَّة.



والسَّنة في ذلك عندهم أن يُهدى الرَّجُل ما يُحِبُّ من ملكه، إذا كان في الطبقة^(٥)
العالية. فإن كان يُحِبُّ المسك، أهدى مسكاً لا غيره؛ وإن كان يحب العنبر،

(١) كلمتان فارسيتان معناهما محبة الروح.

(٢) كلمتان فارسيتان معناهما اليوم الجديد أى رأس السنة.

(٣) صم: والأخذ بالأسفد. [والذى فى المعجم الفارسى العربى الإنكليزى لرتشاردصن أن الإسفند

هو أسم اليوم الثالث من الخمسة الأيام التى يضيفها الفرس لآخر الشهر الثانى عشر من السنة. ولما كان الشهر
عندهم ثلاثين يوماً فهم يضمون خمسة أيام على آخر الشهر من السنة ليجعلوها معادلة للسنة الشمسية. وربما
كان الجاحظ يشير إلى حفلة خاصة بالفرس فى ذلك اليوم بتقريب القربان].

(٤) كل هذه رسوم فارسية قلها الجاحظ عن آيينهم، بغير ملاحظة لما أخذ المشاهير أو تركوا منها.

(٥) هذا وما يليه يؤيد ما أشرنا إليه فى الحاشية السابقة

أَهْدَىٰ عَنْبَرًا، وَإِنْ كَانَ صَاحِبُ بَزَّةٍ وَلَيْسَ، أَهْدَىٰ كِسْوَةً وَثِيابًا، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ
 مِنَ الشُّجَعَاءِ وَالْفُرْسَانِ، فَالْسُّنَّةُ أَنْ يُهْدَىٰ فَرَسًا أَوْ رَحًا أَوْ سَيْفًا، وَإِنْ كَانَ رَامِيًا،
 فَالْسُّنَّةُ أَنْ يُهْدَىٰ نُسَابًا، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، فَالْسُّنَّةُ أَنْ يُهْدَىٰ ذَهَبًا
 أَوْ فِضَّةً، وَإِنْ كَانَ مِنْ عُمَّالِ الْمَلِكِ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ مَوَانِيذُ لِلْسَّنَةِ الْمَاضِيَةِ، جَعَلَهَا
 وَجَعَلَهَا فِي بَدْرِ حَرِيرٍ صَنِيعٍ وَشَرِيحَاتِ فِضَّةٍ وَخِيُوطِ إِبْرِينِمٍ وَخَوَاتِيمِ عَنْبَرٍ ثُمَّ وَجَّهَهَا

(١) ص: صاحب كسوة وثياب.

(٢) ص: "أصحاب العمال". [ولعلها أصحاب الأعمال].

(٣) وردت هذه الكلمة مهمة في ص، صه هكذا (موايد)، فوجدناها في شفاء الغليل (بعد مراجعة
 غيره من كتب اللغة) هكذا: "موايد"، وفسرها بقوله "بقايا في شعر الفرزدق". "نعر". (ص ٢٠٨) ولكن
 النسخ أو الطابع جعلها بالتاء المثناة الفوقية بدلا من النون. وهي واردة على صحتها في كتاب "العرب من الكلام
 الأجمعي" للإمام الجواليقي (طبع العلامة الألمانية سخاؤا بمدينة لپسك سنة ١٨٦٧ في صفحة ١٤٣) وقد
 استشهد عليها، بقول الفرزدق.

"حَرَّاجُ مَوَانِيذٍ عَلَيْهِمْ كَثِيرَةٌ * تُشَدُّ لَهَا أَيْدِيهِمْ بِالْعَوَاتِقِ".

وقد رأيت هذا البيت في قصيدة طويلة في مدح عمر بن هبيرة الفزاري، ضمن ديوان الفرزدق الذي طبعه باللغة
 العربية وترجمه إلى الفرنسية العلامة المستشرق المسيو بوشيه (R. Boucher) في باريس سنة ١٨٧٠.
 (أنظر صفحة ٢٣٨ من القسم العربي و ٧١٧ من القسم الفرنسي). وقد ظن هذا العالم أن الكلمة ربما كان
 الأصح في كتابها الدال المهملة بدلا من المعجمة، وظن أنها تعريب لكلمة "مانده" الفارسية. وأقول إن العرب
 يجعلون الدال ذالا عند التعريب (مثل أستاذ، تلميذ، فالودج، فولاذ، بغداد، كلواز، مروالروذ الخ). وأما
 الأصل الفارسي فهو "مانده" من مصدر "مانیدن" بمعنى البقاء. وجمعوا الكلمة بعد تعريبها على "موانيد"
 يجعل الدال ذالا جزاء على عادتهم في التعريب.

(٤) ص: بيت.

وكذلك، إنما كان يفعل من العَمَل مَنْ أراد أن يترنَّ بفضل نفقاته أو بفضل عَمَلاته أو أداء أمانته.

وكان يُهدى الشاعرُ الشعرَ، والخطيبُ الخطبةَ، والنديمُ التحفةَ والطرفةَ والباكورةَ من الخَضِرَاوات.

١٢٢

وعلى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك ما يُؤثرُهُ ويفضِّلُهُ كما قدَّمنا في الرجال. غير أنه يجب على المرأة من نساء الملك - إن كانت عندها جارية تُعَلِّمُ أن الملك يهواها ويُسرُّ بها - أن تُهديها إليه بأكل حالاتها وأفضل زينتها وأحسن هياتها. فإذا فعلت ذلك، فمن حقها على الملك أن يُقدِّمها على نساءه ويُخصِّصها بالمنزلة ويزيدها في الكرامة، ويعلم أنها قد آثرته على نفسها وبذلت له ما لا تجود النفس به وخصَّته بما ليس في وسع النساء - إلا القليل منهن - الجود به.

١٠

ومن حق البِطَّانة والخاصة على الملك في هذه الهدايا أن تُعرَضَ عليه وتقوم قيمة عدل.

فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أثبتت في ديوان الخاصة. فإن كان صاحبها من يرغب في الفضل ويذهب إلى الربح ثم نابتة نائبة من مُصيبة يُصاب بها أو بناء يتخذُه أو مادبة يَأْدِيها أو عرس يكون من تزويج ابن أو إهداء ابنة إلى بعلها، نُظِرَ إلى ما له في الديوان (وقد وكل بذلك رجلٌ يرعى هذا وما أشبهه ويتعهده)، فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أضعفت له ليستعين بها على نائبته.

١٥

(١) صه: يؤثره وبفضيلته.

(٢) سه: يجده.

(٣) في سه: يجدهما. وليست في صه.

١٢٤

وإن كان الرجل من أهدي نُسابة أو درهما أو تُفاحة أو أترجة، فإن تلك الهدية إنما قدمها لثبَّت له في الديوان، ويُخبر الملك إن نأبته نأبته. فعلى الملك إعانتة عليها، إذا كان من أساورته وِبطانتِه أو محدّثيه. فإذا رُفِعَ للملك أن له في الديوان نُسابة أو درهماً أو أترجةً أو تُفاحة، أمرَ الملك أن تؤخذ أترجة فتُمَلَأَ دنائير منظومةً ويوجّه بها إليه. وكان لا يُعطى صاحب التُّفاحَة إلا كما يُعطى صاحب الأترجة. وأما صاحب النُسابة فكانت تخرج نُسابته من الخزانة وعليها اسمه، فتُنصَبُ ويوضعُ بإزائها من كسوة الملك ومن سائر الكساء. فإذا ارتفعت حتى توازي فصل النُسابة، دُعي صاحبها فدُفِعَتْ إليه تلك الكسوة.

وكان من تقدّمت له هدية في النيروز والمهرجان (صَفَرَتْ أم كُبرَتْ، كَثُرَتْ أم قَلَّتْ)، ثم لم يخرج له من الملك صلةً عند نأبته تنوبه أو حق يلزمه، فعليه أن يأتي ديوان الملك ويذكر بنفسه، وأن لا يغفل عن إحياء السنة ولزوم الشريعة. وإن غفل عن أمره بعارض يحدث، فإن ترك ذلك على عمد، فمن سنة الملك أن يحرمه أرزاقه لسنة أشهر، وأن يدفعها إلى عدوّ، إن كان له. إذ أتى شيئاً فيه شين على الملك وضعة في المملكة.

١٢٥

وكان أردشير بن بابك وبهرام جور وأنوشروان يأمرون بإخراج ما في خزائهم في المهرجان والنيروز من الكسبي فتُفَرَّقُ كلها على بطانة الملك وخاصته، ثم على بطانة البطانة، ثم على سائر الناس، على مراتبهم.

وكانوا يقولون: إن الملك يستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء، وعن كسوة الشتاء في الصيف، وليس من أخلاق الملوك أن تُحَبَّبَ كسوتها في خزائنها، فتساوى العامة في فعلها.

فكان يلبس في يوم المهرجان الحديد من الخرز والوشى والملمح، ثم تفرق كسوة الصيف على ما ذكرناه.

(١)
فإذا كان يوم النيروز، لبس خفيف الثياب ورقيقها، وأمر بكسوة الشتاء كلها ففترقت.

ولا نعلم أن أحدا بعدهم أقتفى آثارهم، إلا عبد الله بن طاهر، فإني سمعت من محمد بن الحسن بن مضع يذكر أنه كان يفعل ذلك في النيروز والمهرجان، حتى لا يترك في جزائنه ثوبا واحدا إلا كسياه. وهذا من أحسن ما حكى لنا من فضائله.

أمير مسلم اقتدى بالفرس في تفريق كسوته



ومن أخلاق الملوك اللهو.

غير أن أسعدهم من جعل للوه وقتا واحدا، وأخذ نفسه بذلك، فإنه إذا فعل ذلك، ١٠
استطاب اللهو والهزل والمفاكهة. وإذا أدمن ذلك، نخرج به اللهو من بابه حتى يجعله جدا لا هزل فيه، وحقا لا باطل معه، وخلقا لا يمكنه الانصراف عنه.
وليس هذا صفة الملك السعيد.

لهو الملوك



ومن أدمن شيئا من ملاذ الدنيا، لم يجد له من اللذة وجود القرم التهم المشتاق. (٣)
وهذا قد نراه عيانا، وذلك أن ألد الطعام وأطيبه ما كاب على جوع شديد، ١٥
وألد الجماع وأطيبه، إذا اشتد الشبق وطالت العزبة، وألد النوم وأهنأه ما كان يعقب التعب والسهرة.

ترك الإدمان في الملاذ

(١) ص: ثياب سايور.

(٢) راجع حاشية ٢ من ص ٧٤ من هذا الكتاب وقد أورد أسم الأب هنا بلفظ "الحسن" على صحته.

(٣) ص: اللذة وجودة الطعم وجودة النوم.

(٤) ص: الغربة.

وعلى هذا جميع ملامذ الدنيا.

فالملوك الماضية إنما جعلت للملاد وقتاً واحداً من اليوم والليلة، لهذه التفضيلة التي فيها.

فعلى الملك السعيد أن يقسم يومه أقساماً. فأوله لذكر الله تعالى وتعظيمه وتبليغه، وصدوره لرعاياه وإصلاح أمرها، ووسطه لأكله ومناجه، وطرّفه للهو وشغله. وأن لا يتأخر على إدمان الشغل في كل يوم. وإن طالت هذه الأقسام بمواضعها، فلا يجد للهو لذته، ولا للنعيم موضعه الذي هو به.



سيرة الملوك
والخلفاء في الشرب

وكانت الملوك الماضية من الأكاسرة تشرب في كل ثلاثة أيام يوماً، إلا بهرام جور والأردوان الأحمر وسابور. فانهم كانوا يذمنون الشرب في كل يوم.

وكان ملوك العرب (كالنعمان) وملوك الحيرة وملوك الطوائف، أكثرها يشرب في كل يوم وليلة مرة.

وكان من ملوك الإسلام، من يذمن على شربه، يزيد بن معاوية. وكان لا يمسى إلا سكران، ولا يصبح إلا مخموراً.

وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كل شهر مرة حتى لا يعقل في السماء هو

(١) لعل الصواب: الأصغر. (أنظر حاشية ٦ صفحة ٢٩، و صفحة ١١٨ من هذا الكتاب).

(٢) صم: في كل جمعة يوماً وليلة

(٣) صم: عبد الله.

(١) أو في الماء، ويقول: "إنما أقصد في هذا إلى إشراق العقل، وتقوية منة الحفظ،
(٢) وتصفية موضع الفكر." غير أنه كان إذا بلغ آخر هذا السكر، أفرغ ما كان في بدنه حتى
لا يبقى في أعضائه منه شيء. فيصبح خفيف البدن، ذكي العقل والذهن، نشيط
النفس، قوي المنة.

وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً

وكان سليمان [بن عبد الملك] يشرب في كل ثلاث ليال ليلة.

ولم يشرب عمر بن عبد العزيز منذ أفضت إليه الخلافة إلى أن فارق الدنيا، ولا
سميع غناء.

(٤) * وكان هشام يسكر في كل جمعة.

(٤) وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يذمnan اللهو والشرب. * فأما يزيد بن الوليد،
فكان دهره بين حالين، بين سُكرٍ وُخْمارٍ، ولا يوجد أبداً إلا ومعه إحدى هاتين.

وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت.

(٥) وكان أبو العباس [السفاح] يشرب عشيّة الثلاثاء وحدها، دون السبت.

(١) ص: الأرض.

(٢) ص: وتقوية وتصفية.

(٣) ص: آخر هذا السكر.

(٤) هاتان الجملتان المحصورتان بين نجمتين * مقولتان عن ص.

(٥) ص: وحدها في كل جمعة.

^(١) * وكان المهدى والهادى يشربان يوماً، ويدعان يوماً.

وكان الرشيد يشرب في كل جمعة مرتين. وربما قدم أيامه وأخرها. على أنه لم يره
أحد قط يشرب ظاهراً، إلا أنه كان يقعد هذين اليومين لندمائه.^(٢)

وكان المأمون في أول أيامه يشرب الثلاثاء والجمعة. ثم أدمن الشرب عند خروجه
إلى الشام في سنة خمس عشرة [ومائتين] إلى أن توفى.

وكان المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة.

وكان الواثق ربما أدمن الشرب وتابعه. غير أنه لم يكن يشرب في ليلة الجمعة
ولا يومها. *



لبس الملوك

وأخلاق الملوك تختلف في اللبسة والطيب.

فمن الملوك من كان لا يلبس القميص إلا يوماً واحداً أو ساعة واحدة. فإذا نزع
لم يعد إلى لبسه.

ومنهم من كان يلبس القميص والجبة أياماً، فإذا ذهب روثقه رمى به فلم
يلبسه بعد.

فأما أردشير بن بابك ويزدجرد وبهرام وكسرى أبرويز وكسرى أنوشروان

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * منقولة عن ص.

(٢) وأنظر حاشية ٥ ص ٣٧ من هذا الكتاب.

(٣) ص: روثقه وبعض ما نرى. [ولعله: وبعض بهائه رى]

وَقَبَادَ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ وَيُفْسَلُ لَهُمْ ثُمَّ يَلْبَسُونَهُ وَيُفْسَلُ لَهُمْ . فَإِذَا غُسِلَ
ثَلَاثَ عَرَكَاتٍ لَمْ يُفْسَلْ بَعْدَهَا، وَجُعِلَ فِي الْخَلْعِ الَّتِي تُخْلَعُ عَلَى الْوَلَدِ وَالْقَرَابَاتِ وَالْعَمِّ
وَأَبْنِ الْعَمِّ وَالْأَخِ وَأَبْنِ الْأَخِ . وَلَمْ يَكُونُوا يَخْلَعُونَ مَا قَدْ لَبَسُوهُ إِلَّا عَلَى الْقَرَابَاتِ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ خَاصَّةً، لَا يُجَاوِزُونَهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ . فَأَمَّا الْخَلْعُ الَّتِي تُقَطَّعُ وَتُتَّخَذُ
لِلطَّبَقَاتِ وَسَائِرِ النَّاسِ، فَتِيكَ صِنْفٌ آخَرُ.

١٢٩

وَكَانَ مَلُوكُ الْعَرَبِ مِنْهُمْ مَنْ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ مَرَارًا وَيُفْسَلُ لَهُ غَسَلَاتٍ: مَعَاوِيَةُ
وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَسَلِيمَانُ وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهَشَامٌ وَمَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَبُو الْعَبَّاسِ
وَأَبُو جَعْفَرٍ وَالْمَأْمُونُ.

فَأَمَّا يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ وَيَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَالْمُهَدِّيُّ وَالْهَادِي
وَالرَّشِيدُ وَالْمُعْتَصِمُ وَالْوَاتِقُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ إِلَّا لَيْسَةً وَاحِدَةً،
إِلَّا أَنْ يَكُونَ الثَّوبُ نَادِرًا مُعْجَبًا غَرِيْبًا.

فَأَمَّا الْجُبَابُ وَالْأُرْدِيَّةُ، فَلَمْ تَزَلْ الْمُلُوكُ تَلْبَسُهَا السَّنَةَ أَوْ أَكْثَرَ أَيَّامِ السَّنَةِ. وَمِنْهُمْ
مَنْ كَانَ يَلْبَسُ الْجُبَّةَ وَالْمِطْرَفَ السِّنِينَ الْكَثِيرَةَ . وَلَيْسَ الْجُبَابُ وَالْأُرْدِيَّةُ كَالْقَمِيصِ
وَالسَّرَاوِيلِ . لِأَنَّ الْقَمِيصَ وَالسَّرَاوِيلَ هُمَا الشُّعَارُ، وَسَائِرُ الثِّيَابِ الدَّنَائِرُ. وَلِذَلِكَ كَرِهَ
مِنْ كَرِهٍ إِعَارَةً لِنِسْبَتِهَا ^(٣)

١٥

(١) أَي مَرَّاتٍ . وَالْعَرَكَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ . وَفِي صِيغِهِ : مَرَاتٍ .

(٢) هُوَ دَاءٌ مِنْ خَزْمَرْتَيْهِ لَهُ أَعْلَامٌ . وَلَمْ يَذْكُرْهُ دُوْزِي Dozy فِي "مَعْجَمِ أَسْمَاءِ الثِّيَابِ عِنْدَ الْعَرَبِ" .

(٣) سَمَ : إِعَادَةٌ .



تطيب الملوك

وأخلاق الملوك في العطر ومسّ الطيب وتغلّل الغالية تختلّف^(١).

فمن الملوك من إذا مسّ الطيب وتغلّل بالغالية لم يعد إلى مسّ طيب ما دام عبّقها في ثوبه.

ومن الملوك من كان إذا مسّ الطيب وتغلّل بالغالية فتضوّعت منه وعلقت بثيابه، أمر بصبّ ماء الورد على رأسه حتى يسيل^(٢). فإذا كان من غد، فعل مثل ذلك.



فأما من كان لا يمسّ طيباً مادام يحمد عبّق الطيب في ثيابه؛ فأردشير بن بابك وقباد [بن فيروز] بن زجرد وكسرى أبريز وكسرى أنوشروان، ومن ملوك العرب: معاوية وعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام ومروان [بن محمد]؛ ومن خلفاء بني العباس: أبو العباس وأبو جعفر والمأمون.

وكان المعتصم قلماً يمسّ الطيب. وكان يذهب في ذلك إلى تقوية بدنه وإعانتة على شدة البطش والإيد. وأما في أيام حروبه، فكان من دنا منه وجد رائحة صداً السلاح والحديد من جسمه.

(١) في حاشية ص: "أبو نصر: سألت الأصمعي هل يجوز تغلّل من الغالية؟ قال: إن أردت أنك أدخلتها في لحيتك أو شاربك، فغائر. وكذلك غلّت بها لحيتي؛ شدد للكثرة. صحاح.

(٢) في تاج العروس: غلّ الثفن في رأسه أدخله في أصول شعره، وغلّ شعره بالطيب أدخله فيه." [وأظر صفحة ٦٧ من هذا الكتاب والحاشية ٢ منها].

(٣) ص: الماورد. [وقد استعمل الكتاب هذا التركيب المزجي ونسبوا إليه فقالوا: الماوردي].

زيارة الملوك
تكرما لرجالهم،
وأنواعها



ومن أخلاق الملوك الزيارة لمن خُصَّ بالكرامة منهم وآثروه المنزلة ورفع المرتبة.
وزيارة الملك على أربعة أقسام: فمنها الزيارة للطاعمة والمنادمة، ومنها الزيارة
للعيادة، ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة، ومنها الزيارة للتعظيم فقط.

وأكبر هذه الأقسام وأرفعها ذكراً الزيارة للتعظيم.

لأن هذه الأقسام الثلاثة أكثر ماتقع وتتفق بسؤال المذور الملك وتلطّفه في ذلك.

١٢١

(١) من هذا القليل ما تفضل به مولانا الخديو المعظم الحاج عباس حلمي الثاني على المأسوف عليه
بطرس غالي باشا رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية سابقاً، بعد أن أغتاله يد أئمة في ١٠ صفر سنة ١٣٢٨
(٢٠ فبراير سنة ١٩١٠). فقد يمّ المستشفئ (حفظه الله) بموكبه الجليل في يوم إصابته، ثم تنازل بالتوجه إلى
دار الفقيد بالفجالة في القاهرة، عقب مماته في ١٢ صفر (٢٢ فبراير) وواسى بنفسه أولاد القتيل وقرباته.
١٠ تخفف بذلك مصابهم الجلل، وأعرب عن جميل عنايته بجميع صنوف رعيته.

ولقد آتفق مثل هذا الصنيع الجليل، في حادث من هذا القليل، لأحد السابقين من ملوك النيل، وهو السلطان
الملك الناصر حسن صاحب الجامع الأشهر القريب من القلعة. وذلك أنه في يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ٥٧٨ هـ
حاول أحد المماليك اغتيال رئيس الحكومة وصاحب الحل والعقد في ديار مصر، وأغنى به الأتابكي سيف الدين
شيخو العمري (وهو أول من تلقب بأسم أمير كبير، وكانت وظيفته إذ ذاك تعادل رئاسة مجلس النظار في أيامنا
١٥ هذه)، فضربه وهو في الإيوان في يوم الموكب بالسيف في وجهه ثلاث ضربات. فوقع الأتابكي إلى الأرض
مغشياً عليه. فحملوه إلى بيته وبه بعض رمق. وهناك ضمدوا جراحاته. فنزل السلطان من القلعة في اليوم التالي
وذهب بموكبه إلى داره وترجل عن فرسه وواسى رئيس حكومته. ولكن الأتابكي مات في يوم الجمعة ١٦
ذي القعدة من السنة المذكورة. فأحتفل السلطان بمجنازته وحضرها بنفسه وصلى عليه قبل دفنه. (راجع ابن

إياس ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥)

(٢) في سه، صه: تلفظه.

وربما رفع الملك مرتبة الوزير وخصه وقدمه على سائر بطانته، فيكون من حيل الوزير أن يتعالم فيعوده الملك، فيظهر للعامة منزلته عنده وتكرمه إياه وإيثاره له. وأيضاً، فقلّ ملك سأل وزيره أو صاحب جيشه أو أحد عظمائه زيارته إلا أجابه إلى ذلك، و[لا] سيمًا إذا علم أن غرضه في ذلك الزيادة في المرتبة والتنويه بالذكر. فإذا كانت الزيارة من الملك على أحد هذه الأقسام الثلاثة، فهي منزلة كان صاحبها يحاولها فبلغها، وأمنية طلبها فأدركها.

فأما الزيارة للتعظيم، فإنها لا تقع بسؤال ولا بإرادة المزور. إذ كان ليس من أخلاق وزير ولا شريف أن يقول للملك: زُرْنِي لتعظمني، ولترفع في الناس من ذكري وقدرى.

فإذا كان ذلك من الملك ابتداءً، فقد علمنا أن تلك أرفع مراتب الوزراء، وأفضل درجات الأشراف.

(١) سه: وقرّبه.

(٢) [أنظر الحاشية ٣ ص ٤٥ من هذا الكتاب].

(٣) سه: يأملها.

(٤) يدخل في هذا الباب ما تكرم به أيضاً الخديو المعظم الحاجّ عباس حلمي الثاني على عبده وصنيعته، وغرس نعمته، وخادم دولته، محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية الحالي. فقد زاره بمنزله في رمل الإسكندرية في ١٥ رمضان سنة ١٣٢٩ (٨ سبتمبر سنة ١٩١١). وقد جمعت هذه الزيارة مزيّتين في آن واحد: مزية التكرم ومزية العبادة اللتين أشار إليهما الجاحظ. ولقد كانت هذه الزيارة على غير انتظار البتّة.

وكنّت حاضراً ليلتها في دار الوزير، وهو لا يعلم بذلك. لأنه قبل تشريف المليك بهنية، كان بملابس نومه. فما هو إلا أن فاجأنا الخبر بالتلفون، مبشراً بهذه الزيارة الجليلة. وقد كانت بعد ذلك بدقائق.

وذلك لعمري يشابه كثيراً من الأيادي البيضاء التي أسداها الخلفاء والسلاطين في مصر إلى رجال دولتهم. أكتفى بذكر مثال واحد يضارع هذه الأكرمة. وذلك أن السلطان قايتباي الشهير بمآثره الجليلة في خدمة العلم والأدب والفنون الجليلة نزل من قصره بالقلعة في شهر رمضان سنة ٨٧٣ هـ لزيارة الأمير يشبك الدوادار الكبير، بمناسبة التوكل الذي حصل في جسده. وكان هذا الأمير قد جمع في يده أ كبير وظائف الدولة على ذلك العهد، وهي: الاستدارية، والدوادارية، والوزارة، وكشفية الكشاف. وقد عظم أمره جدّ حتى قال فيه ابن إياس: "ما أظن أن هذه الوظائف قد جمعت لأحد من الأمراء قبله". (أنظر "بدائع الزهور في وقائع الدهور" ج ٢ ص ١٠٧-١٠٨)

وكان أردشير وأنوشروان إذا زارا وزيراً من وزرائهما أو عظيمًا من عظمائهما
للتعظيم لا لغيره، أرخت الفرس تلك الزيارة، وخرجت بذلك التاريخ كتبهم إلى الآفاق
والأطراف.

وكانت سنة من زاره الملك للتعظيم أن توغر ضياعه وتوسم خيله ودوابه لئلا
تسخر، ولا تمتن. ويأتيه خليفة صاحب الشرطة في كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومائة
راجل، يكون ببابه إلى غروب الشمس. فإن ركب كانت الرحلة مشاة أمامه،
والركبان من خلفه، ولا يجلس أحد من حامته وخاصته بلخاية جناها، ولا يحكم على أحد
من عبيده بحكم، وإن وجب على أحد من بطانته حد، وجه به إليه ليرى فيه رأيه،
ويؤخر عليه وظيفة ما عليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له، وتقدم هداياه
في النيروز والمهرجانات على كل هدية وتعرض على الملك، ويكون أول من يأذن له
الحاجب، ويكون من الملك إذا ركب عن يمينه منزويًا، وتكون مرتبته إذا قعد
عن يمينه، وإذا خرج من دار المملكة، لم يقعد بعده أحد.

(١) في سه: "توغر"، وفي صه: "يوغر". يقال أوغر الملك الرجل الأَرْض: جعلها له من غير
خراج، أو هو أن يودى الخراج إلى السلطان الأكبر فرارًا من العمال (قاموس). وهذا المعنى الثاني هو الذي أراده
الجاحظ، لقوله بعد ذلك بخمسة أسطر: "ويؤخر عليه وظيفة ما عليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له".

(٢) صه: ولا تمتن.

(٣) صه: الرجال.

(٤) سه: لوطاته.

* وكانت ملوك آل ساسان لا تزور أحداً لعلّة من هذه العلل التي قدّمنا ذكرها،
 (١) فينصرف بخلعة أو طيب أو تحفة أو هدية من جارية أو غلام. غير أنه كان إذا نزل
 الملك، وطأ لرجله فرساً رائعا بسرج مذهب وأداة نائمة، فقدم إليه إذا أراد الانصراف.
 فكان الأمر كذلك، حتى ملك بهرام بن يزدجرد. فكان ينادم الأساورة من أبناء أهل
 الشرف، فيخلع عليه في كل ساعة خلعة مجددة، ويشتهي الزامرة والمغنية والرقاصة
 فيأخذها. وكان أول من أطلق يده في ذلك، لعلّة اللهو عليه وإيثاره هواه.
 فاما من كان من ملوكهم قبله، فعلى الأمر الذي ذكرنا والحكاية التي أدّينا. *



ومن أخلاق الملك القعود للعاقة يوماً في المهرجان، ويوماً في النيروز. ولا يحجب
 عنه أحد في هذين اليومين من صغير ولا كبير، ولا جاهل ولا شريف.
 (٥)

استقبال الناس
 في الأعياد

وكان الملك يأمر بالنساء قبل قعوده بأيام، ليتأهبّ الناس لذلك. فيهيئ الرجل
 القصّة، ويهيئ الآخر الحجة في مظلمته، ويصالح الآخر صاحبه إذا علم أن خصمه



(١) لعلّه: فنصرف. وبقية الكلام يدلّ على أن الضمير هنا يرجع للوك ولعل الفاعل مقدّر ويكون
 المعنى: فينصرف الملك منهم.

(٢) أى: وطأ المزور لرجل الملك الزائر.

(٣) أى الأسوار المزور.

(٤) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * متقولة عن ص.

(٥) وهذا أيضا من مقولات الجاحظ عن آيين الفرس.

يَتَظَلَّمُ مِنْهُ إِلَى الْمَلِكِ، فَيَأْمُرُ الْمُوَبَّدَ أَنْ يُوَكِّلَ رَجُلًا مِنْ ثِقَاتِ أَصْحَابِهِ فَيَقْفُونَ بِسَبَابِ الْعَاقَةِ، فَلَا يُنَمَّعُ أَحَدٌ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ. وَيَنَادِي مُنَادِيهِ: "مَنْ حَبَسَ رَجُلًا عَنْ رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَخَالَفَ سُنَّةَ الْمَلِكِ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ، فَقَدْ أَذِنَ بِمُحَرِّبٍ مِنْهُ وَمِنْ الْمَلِكِ."

النظم من الملك
إلى القاضي

ثُمَّ يُؤْذَنُ لِلنَّاسِ وَتُؤْخَذُ رِقَاعُهُمْ، فَيَنْظَرُ فِيهَا. فَإِنْ كَانَ فِيهَا شَيْءٌ يُتَظَلَّمُ فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ، بُدِيَ بِهِ أَوَّلًا، وَقُدِّمَ عَلَى كُلِّ مَظْلَمَةٍ. وَيُحْضَرُ الْمَلِكُ الْمُوَبَّدَ الْكَبِيرَ وَالْدَّيْرَبْذَ وَرَأْسَ سَدَنَةِ بِيوتِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُومُ الْمُنَادِي فَيَنَادِي: "لِيَعْتَرِلْ كُلُّ مَنْ تَظَلَّمَ مِنَ الْمَلِكِ!" فَيَمْتَازُونَ. وَيَقُومُ الْمَلِكُ مَعَ خَصْمِهِ حَتَّى يَجْثُوَيْنَ يَدَيِ الْمُوَبَّدِ فَيَقُولُ لَهُ: "أَيُّهَا الْمُوَبَّدُ، إِنَّهُ مَا مِنْ ذَنْبٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ذَنْبِ الْمُلُوكِ! وَإِنَّمَا خَوَّطَا اللَّهَ تَعَالَى رَعَايَاهَا لِتُدْفَعَ عَنْهَا الظُّلْمُ وَتُدْبَّ عَنْ بَيْضَةِ الْمُلِكِ جَوَرُ الْجَائِرِينَ وَظُلْمُ الظَّالِمِينَ. فَإِذَا كَانَتْ هِيَ الظَّالِمَةُ الْجَائِرَةُ، فَحَقٌّ لِمَنْ دُونَهَا هَدْمُ بِيوتِ النِّيرانِ، وَسُلْبُ مَا فِي النِّوَابِيسِ مِنَ الْأَكْفَانِ. وَجُلَسَى هَذَا مِنْكَ - وَأَنَا عَبْدٌ ذَلِيلٌ - يَشْبَهُ بِمَجْلِسِكَ مِنْ اللَّهِ غَدًا. فَإِنْ آثَرْتَ اللَّهَ أَثَرَكِ، وَإِنْ آثَرْتَ الْمَلِكَ عَذْبَكَ." (٢) فَيَقُولُ لَهُ الْمُوَبَّدُ: "إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ سَعَادَةَ عِبَادِهِ، أَخْتَارَ لَهُمْ خَيْرَ أَهْلِ أَرْضِهِ. فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَهُمْ قُدْرَهُ عِنْدَهُ، أَجْرَى عَلَى لِسَانِهِ مَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِكَ." ثُمَّ يَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرِ خَصْمِهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ. فَإِنْ صَحَّ عَلَى الْمَلِكِ،

١٢٤

(١) سه، ص: الدبريد. [وأنظر صفحة ٧٧ من هذا الكتاب وحاشية ٢ منها، وصفحة ١٧٣

منه أيضا].

(٢) في "محاسن الملوك" أن الخصم هو الذي يقول ذلك الكلام للقاضي، لا الملك. (ص ٣٩)

شئٌ أخذه به؛ وإلا حبس من آذعني عليه باطلاً، ونكّل به. وتودى عليه: "هذا جزء

(١) في تواريخ الإسلام غرر كثيرة من هذا القبيل. فالخلفاء وآل بيتهم والملوك ووزراؤهم كانوا يساوون أقلّ الخصوم في مجلس القاضي ويجري عليهم الحكم الشرعي كما يجري على سائر الناس. فقد تحاكم على بن أبي طالب أمام عمر بن الخطاب (مستطرف ج ١ ص ١١٨)، ثم تحاكم وهو خليفة مع ذمي أمام القاضي شريح (ابن خلكان في ترجمة شريح)؛ وتحاكم هشام الأموي مع صاحب حرسه أمام القاضي في دار الخلافة (ابن عبد ربه ج ٢ ص ٣٣٩)؛ وخاصم رجل من حلوان مصر الخليفة عمر بن العزيز وتوجهها معا إلى مجلس القاضي فساوى بينهما في كل شيء. وقضى للرجل عليه (المحاسن والمساوي ص ٥٢٥، وفيها وفيها عليها وقائع أخرى من هذا القبيل لعمر بن الخطاب)؛ وتحاكم المأمون بين يدي القاضي يحيى بن أكثم "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٤ و"المحاسن والمساوي" ص ٥٣٢ و"المستطرف" ج ١ ص ١١٩؛ وتحاكم إبراهيم بن المهدي مع بختيشوع الطيب عند القاضي أحمد بن أبي دؤاد "العقد الفريد" ج ١ ص ٣٣؛ وتحاكم الوزير ابن الزيات في مجلس القضاء، وفي دار الوزارة "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٤؛ وتحاكم الأشعث عند شريح القاضي "العقد الفريد" ج ١ ص ٣٤. والأمر أشهر من أن يذكر، والوقائع أكثر من أن تحصر. وأبدع من ذلك كله ماجرى بالقاهرة في أيام الأيوبيين فقد روى السيوطي أنه في سنة ٦٣٩ للهجرة تولى عبد العزيز المعروف بعز الدين بن عبد السلام المشهور بسلطان العلماء قضاء مصر والوجه القبلي. وكان قدم في هذه السنة من دمشق بسبب أن سلطانها الصالح إسماعيل استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف، فأنكر عليه الشيخ عز الدين وترك الدعاء له في الخطبة، وساعده في ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي. فغضب السلطان منهما، فخرجا إلى الديار المصرية، فأرسل السلطان إلى الشيخ عز الدين (وهو في الطريق) قاصداً يتلطف به في العود إلى دمشق. فاجتمع به ولأيته، وقال له: ما زيد منك شيئاً إلا أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير. فقال الشيخ له: يا مسكين! "ما أرضاه يقبل يدي فضلاً عن أن أقبل يده! يا قوم، أتم في وادٍ وأنا في وادٍ! والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاكم به!" فلما وصل إلى مصر، تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب وأكرمه وتولاه قضاء مصر. فاتفق أن أستاذ داره نحر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ (وهو الذي كان إليه أمر المملكة) عمداً إلى مسجد بمصر، فعمل على ظهره =

(١)
مَنْ أَرَادَ شَيْنَ الْمَلِكِ، وَقَدَحَ فِي الْمَمْلَكَةِ!

- == بناء طبلخاناه، وبقيت تضرب هناك. فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين، حكم بهدم ذلك البناء وأسقط نحر الدين، وعزل نفسه من القضاء. ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان. وظن نحر الدين وغيره أن هذا الحكم لا يتأثر به في الخارج. فاتفق أن تجهز السلطان رسولا من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد. فلما وصل الرسول إلى الديوان، ووقف بين يدي الخليفة وأدى الرسالة له، خرج إليه وسأله: هل سمعت هذه الرسالة من السلطان؟ فقال: لا، ولكن حملتها عن السلطان نحر الدين ابن شيخ الشيوخ، أستاذ داره. فقال الخليفة: إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام، فنحن لا نقبل روايته. فرجع الرسول إلى السلطان حتى شافهه بالرسالة، ثم عاد إلى بغداد وأداها. ولما تولى الشيخ عز الدين القضاء تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك، وذكر أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين. فبلغهم ذلك، فعظم الخطب عندهم، وأحتمل الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعا ولا شراء ولا نكاحا. وتعتلت مصالحهم لذلك ١٠ وكان من حملتهم نائب السلطنة، فاستشاط غضبا. فأجتمعوا وأرسلوا إليه. فقال: نعقد لكم مجلسا، وننادى عليكم لبيت مال المسلمين! فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه، فلم يرجع. فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة، فلم يقد فيه. فأنزعج النائب، وقال: كيف ينادى علينا هذا الشيخ، ويديعنا ونحن ملوك الأرض! والله لأضربنه بسيفي هذا! فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلول في يده. فطرق الباب. ونخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطنة ما رأى، وشرح له الحال. فآكثرت لذلك. وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله! ثم خرج. فحين وقع بصره على النائب، دبست يده النائب وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله. فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: ياسيدي، إيش تعمل! قال: أنادى عليكم وأبيحكم! قال: فقيم تصرف فمنا؟ قال: في مصالح المسلمين! قال: من يقبضه؟ قال: أنا! فقم ما أراد ونادى على الأمراء واحدا واحدا. وغالى في منهم ولم يسمعهم إلا بالثمن الوافي، وقبضه وصرفه في وجوه الخير. ("حسن المحاضرة" ج ٢ ص ٩٨ و ٩٩ من النسخة المطبوعة على الحجر بالقاهرة). وقد روى السبكي هذه الحكاية بتفصيل في ترجمة الشيخ عبد العزيز في "طبقات الشافعية" (ج ٥ ص ٨٠ - ١٠٧) (١) صه: أراد شر المملكة والقدح فيها بالباطل. [اقتطع صاحب "محاسن الملوك" هنا سياق الكلام، وأضاف حاشية نبه على أنها ليست من الخبر، وهذا نصها: "وذكر أن أحد خلفاء العلويين الفاطميين فعل مثل فعل هذا وجلس بين يدي قاضي القضاة محاربا لخصم ولم يتحرك له القاضي عند حركته للعود بين يديه وحكم القاضي بالحق بينه وبين خصمه فلما ثبت الحكم وقضى به، وثب مقبلا للأرض، جالسا دون مجلس الخليفة. فقال: والله! لو تحرك لي أترلا ونخرج عن حكم الحق، لضربت عنقه"] ٢٥

فإذا فرغ الملك من مزالمه في نفسه، قام فحمد الله ومجده طويلاً، ثم وضع التاج، على رأسه وجلس على سرير الملك، وألقت إلى قرابته وحامته وخاصته وقال: "إني لم أبدأ بنفسى فأُنصف منها إلا لئلا يطمع طامعٌ في حيني. فمن كان قبله حقٌ فليخرج إلى خصمه منه، إما بصلح وإما بغيره."

(١) فكان أقرب الناس إلى الملك [في الحق] كأبعدهم، وأقواهم كأضعفهم.

فلم يزل الناس على هذا من عهد أردشير بن بابك ثم هلمَّ جرّاً حتى ملكهم يزدجرد الأئيم، وهو الحسن الباركي. فغیر سنن آل ساسان وعاث في الأرض وظلم الرعايا وأظهر الجبرية والفساد، وقال: "ليس للرعية أن تنصف من الراعي، ولا للسوقة أن تنظم من الملوك، ولا للوضع أن يساوى الرفيع في حق ولا باطل." (٢)

فذكرت الأعاجم في كتبها وسير ملوكها أنه بينا هو قاعد في الإيوان - والناس على طبقاتهم ومراتبهم - إذ دخل من باب الإيوان فرس مسرج ملجم، لم يرقط شيئاً أحسن منه منظرًا، ولا أكل أداة. فأهوى نحو يزدجرد الباركي. فقامت إليه الأساورة

العقوبة الربانية
للك الظالم

(١) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه الآداب كلها في نظم الناس من الملك إلى القاضى وبالخرف الواحد تقريباً عن الجاحظ. (ص ٣٩ - ٤١)

(٢) هكذا في س. والمشهور أنه يسمى يزدجرد المليم الأئيم، ويزدجرد الأئيم كما هو في صفحة ١١٨ من هذا الكتاب. (أنظر غرر أخبار الفرس وسيرهم للثعالبي صفحة ٥٣٩ - ٥٤٩). ولم ترد هذه الكلمات الثلاث في صه.

(٣) س: يستأدى.

(٤) ص: يزدجرد الأئيم

(١) (٢)

لندفعه عنه . فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رَمَحَهُ فأرداه . وهو في خلال ذلك يقصد إلى الملك . فقام إليه يزجرُ وقال للأساورة : دَعُوهُ ، فإنه إلى يقصد .

فدنا منه حتى أخذ بمعرفته^(٣) ، فدلَّ له الفرس وتطامن حتى ركبهُ . فلما جال في منته^(٤) ، خطأ به خطأ ، ثم رده إلى اقرار مجلسه ، فنزل عنه وجعل يمسحه بيده ، مُقبلاً ومُدبراً . حتى إذا وجد الفرس منه ممكناً وغفلةً ، رَمَحَهُ فأصاب حبة قلبه ، فقتله . فقالت الفرس : هذا ملكٌ من الملائكة ، جعله الله في صورة فرس ، فبعثه لقتل يزجر ، لما ظلم الرعية وعاث في الأرض .^(٦)

١٣٦

وكان بهرام جور بن يزجر في حجر النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة . وضعه أبوه عنده ليتأدب بأداب العرب ويعرف أيامها وأخبارها ولغاتها . فبلغه خبر أبيه ، وأنَّ الفرس ملكٌ عليها رجلاً ليس من أبناء ملوكها . فاستنص النعمان بن المنذر وأستنجده . وقال : ” إنَّ لي عليك حقاً ، إذ كنتُ أحدَ أولادك . وإنَّ أبي قد مات وملكت

ما صنع بهرام جور
لأخذ ملك أبيه

(١) أي رفسه برجله أو برجليه . يقال ذلك للفرس والبغل والحمار وكل ذي حافر ، وربما استعير لذي

الخلف . (تاج العروس)

(٢) أي فأهلكه . وفي صه : فأداره .

(٣) صه : بعرفه .

(٤) صه : حال .

(٥) صه : بنوبه .

(٦) فارق ذلك بما أورده الثعالبي (في غرر أخبار الفرس) عن هذه القضية وتفصيلها مع اختلاف .

(صفحة ٥٥١ - ٥٥٣)

الْفُرسُ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ بَيْتِ الْمُلْكِ. فَإِنْ أَنْتَ خَذَلْتَنِي، ذَهَبَ مُلْكُ آلِ سَاسَانَ. “
فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ: “مَا أَنَا وَآلُ سَاسَانَ، وَهُمْ الْمُلُوكُ وَأَنَا رَعِيَّةٌ؟ وَلَكِنِّي أَخْرَجْتُ مَعَكَ
فِي جَيْشِي لَتَقْوَى نِيَّتُكَ^(١) وَتَصِحَّ عَزَمَتُكَ. ثُمَّ أَنْتَ أَوْلَى بِقَوْمِكَ، وَهُمْ أَوْلَى بِكَ. “ قَالَ:
فَهَذَا أُرِيدُ.

٥. أَخْرَجَ النُّعْمَانُ مَعَ بَهْرَامَ حَتَّى صَارَ بِالْمَدَائِنِ، وَبَلَغَ الْفُرسَ قَدُومَهُمَا. فَخَرَجُوا إِلَى
بَهْرَامَ، فَقَالُوا: مَا تَرِيدُ؟ فَقَالَ: مُلْكُ أَبِي وَإِرْثَ آلِ سَاسَانَ. قَالُوا: إِنْ أَبَاكَ سَامِنَا
الْعَذَابَ أَيَّامَ مَدَّتِهِ، فَانْفَرَدَ اللَّهُ بِقَتْلِهِ. فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَحَدٍ مِنْ عَقِيهِ. فَقَالَ بَهْرَامُ:
إِنَّ جَوْرَ أَبِي وَظُلْمَهُ لَا يُلْزِمُنِي لَأَيْمَةً^(٣)، وَلَا يُكْسِبُنِي ذِمًّا^(٤). وَأَنْتُمْ لَمْ تَحْبُرُونِي، فَيَجِبُ عَلَيَّ
حَمْدُ أَوْذَمٍ. قَالُوا: فَإِنَّا قَدْ أَقْمْنَا رَجُلًا نَرْضَاهُ. فَقَالَ: إِنَّ هَذَا فَسَادٌ فِي صُلْبِ الْمَمْلَكَةِ أَنْ
تُمْلِكُوا مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا. فَإِذَا فَعَلْتُمْ، فَأَمْتَحِنُونِي وَهَذَا الرَّجُلَ مِحْنَةً تَوْجِبُ الْمَمْلَكَةَ.
قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: تَعْمِدُونَ إِلَى أَسْدِينَ ضَارِيَيْنِ فَتَجْمَعُونَهُمَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ،
وَتَضَعُونَ تَاجَ الْمَمْلَكَةِ بَيْنَهُمَا، وَتَقُولُونَ لِهَذَا الَّذِي مَلَكَتُمُوهُ أَمْرًا يَأْخُذُهُ مِنْ بَيْنَهُمَا.
فَإِنْ فَعَلَ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ وَأَوْلَى. وَإِنْ أَبَى أَنْ يَفْعَلَ، وَفَعَلْتُ أَنَا ذَلِكَ، كُنْتُ أَحَقُّ
بِالْمُلْكِ مِنْهُ. قَالُوا: نَعْرِضُ عَلَيْهِ هَذَا.

(١) ص: مَتَّكَ.

(٢) روى الثعالبي هذه القصة بعبارة أكثر اختصاراً من الجاحظ. (غرر أخبار الفرس ص ٥٤٨)

(٣) ص: لَا يُلْزِمُنِي لَأَيْمَتِهِ.

(٤) ص: مَذْمَتِهِ.

فقالوا ذلك له ، فقال : ما أقدرُ على هذا ، ولكن قولوا له ليفعل . فإن أخذ التاج من بين الأسدَيْن فهو أحقُّ بالملك وأولى .

فأخذوا التاج وعمدوا إلى أسدين فأجاعوهما ثم وضعوا التاج بينهما وقالوا لبهرام : ^(١) شأئك ! فترل بهرام عن فرسه وأخذ الطَّبْرَينِ ومضى نحوهما . ثم بدا له فجعل الطبرزين في منطقتيه . ودنا من الأسدَيْن فأهويا نحوه ، فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به حتى قتلهما جميعا . وشدَّ على التاج فأخذه من موضعه فجعله على رأسه .



فلكته الفرسُ أمرهم ، وأنصرف النعمان إلى الحيرة . وسار بهرام سيرةً حسنةً

(١) صه : وغدوا .

- (٢) جمعه طبرزينات | أنظر البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٦ . وهذا اللفظ مأخوذ من كلمة فارسية (تبر، تير) ومعناها الفأس . وهي آلة للقتال عبارة عن عمود له حدان ، وكانوا يعلقونها في السرج ليستخدمها الفارس في وقت النزال والبراز . وقد عرَّب المشارقة وأهل الاندلس هذا اللفظ الفارسي فيما بعد فجعلوه "طبرزين" . قال في "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" للراکشى (ص ٩٠) مانصه "فخرج المعتمد ويده الطبرزين ... فعلاه بالطبرزين الذي في يده ولم يزل يضربه به حتى برد" . وقال في "الحاسن والمساوي" (ص ٥٩٣) . "وكان معه طبرزين فضرب به كسرى ... ثم ضربه بالطبرزين حتى مات" .
- (١٥) (وأنظر أيضا تاج العروس ، وبرهان قاطع ، وشفاء الغليل ، وتكملة المعجمات العربية لدوزي) .

- كذلك كان الشأن عند باب المشاركة . ولكنهم عادوا فأقتصروا على التعبير بالطبر . قال في صبح الأعشى (ج ١ ص ٣٦٥) مانصه : "الطبر . وهو باللغة الفارسية الفأس . ولذلك يسمى السكر الصلب بالطبرزد" . يعني الذي يكسر بالفأس . وإلى الطبر تنسب الطبردارية . وهم الذين يحملون الاطبار حول السلطان . . .
- (٢٠) وقد بقيت هذه الآلة مستعملة إلى ما بعد اختراع المدافع ثم أُنعدمت بالكلية . وكانت مستعملة بمصر إلى زمن الفتح العثماني . وقد رأيت منها رواميز كثيرة محفوظة بدار التحف العسكرية بالقسطنطينية . وأشار إليها آبن إلياس في "بدائع الزهور في وقائع الدهور" مرات عديدة منها قوله : "وضربه بطبر كان معه على وجهه فسقط إلى الأرض مغشياً عليه" (ج ١ ص ٢٤٧) ؛ وقوله : "خرج عليهم التركان بالقسي والنشاب والسيوف والاطبار" (ج ٢ ص ١١٠) ؛ وقوله : "فلما خرجوا بهم قطعهم بالاطبار قطعاً قطعاً" (ج ٣ ص ٢٦٩)

(١)

وَعَدَلَ فِيهِمْ، حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ آلِ سَاسَانَ.

إِلَّا أَنَّ اللَّهَ وَاللَّعِبَ كَانَ أَغْلَبَ أَحْوَالَهُ عَلَيْهِ.



استقصاء الملك
لأحوال رعيته

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْبَحْثُ عَنْ سَرَائِرِ خَاصَّتِهِ وَحَاقَّتِهِ، وَإِذْكَاءُ الْعِيُونِ عَلَيْهِمْ خَاصَّةً وَعَلَى الرِّعْيَةِ عَامَّةً.

وَأَمَّا سُمِّيَ الْمَلِكُ رَاعِيًا لِيَفْهَمَ عَنْ دَقَائِقِ أُمُورِ الرِّعْيَةِ وَخَفِيِّ نِيَّاتِهِمْ. وَمَتَى غَفَلَ الْمَلِكُ عَنْ فَحْصِ أَسْرَارِ رَعِيَّتِهِ وَبَحْثِ عَنْ أَخْبَارِهَا، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ أَسْمِ الرَّاغِي إِلَّا رَشْمُهُ، وَمِنْ الْمَلِكِ إِلَّا ذِكْرُهُ.

فَأَمَّا الْمَلِكُ السَّعِيدُ، فَمِنْ أَخْلَاقِهِ الْبَحْثُ عَنْ كُلِّ خَفِيٍّ وَدَفِينٍ حَتَّى يَعْرِفَهُ مَعْرِفَةً نَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَهَمٌّ وَلَا أَكْبَرَى فِي سِيَاسَتِهِ وَنِظَامِ مُلْكِهِ مِنَ الْفَحْصِ عَمَّا قَدْ مَنَّا ذِكْرَهُ.

الملوك والخلفاء
الذين اشتروا
بذلك

وَلَمْ يَرْمِكْ قَطُّ كَانَ أُعْجِبَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَك. وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُصَبِّحُ فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بَاتَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ فِي قَصَبَةِ دَارِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيُمَسِّي فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ أَصْبَحُوا عَلَيْهِ. فَكَانَ مَتَى شَاءَ قَالَ لِأَرْفَعِهِمْ وَأَوْضَعِهِمْ: كَانَ

١٢٩

(١) رَوَى أَبُو ظَهْرٍ هَذِهِ الْحِكَايَةَ الَّتِي قَبْلَهَا بَطْوِيلٌ كَبِيرٌ وَتَفْصِيلٌ كَثِيرٌ. (أَنْظَرِ "سُلْوَانَ الْمُطَاعِ فِي عُدْوَانِ الْأَتْبَاعِ" الْمَطْبُوعَ عَلَى الْهَجْرِ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٢٠٨ هـ مِنْ صَفْحَةِ ١٠٠ إِلَى صَفْحَةِ ١٠٤؛ وَأَنْظَرِ تَرْجُمَتَهُ إِلَى الْإِنْكِلَازِيَّةِ لِلْعَلَامَةِ مِيشَلِ أَمَارِي الطَّلِبَانِي Michel Amari، طُبِعَ لُونْدَرَةَ سَنَةِ ١٨٥٢ ج ٢ ص ١٥٤-١٦٥).

(٢) ص: ودقيق.

(٣) ص: معرفة تفيه.

عندك في هذه الليلة كَيْتَ وَكَيْتَ^(١). ثم يحدثه بكل ما كان فيه إلى أن أصبح.
فيقال إن بعضهم كان يقول إنه كان يأتيه مَلَكٌ من السماء فيُخبرُه^(٢). وما كان ذلك
إلا لتيقُّظه وكثرة تعهده لأُمور رعيته^(٣).

ثم كان فيمن نأى من أهل مملكته على مثل هذه الحال .
فيقال إن الأُمم كلُّها، أولها وآخرها، وقديمها وحديثها، لم تَخَفْ أحداً من ملوكها
خَوْفها أردشير بن بابك من ملوك الأعاجم ومن كان قبلهم، وعمر بن الخطَّاب من
خلفاء الإسلام^(٤).

فإنَّ عُمرَ كان علمُه بمن نأى عنه من عُمَّاله ورعيته كعلمه بمن بات معه في مهادٍ
واحدٍ، وعلى وِسَادٍ واحدٍ . فلم يكن له في قُطْرٍ من الأقطار ولا ناحية من النواحي
عاملٌ ولا أميرٌ جيشٍ إلا وعليه له عَيْنٌ لا يفارقه ما وجدته . فكانت أَلْفَاظُ مَنْ بالشرق
والمغرب عنده في كُلِّ مُسَمًّى ومُصْبَحٍ . وأنت ترى ذلك في كُتُبِهِ إلى عُمَّاله وعُمَّالهم

(١) بفتح التاء، وبكسرهما أى كذا وكذا .

(٢) أنظر التفصيل الذى أورده الألبهسى في "المستطرف" (ج ١ ص ١٠٨) .

(٣) ورد هذا الخبر في "الحاسن والمساوى" ص ١٥٣ . وكان كسرى أنوشروان أشد الناس تطلُّعا
في خفايا الأمور وأعظم خلق الله تعالى في زمانه تفحُّصا وبحثا عن أسرار الصدور . وكان يثُ العيون على
الرعايا، والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا . فيعلم المفسد فيقابله
بالتأديب، والمصلح فيجازيه بالإحسان . ويقول : متى غفل الملك عن تعرُّف ذلك، فليس له من الملك إلا
أسمه وسقطت من القلوب هيئته . (مستطرف ج ٢ ص ١١٤)

(٤) روى ذلك في "الحاسن والمساوى" ص ١٥٣



حتى كان العامل منهم لَيْتَهُمْ أَقْرَبَ الخلق إليه وأخصهم به. فساس الرعية سياسة
أردشير بن بابك في الفحص عن أسرارها خاصة.

(٢) (١)

ثم أقتنى معاوية فعله وطلب أثره، فانتظم له أمره وطالت له مدته.

وكذا كان زياد ابن أبيه يمتدحى فعل معاوية كاحتذاء معاوية فعل عمر. وفيما يحكى
عنه أن رجلاً كلمه في حاجة له، فتعترف إليه - وهو يظن أنه لا يعرفه - فقال: أصلح
الله الأمير! أنا فلان بن فلان. فتبسم زياد وقال: نتعرف إلى، وأنا أعرف بك منك
بأبيك؟ والله إنى لأعرفك وأعرف أباك وجدك وأمك وجدتك، وأعرف هذا البرد
الذى عليك، وهو لفلان بن فلان. فبهت الرجل وأرعب حتى أُرعد^(٤) [وكاد يُغشى عليه].^(٢)
وعلى هذا كان عبد الملك بن مروان، والمجّاج بن يوسف.

ثم لم يكن بعد هؤلاء أحد في مثل هذه السياسة حتى ملك المنصور. فكان أكثر
الأمور عنده معرفة أحوال الناس، حتى عرف الولي من العدو والمُداجي من المُسلم.^(٦)
فساس الرعية وليسها، وهو من معرفتها على مثل وضع النهار.^(٧)

(١) وأنظر ما وقع له مع نفر الذين كانوا يشرّبون المزرة خفية ومع المرأة التي جاءها المخاض،
في "المستطرف" ج ١ ص ١٠٨ وج ٢ ص ١١٤ و ١١٥

(٢) روى ذلك في "المحاسن والمساوى" ص ١٥٤ .

(٣) أنظر ما جاء في المستطرف (ج ٢ ص ١١٥)

(٤) روى صاحب "المستطرف" الحكاية التي أوردتها الجاحظ (ج ٢ ص ١١٥ وج ١ ص ١٠٨)

(٥) "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥)

(٦) روى ذلك في "المحاسن والمساوى" ص ١٥٤ .

(٧) لبسها أى تمل بها دهرًا طويلاً .

(٨) أنظر التفصيل الذى أوردته في "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥ - ١١٧)



ثم دَرَسَتْ هذه السياسةُ حتى مَلَكَ الرَّشِيدُ. فكان أَشَدَّ الملوك بحثًا عن أسرار رعيته وأكثَرهم بها عنايةً وأحزَمهم فيها أمرًا.

وعلى نحو هذا كان المأمونُ أيامه. والدليل على ما قلنا فيه ما شاهدنا من رسالته إلى إسحاق بن إبراهيم في الفقهاء وأصحاب الحديث، وهو بالشَّام. ^(١)خبر فيها عن عيب واحد ^(٢)واحد، وعن حالته وأموره التي خَفِيَتْ - أو أكثَرها - عن القريب والبعيد.

ثم ما عَلِمْتُ أَنَّ أحدًا من كان دون السلطان الأعظم في دهرنا هذا، كان أَشَدَّ ^(٣)على الأسرار بحثًا وأكثَرَ لها لُحْصًا حتى بلغ من هذا الجنس أَقصى حدّه وأَحْرَ نهايته وأبعد مداه، وجَعَلَهُ أَكثَرُ شُغْلِهِ في ليله ونهاره، إلا إسحاق بن إبراهيم. فحدثني موسى بن صالح بن شيخ، قال: ^(٤)كَلَّمْتُهُ في امرأةٍ من بعض أهلنا وسألته النظر لها.

١٠ (١) صه: حصر.

(٢) كان للمأمون ألف عجوز وسبعائة، يتفقد بهن أحوال الناس من الأشقياء ومن يحبّه ويُبغضه ومن يُفسد حُرْمَ المسلمين، وكان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتية كلها. وكان يدور ليلا ونهارا مستترا. (محاضرات الأوائل)

(٣) صه: علينا. | وأهمل هذه الكلمة في "الحاسن والمساوي" وأستعمل صيغة مطلقه فقال: ولم يكن أحد

من كان إلخ. ولكنه نسى ذلك فعاد وقال حدثني موسى بن صالح وهي من كلام الجاحظ كما تراه بعد كلمات. | ١٥

(٤) هو المصعبي أمير بغداد.

(٥) روى ذلك في "الحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٦) هو موسى بن صالح بن شيخ (بالشين المعجمة والياء المثناة التحتية والحاء المعجمة) ابن عميرة الأسدي.

كان من ندماء الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعبي أمير بغداد.

٢٠ وأنظر أيضا القصة التي رواها صاحب "الأغاني" في ج ٥ ص ٨٤ و ٨٥ وفيها إشارة إليه؛ وكذلك

الحكاية التي رواها المسعودي عن هذا النديم في "مروج الذهب" (ج ٧ ص ٢١١ و ٢١٢). وكانت وفاته

في سنة ٢٥٧ في خلافة المعتمد على الله، وقد نيّف على التسعين. وقُبِضَ أبوه بعد أن عمّر ٩٩ سنة.

("مروج الذهب" ص ٨٠، ٢١٠)

فقال: يا أبا محمد! من قصة هذه المرأة ومن حالها ومن فعلها. قال: فوالله! لم يزل يصفها ويصف أحوالها حتى بهت.^(١)

[وحدث أبو البرق الشاعر قال: كان يجرى على أرزاقا فدخلت عليه، فقال بعد أن أنشدته: "كم عيالك؟" تحتاج في كل شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا. " فأخبرني بشيء من أمر منزلي مما جهلت بعضه وعلمه كله.]^(٢)

وحدثني بعض من كان في ناحيته، قال: رفعت إليه رُقعة أسأله فيها إجراء أرزاق. فقال: كم عيالك؟ فزدت في العدد. فقال: كذبت! فبهت وقلت في نفسي: يا نفس من أين علم أني كذبت! فاقمت سنة لا أجتري على كلامه. ثم رفعت إليه رُقعة أخرى في إجراء أرزاق. فقال: كم عيالك؟ فقلت: أربعة. فقال: صدقت. فوقع في حاشية رقعتي: يجرى على عياله كذا وكذا.

ولولا أن يطول كتابنا في إسحاق وذكره، لحكىنا عنه أخبارا كثيرة. وهي من هذا الجنس، وفيما ذكرناه كفاية.

التمييز بين
الاولياء والأعداء.

فعلى الملك أن يميز بين أوليائه وأعدائه بالفحص عن أسرارهم ودقيق أخبارهم، حتى إن أمكنه أن يعرف مبيت أحدهم ومقيله وما أحدث فيهما، فعلى.

(١) يعني: من قصتها كبت وكبت. وقد ترك المؤلف الخبر لأنه معلوم. وهذه عادة شائعة بين أكابر الكتاب.

(٢) هذه الكلمة مضبوطة في سـ: بهت. [وهو خطأ ظاهر من النسخ. وقد روى الألبهسي هذه القصة ونسبها للأمون. (المستطرف ج ١ ص ١٠٨).] روى ذلك في "الحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٣) هذه الزيادة من "الحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٤) رجع صاحب "الحاسن والمساوي" هنا إلى صيغة المطلق فقال: حدث بعض من كان الخ. وذكر القصة بتمامها وبحروفها. (ص ١٥٥)

فإن الرعية لا تَسْكُنُ قلوبها جلالته مَلِكُها - ولو عبدته الجن والإنس ودانت له
ملوك الأمم كلها - حتى يكون أشدَّ إشرافاً عليها وأكثر بحثاً عن سرّاتها، من أم الفريد
عن حركته وسكونه.



وأيضاً فإنه يُقال في بعض كُتُب الأوائِل في مواعظ الملوك وآدابها:

بماذا تطول مدّة
الملك

”إن الملك تطول مدّته إذا كانت فيه أربع خصال:

أحداها، أنه لا يرضى لرعيته إلا ما يرضاه لنفسه؛

والأخرى، أن لا يسوّف عملاً يخاف عاقبته؛

والأخرى، أن يجعل وليّ عهده من ترضاه وتختاره رعاياه لا من تهواه نفسه؛



والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية، فخصّ المُرْضِع عن منام رضيعها.“

١٠

وقد نجد مصداقَ هذا القول ونشهدُ به. وذلك أنا لم نرمدة طالت لملكٍ عربيٍّ
ولا عجميٍّ قطُّ إلا لمن فحَصَ عن الأسرار، وبحثَ عن خفيِّ الأخبار، حتى يكونَ
في أمر رعيته على مثلِ وَصَحِ النَّهَارِ.

(١) في سه: إشراف.

(٢) في سه: ”سرّاتها في الفريد“. وللملم يكن الجملة معنى أرضيه فقد صححتها على ما هو في المتن ليكون
المعنى ”أن الملك يجب أن تكون عنايته بهذه الامور أكثر من عناية الأم بحركة ولدها الوحيد الفريد
وبسكونه.“ وبذلك يستقيم المعنى وينسجم الكلام. [يؤيد هذا التخريج قول الجاحظ بعد ذلك بستة سطور:
”والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية فخص المُرْضِع عن منام رضيعها.“]

١٥

(٣) في سه: الكتب.



واجبات الملوك
عند الأحداث
الخطيرة

ومن أخلاق الملك، إذا دهمه أمرٌ جليلٌ من فتقٍ نَفَرٍ أو قتلٍ صاحبِ جيشٍ أو ظهورِ عَدُوٍّ يدعو إلى خلافِ المِلَّةِ أو قوَّةِ مناوئٍ، أن يترك الساعات التي فيها لهوهُ ويجعلها وسائر الساعات في تدبير مكايدة عدوِّه وتجهيز جنوده وجيوشه، وأن يصرف في ذلك شغلَه وفكرَه وفراغَه (على مثل ما فعل من مضى من ملوك الأعاجم وغيرها) ولا يجعل للتسويق والتمتُّ وحسن الظنِّ بالأيام نصيبًا.

فإن هذا عَجْزٌ من الملِكِ ووَهْنٌ يدخل على الملِكِ.

سنة الأعاجم
إذا دهمتهم
الكوارث والعفائم
١١٣٣

وكانت ملوك الأعاجم، إذا حزَّ بها مثلُ هذا، أمرت بالموائد التي كانت توضع في كل يوم أن تُرفعَ وظائفُها، وأقتصرَت على مائدةٍ لطيفةٍ تقرُّبُ من الملك ويحضرها ثلاثة: أحدهم مُوبَّدان مُوبَّدٌ والديربذ ورأس الأساورة. فلا يوضع عليها إلا الخبزُ والمِلْحُ والخَلُّ والبَقْلُ. فيأخذ منه شيئاً هو ومن معه. ثم يأتيه الخبَّاز بالزماورد في طبق. فيأكلُ

(١) في سـ: والدموبذ. وفي صـ: الربر. | وأنظر الحاشية ٢ صفحة ٧٧ و٧٨ صفحة ١٦٠ من هذا الكتاب.

(٢) الخبَّاز (هنا وفي كتب المسعودي وفي كتاب الأغاني) معناه خادم المائدة، لا بمعنى الذي يصنع الخبز. وذلك هو الذي نسميه الآن بالسفرهجي.

(٣) قال عاصم أفندي في ترجمة المعجم الفارسي "برهان قاطع" إلى اللغة التركية ما معناه "زماورد هو طعام يسمى لقمة القاضي، ونفذ السَّت، ولقمة الخليفة. وهو مصنوع من اللحم المقلَّى بالزبد والبيض. ويقال فيه أيضاً برماورد بالراء المهملة". وقال الشهاب الخفاجي في "شفاء الغليل" مانصه: "زماورد، والعامة تقول زماورد. كلمة فارسية استعملها العرب للرقاق الملفوف باللحم. كذا في حواشي الكشف. وفي القاموس: الزماورد بالضم طعام من البيض واللحم. وفي كتب الأدب: طعام يقال له لقمة القاضي ولقمة الخليفة. ويسمى =

(١) منه نُقْمَةٌ. ثم يَرْفَعُ المائدةَ ويتشَاغَلُ بتدبيرِ حَرْبه وتجهيزِ عساكره. ولا تَزَالُ هذه حاله حتَّى يَأْتِيَهُ عن ذلك الفتق ما يرتقه، وعن ذلك العدو ما يُحِبُّ. فإذا أتاه، أَمَرَ أَنْ يُتَخَذَ له طعامٌ مثلُ طعامه الأول، وأَمَرَ الخَاصَّةَ والعامةَ بالحضور. وقامت الخطباءُ أولاً بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له. ثم قام المُوبَذُ فتكلَّم، ثم الوزراء بنحو من كلام الخطباء. ثم مدَّ الناس أيديهم إلى الأُطعمة على مراتبهم. فإذا فرغوا، بَسَطَ للعامة في ظهر الإيوان، وللخاصة في صَحْنِهِ بحضرة الملك. وقعدَ صاحبُ الشرطة للعامة، كقعود الملك للخاصة. ثم دعا بالمغنيين وأصحاب الملاهي.

وكانوا يقولون: إِنَّ حَقَّ شُكْرِ النعمة أَنْ يُرَى أَثَرُهَا.

= بخراسان نواله؛ ويسمى زرجس المائدة وميسر ومهيا. "والذي في شرح القاموس في مادة (ورد) يماثل هذا الكلام، ولكنه قال في مادة (زم رد) إن الزماورد دواء معروف، ووعد بشرحه في مادة (ورد) ولم يفعل. ويتلخص من هذا البيان أن الباء أصلية في بنية الكلمة كما يشهد به صاحب "برهان قاطع" وكما يدل عليه استعمال الجاحظ. وربما رأى العرب التخفيف فحذفوا الباء من أول الكلمة. ولكن ذلك لا يجوز معه القول بأن بزماورد من كلام العامة. ويكون هذا الطعام عبارة عما نسميه الآن (الكفتة). وأما لقمة القاضي فهي الآن في مصر عبارة عن صنف من الحلوى يُتَخَذُ من الدقيق معجوناً بالسمن والسكر ثم يُقْلَى ذلك المخلوط على أقراص مستديرة لها صومعة رُبَّمَا تكون فوقها قطعة من القشدة. ورأيتُ في "كتاب مبادئ اللغة" لأبن الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٢١٤؛ مانصه: "الزماورد هو المِهْنَةُ والمُيسَّر. وقال بعض المتأخرين: أَكَلُ المِيسَّرِ من رأسين، يَأْسَكُنِي، * لَا يَسْتَطَاعُ وَلَا سَيْفَانِ فِي غَمَدٍ."

وقد ذكر صاحب "الأغاني" هذا الطعام. (ج ٤، ص ١٥٤)

(١) في سبه: نُقْمًا.

(٢) روى ذلك صاحب "محاسن الملوك" باختصار ووقف عند هذا المكان، ثم زاد أن ملوك الفرس كانوا يقولون: "أَسْعَدُ المُلُوكَ مَنْ غَلَبَ عَدُوَّهُ بالحيلة." (ص ١٠٥)

[وكانت الخلفاء والأمراء إذا دهمهم أمرٌ - فزعوا إلى المنابر وحرّضوا الناس على
(١)
الطاعة ولزوم الجماعة.]

١٤٥
ما فعله معاوية
أيام صفين

وفما يُذكر عن معاوية أنه قال: ما ذُفَّتْ أيامَ صفينَ لحمًا ولا شحما ولا حُلُولًا ولا
(٢)
حامضًا، ما كان إلا الخُبْزُ والجُبْنُ وخَشِنُ المِلْحِ [إلى أن تمَّ لي ما أردته].

ما فعله عبد الملك
عند خروج ابن
الأشعث عليه

وَيُحْكِي عن عبد الملك بن مروان أنَّ صاحبَ إفريقية أهدى إليه جاريةً تامَّةً
المحاسن، شبهة المَتَّامِلِ. قال: فلما أنَّ دخلت على عبد الملك بن مروان، نظر إليها
وفي يده قضيبٌ خيزراني، فصعدَ ببصره إليها وصوبه، ثم رمى بالقضيب. وقال: رُدِّيهِ
عَلَيَّ، فَوَلَّتْ. فنظر إليها مُقْبِلَةً ومُدْرِيَةً. فقال: أَنْتِ واللهِ أُمْنِيَّةُ الْمُتَمَنِّي. قالت: فما
يَمْنَعُكَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ كانت هذه صِفَتِي عندك؟ قال: بَيْتٌ قاله الْأَخْطَلُ:

(٣)
قومٌ إِذا حاربوا، شَدُّوا ما زَرَهُمْ * دونَ النساءِ، ولو باتتْ بأطهار.

وكان هذا في خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. ثم أمر بها أن تُصانَ
(٤)
وتُحْدَمَ. فلما فُتِحَ عليه، كانت أوَّلَ جاريةٍ دَعَا بِهَا.

ما فعله مروان
ابن محمد عند ظهور
العباسيين

(٤)
وَيُحْكِي عن مروان بن محمد الجَعْدِيِّ أَنَّهُ أَقام ثلاثين شهرًا لم يَطُ جاريةً إلى أنْ
قُتِلَ. وكان إِذا اسْتَهْدَفَتْ إِلَيْهِ الجاريةُ قال: إِلَيْكَ عَنِّي! فواللهِ لا دنوتُ من أُتَيْ

(١) هذه الزيادة عن "محاسن الملوك" (ص ١١٠).

(٢) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذا الخبر باختصار قليل وأضاف عليه الجملة التي زدناها في المتن.

(ص ١٠٥ - ١٠٦)

(٣) أورد هذا صاحب "محاسن الملوك" في صفحة ١٠٦.

(٤) آخر خلفاء بني أمية [أنظر حاشية ٣ صفحة ١٠٦ من هذا الكتاب].

وَلَا حَلَّتْ لَهَا عَقْدَ حَبَوْتِي، وَخُرَاسَانُ تَرْجَفُ بَنَصِيرٍ، وَأَبُو نُجَيْرٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْمُخْتَقِ^(٤)!

(١) ترجف بنصر أي تضطرب به . وهو نصر بن سيار الذي ولّاه هشام بن عبد الملك إقليم خراسان فلم يزل واليا عليه حتى وقعت الفتنة بظهور العباسيين وطلبهم الخلافة على يد صاحب الدعوة أبي مسلم الخراساني . وكتب نصر إلى مروان الجعدي آخر الخلفاء الأمويين يستجده بالأبيات المشهورة ، وهي :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ نَارٍ * وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضَرَامُ .
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكَّى * وَإِنَّ الْحَرْبَ أَتَوْهَا الْكَلَامُ .
فَإِنْ لَمْ تَغْلُفْهُمَا ، تَنْجَبُ حَرْبًا * مَشْمَرَةٌ يَشِيبُ لَهَا الْغَلَامُ .
أَقُولُ مِنَ التَّعَجُّبِ : لَيْتَ شِعْرِي ! * أَلْأَيْقَاطُ أُمِّمَةٌ أَمْ نِيَامُ ؟
فَإِنْ يَكُ قَوْمُنَا أَضْحَوْا نِيَامًا ، * فَقُلْ : قَوْمُوا ، فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ !
فَقَرَّرْتُ عَنْ رَحَالِكُ ثُمَّ قَوْلِي : * عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ !

١٠

وأخباره معروفة ، تراها في "مروج الذهب" و"معارف" ابن قتيبة و"وفيات الأعيان" و"فتوح البلدان" وأبي الفداء و"الأغانى" وابن خلدون و"معجم البلدان" .

(٣) في سه : "أبو مخزوم" . وهو تحريف من الناسخ . والإشارة هنا إلى أبي مسلم الخراساني الذي كان قد ضيق الخناق على نصر بن سيار المذكور في الحاشية السابقة . وقد لقبه مروان بأبي مجرم بدلا من أبي مسلم بمعنى أبي الذنب والإجرام . وقد بق له هذا التبر في الدولة العباسية . فإن المنصور خاطبه بعد أن قتله بقوله :

١٥

زَعَمْتَ أَنَّ الدِّينَ لَا يُقْضَى ؟ * فَاسْتَوِ بِالْكَيْلِ ، أَبَا نُجَيْرٍ !
اشْرَبَ بِكَاسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا ، * أَمَرَ فِي الْخَلْقِ مِنَ الْعَلَقَمِ !
وَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : أَبَا نُجَيْرٍ ، مَا غَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَةً * عَلَى عَبْدِهِ حَتَّى يَغْيَرَهَا الْعَبْدُ !
أَفِي دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ حَاوَلْتَ غَدْرَةً ؟ * أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْغَدْرِ آبَاؤُكَ الْكُذُّ !
أَبَا مُسْلِمَ خَوْفَنِي الْقَتْلَ فَأَنْتَحَى * عَلَيْكَ بِمَا خَوْفَنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ !

٢٠

وأنظر ابن خلكان في ترجمته ، و"شذرات الذهب" (ج ١ ص ٢٩٨ و ١٩٩) | وأنظر ص ٨٢ من هذا الكتاب . | وأنظر "البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥٥"

(٤) لخص ذلك صاحب "محاسن الملوك" (ص ١٠٦) . وقد أورد المسعودي هذه الحكاية ، فقال : "وأقام مروان أكثر أيامه لا يلدن من النساء إلى أن قُتل . وتراوت له جارية من جواريه ، فقال لها : والله لا دنوت منك ، ولا حلت لك عقدة . وخراسان ترجف وتنصرم بنصر بن سيار ، وأبو نُجَيْرٍ قد أخذ منه بالاختق" .

٢٥

("مروج الذهب" ج ٦ ص ٦٣ و ٦٤ طبع أوروبا ؛ ج ٢ ص ١٥٩ طبع بولاق)



مكابدة الملوك
في الحروب

ومن أخلاق الملوك المكابدة في حروبها .

ولذلك كان يقال ينبغي للملك السعيد أن يجعل المحاربة آخِرَ حِيلِهِ . فإن النفقة في كُلِّ شيء إنما هي من الأموال ، والنفقة في الحروب إنما هي من الأنفس . فإن كان للحيل محمودٌ عاقبةً ، فذلك بسعادة الملك ، إذ ربحَ ماله وحقنَ دماءَ جيوشه . وإن آعيت الحيل والمكايدُ ، كانت المحاربة من وراء ذلك .

فأسعدُ الملوك مَنْ غَلَبَ عَدُوَّهُ بالحيلة والمكر والخديعة .

وقد روينا عن نبينا (صلى الله عليه وسلم) ما يُحقِّقُ هذا ويؤكدُه بقوله : ”الْحَرْبُ خُدْعَةٌ“ .

وليس لأحدٍ من الخدَع ما للملوك الأعاجم . والأخبارُ في ذلك عنهم كثيرة . ولكنَّا نقتصرُ من ذلك على حديثٍ أو حديثين .

فمن ذلك ما يُذكر عن بهرامٍ جُورأنه لما ملك بعد أبيه يَزْدَجَرْدُ ، بلغه أن ناحيةً من نواحي أطرافه قد أخذت ، وغلبَ عليها العدو . فاستخفَّ بها وأظهر الاستهانة به حتى قوَّى أمرُ ذلك العدو وأشتدت شوكتُه . فكان إذا أُخبر بحاله ، استخفَّ بأمره وصغُرَ من شأنه . حتى قيل إنه قد زحفَ إليك ووجهَ جيوشه إلى قرار دارك . فقال : دَعُوهُ فليس أمرُه بشيء . فلما رأى وزراؤه تهاونه وتراخيه عن أمرِ عدوه وآستهانتَه به ، اجتمعوا إليه فقالوا : إن تَرَأَيْتَ الملكَ عن عدوه ليس من سياسة الملك ولا تدبيرِ المملكة ، وقد قُربَ هذا العدو من قرار دار الملك ، وأمرُه كُلُّ يومٍ في عُلوٍّ . فقال بهرام : دَعُوهُ ، فأنا أعلمُ بضعفه وصغُر شأنه منكم . وأقبلَ على اللُّهو واللعب ، وترك

(٢) ما يَجِبُ عليه من الصَّمَدِ لعدوه والقصد له . فلما دنا عدوه منه وأشرف عليه وخاف
الوزراء ورؤساء أهل المملكة أجتَمَعُوا فتأمروا بينهم على توبيخ الملك وتعنيفه
وإعلامه ما قد أشرفوا عليه من البوار والمَلَكَة . وبلغه الخبر . فأمر مائتي جارية من
جواريه ، فلبسن الثياب المصبغة المختلفة الألوان ، ووضعن على رؤوسهن أكاليل
الريحان ، وركبن القصب . وفعل بهرام كما فعلن . فلبسن من ثيابهن المصبوغة ، وركبن
قصبه . وأذن للوزراء ، فدخلوا عليه . فلما رآهم ، صاح بالجواري . فرزن يخطرن ،
وبهراهم خلفهن يغني ، وهن يغنين معه ، ويصحن ويلعن . فلما رأى ذلك وزراؤه
يُسُوا منه واجتمعوا على خاذه . وبلغه الخبر . فدعا جارية من خاص جواريه ، وقال :
لك الويل ! إن علم أحد من أهل المملكة ما أريد أن أفعل ! ثم أمرها أن تخلق رأسه ،
ولحقت . ودعا بمدرة صوف فتدرعها ، وخرج في جوف الليل ومعه قوسه ونشابه .
وتقدم إلى الجارية أن تخفي أمره وتظهر أنه عليل إلى رجوعه إليها . ومضى وحده
حتى انتهى إلى طلائع العدو . فكمن في مغار على ظهر الطريق . فجعل لا يمر به طائر
في السماء ولا وحش في البر ، إلا وضع سهمه منه حيث أحب . وجعل يجمع كل
ما صاد من ذلك ، فجمعه بين يديه حتى صار كالشيء العظيم . قال : فتربه صاحب
طليعة العدو ، فنظر إلى أمر بهت له . فأخذه وقال : ويلك ! ما أنت ومن أنت ومن أين
أنت ؟ قال : إن أعطيني الأمان ، أخبرتك ! قال : فلك الأمان ! قال : أنا غلام سائس ،
وإن مولاي غضب على - وكان لي محسنا - فأوجعني ضرباً ونزع ثيابي وخلق رأسي
والبسني هذه المدرة وأجاعني . وإني طلبت غفلة ، فخرجت أطلب شيئاً أصيده

(١) الصمد هو القصد كما فسره المؤلف بعده براو العطف .

(٢) في سه "وفاق" وقد أعتمدت رواية سه .

فَأَكَلَهُ . فلما أعجبنى كثرة ماصدتُ، أردتُ أن أرمى بكلِّ ما معي من هذه السهام، ثم أنصرفت .

فأخذه حمله إلى الملك فأخبره بقصته . فقال له الملك : إرم بين يدي ! فرمى بين يديه . فكان لا يضع سهمه في طائر ولا غيره إلا أصابه حيث أراد . فبهت الملك ، وطال تعجبه . فقال : ويلك ! في هذه الملكة من يرمى رمياتك ؟ فضحك بهرام ، وقال : أيها الملك ! أنا أخسهم رميةً وأحقهم قدرًا . وعندى جنس آخر من الثقافة ^(١) . قال : وما هو ؟ قال : أدع لى يابري . فدعا له بها . فأخذ إبرة فرمى بها على عشرة أذرع ، ثم أتبعها بأخرى فشكها ، ثم أتبعها بأخرى فشكها كذلك ، حتى جعلها سلسلة قد تعلق بعضها ببعض .

فبهت الملك وملى قلبه رعبًا . فقال له : ويلك ! ملككم هذا جاهل ! أما يعلم أنى قد قربت من قرار داره ؟ فضحك بهرام ، وقال : إن أعطانى الملك الأمان ، نصحتُه . قال : قد أعطيتك الأمان . قال : إن ملكنا إنما ترك آستهانة بأمرك ، وتصغيراً لشأنك ، وعلمًا بأنك لا تخرج من قبضته . وذلك أنى أخس من فى دار مملكته وأحملهم ذكرًا . فإذا كنت - وأنا بهذه الحال - أقتل بألف سهم ألف رجل ، فما ظنك بالملك ، وله مائة ألف عبد فى قرار داره ، أصغرهم شأنًا أكبر منى ؟ فقال له الملك : صدقتنى فيما قلت ! ولقد خبرت عن بهرام من تصغيره لشأنى واستخفافه بأمرى ما طبق خبرك . وما تركنى أبلغ هذا الموضع من ملكه إلا لما ذكرت .

فأمر عظيم جيشه أن يرتحل من ساعته . ونادى فى الناس بالرحيل . ثم خرج ليلوى على شىء ، وأطلق بهرام . فأنصرف بعد ثلاثة حتى دخل داره ليلاً . فلما أصبح ،

قَدَ لِلنَّاسِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْوُزَرَاءُ وَالْعِظَاءُ. فَقَالَ: مَا عِنْدَكُمْ مِنْ خَبَرٍ عَدَوْنَا هَذَا؟ فَأَخْبَرُوهُ
بِانْصِرَافِهِ عَنْهُمْ. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ صَغِيرُ الشَّأْنِ، ضَعِيفُ الْمُنَّةِ^(١).

وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَا كَانَتْ الْعِلَّةُ فِي انْصِرَافِهِ^(٢).

وَكَانَ كَسْرَى أَبْرُويز، بَعْدَ بَهْرَامِ جُور، صَاحِبَ مَكَايِدَ وَخِدَعٍ فِي الْحُرُوبِ وَنِكَايَةِ
فِي الْعَدُوِّ^(٣).

مكايد أبرويز

وَكَانَ قَدْ وَجَّهَ شَهْرَ بَرَّازَ لِحَارِبَةِ مَلِكِ الرُّومِ، وَكَانَ مُقَدِّمًا عِنْدَهُ فِي الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ^(٤).

١٥١

(١) أَى الْقُوَّةَ .

(٢) نَقَلَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِالْحَرْفِ صَاحِبُ "تَنْبِيهِ الْمُلُوكِ" (ص ٣٤ - ٣٨)، وَلَخَصَهَا صَاحِبُ "مَحَاسِنِ

الْمُلُوكِ" (ص ١٠٧) .

(٣) الْحِكَايَةُ الْآتِيَةُ نَقَّلَهَا أَيْضًا صَاحِبُ كِتَابِ "تَنْبِيهِ الْمُلُوكِ وَالْمَكَايِدَ" الْمُنَسُوبِ لِلْمُحَافِظِ، وَفِيهَا تَحْرِيفٌ
كَثِيرٌ وَسَقَطٌ مُتَوَاتِرٌ وَأَضْطِرَابٌ فِي التَّعْبِيرِ (ص ٢٢ - ٢٦) .

(٤) فِي سَمِّهِ : شَهْرُ يَزَادَ . وَهُوَ تَصْغِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ ، وَفِي صَمِّهِ : شَهْرُ يَارُ وَقَدْ صَحَّفَ نَاسِخُ آبِنِ الْأَثِيرِ
هَذَا الْأَسْمَ بِفَعْلُوهِ شَهْرُ يَزَادَ وَشَهْرُ يَزَارَ ، كَمَا صَحَّفُوهُ فِي نَسْخِ "مَرْوَجِ الذَّهَبِ" بِفَعْلُوهِ مِثْلَ صَمِّهِ شَهْرُ يَارَ
(وَقَدْ صَحَّحَهُ الْعِلَامَةُ بَارِ بِيهِ دُومِينَارُ فِي تَرْجُمَتِهِ فَعْلُهُ شَهْرُ بَارَ لِيَكُونَ مُطَابِقًا لِلْأَسْمِ الْوَارِدِ فِي نَوَارِجِ الرُّومِ) .
وَأَمَّا الصَّحِيحُ فَهُوَ الَّذِي اعْتَمَدْنَاهُ . (أَنْظُرْ جَمِيعَ الْمُؤَرِّخِينَ وَخُصُوصًا الثَّعَالِبِيَّ فِي "غُرَرِ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْفَرَسِ"
ص ٧٠١ حَيْثُ أُرِدَ هَذِهِ الْقِصَّةُ) . وَأَنْظُرْ آبِنِ الْأَثِيرِ . (ج ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٩) وَقَدْ أُرِدَ قِصَّةُ
أُخْرَى فِي سَبَبِ انْتِقَاصِ شَهْرِ بَرَّازَ فِي الْخِدْبَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا أَبْرُويز لِقَصْدِ مَلِكِ الرُّومِ عَنْهُ . (وَأَنْظُرْ "التَّنبِيهِ
وَالْإِشْرَافَ" ص ١٥٦ وَ ١٥٧) .

وَقَدْ أُرِدَ هَذِهِ الْقِصَّةُ بِرَوَايَةِ أُخْرَى فِي "مَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي" ص ١٣٦ - ١٣٧ . وَسَمَّى الْقَائِدَ "شَهْرَ بَرَّازَ"

عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ الَّذِي اعْتَمَدْنَاهُ فِي الْمَتْنِ .

(٥) فِي سَمِّهِ : فَكَانَ .

وَالْبَسَالَةِ وَيَمْنِ النَّقِيبَةِ. فَكَانَ شَهْرُ بَرَّازٍ قَدْ ضَيَّقَ عَلَى مَلِكِ [الرُّومِ] أَقْرَارَ دَارِهِ وَأَخَذَ يُمَخِّقُهُ
 حَتَّى هَمَّ بِمُهَاذَنَتِهِ وَمَلَّ حِمَارَ بَنَتِهِ وَطَلَبَ الْكَفَّ عَنْهُ. فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ شَهْرُ بَرَّازٍ.
 وَاسْتَعَدَّ لَهُ مَلِكُ الرُّومِ بِأَفْضَلِ عُدَّةٍ وَأَتَمِّ آلَةٍ وَأَحَدَ شَوْكَةٍ، وَتَاهَبَ لِلْقَائِهِ فِي الْبَحْرِ.
 لَجَاءَهُ فِي جَمْعٍ لَا تُحْصَى عِدَّتُهُ. قَدْ أَعَدَّ فِي الْبَحْرِ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ
 وَكُرَاعٍ وَآلَةٍ وَطَعَامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالسُّفُنُ مَشْحُونَةٌ مُوقَرَّةٌ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ عَصَفَتْ
 رِيحٌ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي فَقَلَعَتْ أَوْتَادَ تِلْكَ السُّفُنِ كُلِّهَا وَحَمَلَتْهَا إِلَى جَانِبِ شَهْرِ بَرَّازٍ،
 فَصَارَتْ فِي مِلْكِهِ. وَأَصْبَحَ مَلِكُ الرُّومِ، قَدْ ذَهَبَ أَكْثَرُ مَا كَانَ يَمْلِكُ مِنَ الْأَمْوَالِ
 وَالْخَزَائِنِ وَالْعُدَدِ وَالسَّلَاحِ. فَوَجَّهَ شَهْرُ بَرَّازٍ بِتِلْكَ الْخَزَائِنِ وَالْأَمْوَالِ إِلَى أَبْرُويزَ. فَلَمَّا
 رَأَى أَبْرُويزَ مَا وَجَّهَ بِهِ شَهْرُ بَرَّازٍ، كَبُرَ فِي عَيْنِهِ وَعَظُمَ فِي قَلْبِهِ. وَقَالَ: مَا نَفْسُ أَحَقَّ بِطَيْبِ
 الثَّنَاءِ وَرَفِيعِ الدُّعَاءِ وَالشُّكْرِ عَلَى الْفِعْلِ الظَّاهِرِ مِنْ شَهْرِ بَرَّازٍ! جَادَ لَنَا بِمَا لَا تَسْخُو بِهِ
 ١٠
 النُّفُوسَ وَلَا تَطِيبُ بِهِ الْقُلُوبَ! جَمَعَ زُرَّاءَهُ وَأَمَرَ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ فَوُضِعَتْ
 نَصَبَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لوزرائه: هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْظَمَ خَطَرًا وَأَمَانَةً، وَأَحْرَى بِالشُّكْرِ
 مِنْ شَهْرِ بَرَّازٍ؟ فَخَاطَبَتِ الزُّرَّاءُ فَتَكَلَّمَتْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، بَعْدَ أَنْ حَمْدَ اللَّهِ وَشَكَرَهُ وَتَجَدَّهَ،
 وَأَتْنَى عَلَى الْمَلِكِ وَهَنَاءَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْمَلِكُ مِنْ يَمْنِ نَقِيبَةِ شَهْرِ بَرَّازٍ وَعُفَّافِهِ
 ١٥
 وَطَهَارَتِهِ وَتُبْلِهِ وَعَظِيمِ عَنَانِيَّتِهِ. حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا، أَمَرَ بِإِحْصَاءِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ.
 ثُمَّ قَامَ أَبْرُويزَ فَدَخَلَ إِلَى نِسَائِهِ. وَكَانَ لِلْمَلِكِ غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ رُسْتَهَ، وَكَانَ سَيِّئِ الرَّأْيِ
 فِي شَهْرِ بَرَّازٍ. فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! قَدْ مَلَأْتُ قَلْبَكَ قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ، وَصَغِيرًا مِنْ كَبِيرٍ، وَتَافَهُ
 مِنْ عَظِيمٍ، خَانَكَ فِيهِ شَهْرُ بَرَّازٍ وَآثَرَهُ بِنَفْسِهِ. وَلَئِنْ كَانَ الْمَلِكُ، مَعَ رَأْيِهِ الثَّاقِبِ
 وَحَزْمِهِ الْكَامِلِ، يُظُنُّ أَنَّ شَهْرَ بَرَّازٍ أَدَّى الْأَمَانَةَ، لَقَدْ بَعُدَ ظَنُّهُ مِنَ الْحَقِّ وَخَسَّ

(١) نصيبه . فوق [في] نفس أبرويز ما قال رُسْتَه ، فقال له : ما أَطُنُّكَ إِلَّا صادقًا . فما
الرائي عندك ؟ قال : تَكْتُبُ إليه بالقدم وتُوهِمُهُ أَنَّ بك حاجة إلى مناظرته ومشاورته
في أمرٍ لم تجز الكتابة به . فإنه إذا قَدِمَ ، لم يُخَلِّفَ ما يملك وراءه ، إذ كان لا يدرى
أيرجع إلى ما هناك أم لا . فيكون كل ما يقدّم به نُصِبَ عينيك .

١٩٣

فكتب أبرويز إلى شهر براز يأمره بالقدم عليه لمناظرته ومشاورته في أمرٍ يدق
عن الكتاب والمراسلة .

فلما مضى الرسول ، أرفده برسولٍ آخر . وكتب إليه : ”إني قد كنتُ كتبتُ إليك
أمرُك بالقدم لأنظرك في مُهمٍّ من أمرى . ثم علمتُ أن مقامك هناك أقدر في
عدوك وأنتكى له وأصلحُ للكل وأوفر على المملكة . فأقيم وكن من عدوك على حذر ،
ومن غزته على تيقظ . فإنه من ذهب ماله ، حمل نفسه على التلف أو القلج .
والسلام !“

وقال للرسول الثاني : إن قَدِمْتَ فرأيتَه قد تأهب للخروج إلى وظهر ذلك
في عسكره ، فادفع إليه هذا الكتاب . وكتب : ”أما بعد ، فإني كتبتُ إليك وقد
استبطلت جواب قدومك وحركتك . وعلمتُ أن ذلك لأمرٍ تُصلحه من أمر نفسك
أو مكيدة عدوك . فإذا أتاك كتابي هذا خلف أخاك على عملك وأغد السير ولا تُعرج
على مُهمٍّ ولا غيره . إن شاء الله !“ . وإن لم تره أستعد للخروج ولا تأهب له ، فادفع
إليه الكتاب الأول .

١٩٤

(١) في سم : ”نفسه“ . ولعل الصواب : ”نصيبه“ . قال في القاموس : ”خَسَّ نصيبه جعله خسيسا

دنيا حقيرا“ . ولم ترد هذه الكلمة ولا الآ قبلها في صـ

(٢) في سم : الفتح ، وفي صـ : الحنف . وقد صححت بما في المتن ليكون المعنى ان الذي بذهب ماله
يركب أخشن المراكب فلما أن يتلف وإما أن يظفر وينجح . لأنه يكون في حالة يأس بحمله على المخاطرة بنفسه أو بفوز

فَقَدِمَ الرَّسُولُ الثَّانِي، وَلَيْسَ لَشَهْرِ بَرَّازٍ فِي الْخُرُوجِ عِزْمٌ وَلَا خَاطِرٌ، وَلَا هَمٌّ بِهِ. فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ. فَقَالَ شَهْرُ بَرَّازٍ: أَوَّلُ كُلِّ قَتْلَةٍ حِيلَةٌ. وَكَانَ خَلِيفَةُ شَهْرِ بَرَّازٍ بِيَابَ الْمَلِكِ قَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِ رُسْتَنَ لِلْمَلِكِ وَمَا كَانَ مِنْ جَوَابِ الْمَلِكِ لَهُ. ثُمَّ نَازَعَتْ أَبْرُويزَ نَفْسُهُ وَدَعَاهُ شَرُّهُ إِلَى إِعَادَةِ الْكِتَابِ إِلَى شَهْرِ بَرَّازٍ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا قَرَأَ شَهْرُ بَرَّازٍ كِتَابَهُ الثَّالِثَ قَالَ: كَانَ الْأَمْرُ قَبْلَ الْيَوْمِ بَاطِنًا، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ ظَهَرَ. فَلَمَّا عَلِمَ أَبْرُويزَ أَنَّ نِيَّةَ شَهْرِ بَرَّازٍ قَدْ فَسَدَتْ وَأَنَّهُ لَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ، كَتَبَ إِلَى أَخِي شَهْرِ بَرَّازٍ: "إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَمْرَ ذَلِكَ الْجَلِيشِ وَمَحَارِبَةَ مَلِكِ الرُّومِ. فَإِنْ سَلَّمَ لَكَ شَهْرُ بَرَّازٍ مَا وَلَّيْتُكَ، وَإِلَّا فَخَارِبُهُ!"

فَلَمَّا أَنَاكَ كِتَابُهُ أَظْهَرَهُ وَبَعَثَ إِلَى شَهْرِ بَرَّازٍ يَخْبِرُهُ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ وَلَّاهُ مَوْضِعَهُ، وَأَمْرَهُ بِمَحَارِبَتِهِ إِنْ أَبَى أَنْ يُسَلَّمَ إِلَيْهِ مَا وَلَّاهُ. فَقَالَ لَهُ شَهْرُ بَرَّازٍ: أَنَا أَعْلَمُ بِأَبْرُويزَ مِنْكَ. هُوَ صَاحِبُ حِيلٍ وَمَكَايِدَ، وَقَدْ فَسَدَتْ نِيَّتُهُ لِي وَلَكَ. فَإِنْ قَتَلَنِي الْيَوْمَ، قَتَلْتُكَ غَدًا، وَإِنْ قَتَلْتُكَ الْيَوْمَ، كَانَ عَلَيَّ قَتْلَى غَدًا أَقْوَى.^(١)

ثُمَّ إِنَّ شَهْرَ بَرَّازٍ صَاحِخَ مَلِكِ الرُّومِ، لَمَّا خَافَ أَبْرُويزَ وَتَوَقَّعَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ. وَاجْتَمَعَا عَلَى مَحَارِبَةِ أَبْرُويزَ. فَقَالَ لَهُ شَهْرُ بَرَّازٍ: دَعْنِي أَتَوَلَّى مَحَارِبَتَهُ، فَإِنِّي

(١) هذه رواية صـ. وأما سـ فروايتها: بقدر-

(٢) رواية ابن الأثير في هذا الموضوع أحسن وأتمن. ومحصلها أن شهر براز لما امتنع عن إجابة كسرى، بعد طلبه ثلاث مرات، أمر الملك بعزله وبتولية أخيه فرخان الذي كان معه، وأمره بقتله. فلما أراد فرخان أن يقتله، قال له شهر براز: أمهلني حتى أكتب وصيتي. ثم أحضر درجا وأخرج ثلاثة كتب من كسرى يأمره فيها بقتله، وأطلعها عليها، وقال له: أنا راجعتُ فيك أربع مرّات ولم أقتلك، وأنت تقتلني في مرة واحدة. فاعتذر فرخان إليه وأعادته إلى الإمارة. وأتفقا على موافقة ملك الروم على كسرى. (ج ٢ ص ٣٤٨)

أَبْصُرْ بِمَكَايِدِهِ وَعَوْرَاتِهِ ^(١) . فَأَبَى عَلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ ، وَقَالَ : بَلْ أَقِمْ فِي دَارِ مَمْلَكَتِي حَتَّى أَتَوَلَّى أَنَا مُحَارِبَتَهُ بِنَفْسِي . فَقَالَ شَهْرَبَرَاذُ : أَمَّا إِذَا أُيِّنْتَ عَلَى فَإِنِّي مَصُورٌ لَكَ صُورَةً ، فَأَعْمَلْ بِمَا فِيهَا وَأَمْتِنِهَا .

ثُمَّ صَوَّرَ لَهُ كُلَّ مَنَزِلٍ يَنْزِلُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبْرُويزَ فِي طَرِيقِهِ كُلِّهِ ، وَأَيَّ الْمَنَازِلِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقِيمَ فِيهِ ، وَأَيَّهَا يَجْعَلُهَا طَرِيقًا وَسِيرًا مَاضِيًا حَتَّى إِذَا أَقَامَهُ مِنْ طَرِيقِهِ كُلِّهِ عَلَى مِثْلِ وَصَحِّ النَّهَارِ ، قَالَ لَهُ : فَإِذَا صَرْتَ بِالنَّهْرَوَانِ ، فَأَقِمْ دُونَهُ وَلَا تَقْطَعْهُ إِلَيْهِ ، وَأَجْعَلْهُ مَنَزْلَكَ وَجَهْزَ جِيُوشِكَ وَعَسَاكَرِكَ إِلَيْهِ .

فَمَضَى مَلِكُ الرُّومِ نَحْوَهُ . وَبَلَغَ أَبْرُويزَ الْخَبْرَ فَضَاقَ بِهِ ذَرْعَهُ ، وَارْتَجَحَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَكَانَ أَكْثَرُ جُنُودِهِ قَدْ تَفَرَّقُوا لَطَلَبِ الْمَعَاشِ ، لَقَطْعِهِ عَنْهُمْ مَا كَانَ يَجِبُ لَهُمْ مِنْ إِقْطَاعَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ . فَبَقِيَ فِي جُنْدٍ كَالْمَيْتِ أَكْثَرُهُمْ هَزَلَى أَضْرَاءُ ^(٢) .

١٥٦

وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ يَعْمَلُ عَلَى مَا صَوَّرَهُ لَهُ شَهْرَبَرَاذُ فِي طَرِيقِهِ كُلِّهِ ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَى النَّهْرَوَانِ ، عَسَكَرَ هُنَاكَ وَاسْتَعَدَّ لِلْقَاءِ أَبْرُويزَ . وَقَدْ بَلَغَهُ قَلَّةُ جَمْعِهِ وَتَفَرُّقُ جُنُودِهِ وَسُوءُ حَالِ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ . وَكَانَ فِي أَرْبَعَائَةِ أَلْفٍ ، قَدْ ضَاقَتْ بِهِمُ الْفِجَاجُ وَالْمَسَالِكُ . فَطَمِعَ فِي قَتْلِ أَبْرُويزَ وَلَمْ يَشْكُ فِي الظَّفَرِ بِهِ .

فَدَعَا أَبْرُويزَ رُجُلًا مِنَ النَّصَارَى ، كَانَ جَدُّهُ قَدْ أَنْعَمَ عَلَى جَدِّ النَّصْرَانِيِّ وَاسْتَنْقَذَهُ ^(٣) مِنَ الْقَتْلِ أَيَّامَ قَتْلِ مَانِيٍّ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ . فَقَالَ لَهُ أَبْرُويزُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا تَقْدِّمُ مِنْ أَيَادِينَا عِنْدَكُمْ ، أَهْلَ الْبَيْتِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا . قَالَ : أَجَلُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! وَإِنِّي لَشَاكِرُ ذَلِكَ لَكَ وَلَا بَأْسَكَ . قَالَ : نَخْذُ هَذِهِ الْعَصَا وَآمِضُ بِهَا إِلَى شَهْرَبَرَاذٍ ، فَأَتِيهِ فِي قَوَارِ

(١) صه : وعذارته .

(٢) أى اضطرب .

(٣) أى مهزولون مَرَضَى . [والذى فى سه : هزلا وضرا] .

مَلِكُ الرُّومِ، فَادْفَعَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِكَ إِلَى يَدِهِ . وَعَمِدَ إِلَى عَصَا مَثْقُوبَةٍ، فَادْخَلَ فِيهَا كِتَابًا صَغِيرًا مِنْهُ إِلَى شَهْرِ بَرَّازٍ: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا وَأَسْتَوْدَعُكَ الْعَصَا . فَإِذَا جَاءَكَ، فَحَرِّقْ دَارَ مَمْلَكَةِ الرُّومِ، وَأَقْتُلِ الْمُقَاتِلَةَ، وَأَسْبِ الذَّرِيَّةَ، وَأَنْهَبِ الْأَمْوَالَ، وَلَا تَرُكَنَّ عَيْنًا تَطْرِفُ وَلَا أُذُنًا تَسْمَعُ وَلَا قَلْبًا يَبْغِي، إِلَّا كَانَ لَكَ فِيهِ حُكْمٌ . وَأَعْلَمُ أَنِّي وَاثِبٌ بِمَلِكِ الرُّومِ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا . فَلْيَكُنْ هَذَا وَقْتُكَ الَّذِي تَعْمَلُ فِيهِ مَا أَمَرْتُكَ ."

١٥٧

قَالَ : وَأَمَرَ لِلنَّصْرَانِيِّ بِمَالٍ وَجَهِّزَهُ ، وَقَالَ : لَا تُعَرِّجَنَّ عَلَى شَيْءٍ وَلَا تُقِيمَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا . وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَدْفَعَ الْعَصَا إِلَّا إِلَى شَهْرِ بَرَّازٍ، مِنْ يَدِكَ إِلَى يَدِهِ !

ثُمَّ وَدَّعَهُ وَمَضَى النَّصْرَانِيُّ . فَلَمَّا عَبَرَ النُّهْرَ وَأَنَّ، أَتَفَقَّ أَنْ كَانَ عُبُورُهُ مَعَ وَقْتِ ضَرْبِ النَّوَاقِيسِ . فَسَمِعَ قَرْعَ عَشْرَةِ آلَافِ نَاقُوسٍ أَوْ أَكْثَرَ . فَانْهَلَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ : يَبْسُ الرَّجُلُ أَنَا، إِنْ أَعْنَتْ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ وَأَطَعْتُ أَمْرَ هَذَا الْجَبَّارِ الظَّالِمِ !

فَأَتَى بَابَ مَلِكِ الرُّومِ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ . فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّةِ أَبْرُويزَ حَرْفًا . ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ الْعَصَا، فَأَخَذَهَا وَنَظَرَ فِيهَا . ثُمَّ اسْتَخْرَجَ الْكِتَابَ مِنْهَا فَقَرَأَ عَلَيْهِ . فَتَحَرَ، وَقَالَ : خَدَعَنِي شَهْرُ بَرَّازٍ ! وَلَئِنْ وَقَعْتُ عَيْنِي عَلَيْهِ، لَا أَقْتُلَنَّهُ !

وَأَمَرَ فَيَقْوَضَتْ أُنْبَيْتُهُ مِنْ سَاعَتِهِ، وَنَادَى فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ . وَخَرَجَ مَا يَلُومِي عَلَى أَحَدٍ .

١٥٨

وَوَجَّهَ أَبْرُويزَ عَيْنًا لَهُ يَحْيِيهِ بَخْبَرِهِ . فَانْصَرَفَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ مَضَى مَا يَلْتَفَتُ لَفَتَةً . فَضَحِكَ أَبْرُويزُ، وَقَالَ : إِنَّ كَلِمَةً وَاحِدَةً هَزَمَتْ أَرْبَعًا أَلْفَ جَلِيلٍ قَدْرُهَا وَرَفِيعٌ ذِكْرُهَا !

خاتمة الكتاب

وإذ قد آتينا إلى هذا الموضع من كتابنا هذا، وأخبرنا بأخلاق الملوك في أنفسها، وما يجب على رعاياها لها، بقدر وسع طاقتنا، فلنختم كتابنا هذا بذكر من بعثنا على نظمه، وكان مفتاحا لتأليفه وجمعه.

ولنقل إننا لم نر في صدر هذه الدولة المباركة العباسية ولا في تاريخها وأيامها إلى هذه الغاية قتي أجتمعت له فضائل الملوك وآدابها ومكارمها ومناقبها، فإز الولاة من هاشم والحضيض^(١) من خلفاء بني العباس الطيبين، والتبني من المعتصم بالله وإخوته الأبرار من أئمة المؤمنين وورثة خاتم النبيين، عدا الأمير الفتح بن خاقان مولى أمير المؤمنين.

فلتنبه هذه النعمة المهداة! وبارك له واهبها وزاده إليها الدأب عليها حتى يبلغ به أرفع بقاعها وأسنى ذروتها وأعلى درجاتها، في طول العمر وسلامة من عوادي الزمان وغيره ونكباته وعثراته! فإنه رحيم كريم!

في آخر النسخة السلطانية ما نصه:

تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه. والحمد لله وحده!

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا!

حسبنا الله ونعم الوكيل!

تكميل للروايات

و

تصحیحات مطبعية

تكميل

لبعض الروايات والملاحظات الانتقادية التي وضعتها في حواشي هذا الكتاب .
والقصد من هذا التكميل أن تزداد فوائده لمن يعينهم استيفاء بحث خاص أو التوسع
في مطلب مما جرى به قلم الجاحظ .

صفحة ١١ (حاشية ١)

١ - ورد اسم "ميسرة" في كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٢٨) ولكن الجاحظ نعت فيه بلقب
"التياس" ووصف مقدار أكله ، وما ذا كان يصنع إذا أجهده الكفلة . كذلك ابن أبي الحديد
(ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) تكلم عن هذا الأكل وأعطاه لقباً آخر وهو "الرأس" بدلاً من
"التراس" أو "البراش" . ولا شك أن هذه الألفاظ كلها محرقة عن لقب واحد من مادة واحدة . ولو اعتبرنا
كتابتها نجدها كلها متقاربة في الشكل والصورة . وهذه التحريفات مصدرها إهمال النساخين المساكين .

٢ - أولع الجاحظ بذكر "قاسم الثمار" وبمداعبته والعبث به في كتبه . وقد وصفه بطول العتق ،
وأشار إلى بعض نوادره وأحواله ، هو وأبنته ، الذي كان شرّاً شبيه بأبيه .
ويستفاد من كلام الجاحظ أنه كان ما صرّاه .

أنظر كتاب "التربيع والتدوير" (ص ٨٩ و ١٠١) ؛ وكتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٣
وخصوصاً ص ١٦١) ؛ وكتاب "الحيوان" (ج ٥ ص ٦١) ؛ وكتاب "البغلاء" (ص ٢١٥ و ٢١٦)
بأكلمهما ؛ و"المحاسن والأضداد" (ص ٩ حيث سماه : القاسم الثمار) .

٣ - ذكر الجاحظ "أبا همام السنوط" في كتاب "البغلاء" (ص ٢٢٨) ، وسماه السموط ،
ورصفه بالأكل . وقد ذكره أيضاً في كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ٥٥) .

٤ - مما يجب بيانه في موضوع المشهورين بكثرة الأكل في الإسلام أن ابن أبي الحديد نص (في شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) على أن الذي منهم هو "أبو الحسن بن أبي بكر الحسن بن علي ابن العلاف"، أي ابن الشاعر الشهير بابن العلاف . وقد ورد ذكر هذا الابن عَرَضاً في "وفيات الأعيان" لابن خلكان فقال عنه : "وهو الأكل المقدم في الأكل ، في مجالس الرؤساء والملوك" . ثم قال عنه في موضع آخر : "وهو المشهور بكثرة الأكل" (ج ١ ص ١٩٤ ، ٥٣١ طبعة بولاق سنة ١٢٧٥ أي في ترجمة أبيه الحسن بن العلاف ، ثم في ترجمة علي بن الفرات) .

٥ - ذكر ابن أبي الحديد أيضاً "هلال بن أشعر" وهو نفس الذي سميناه "هلال بن الأسعر" . لأن صحة اسمه بالسين المهملة . (أنظر "تاج العروس" في مادة - س ع ر - وفي مادة - رزم - وأنظر ترجمته في "الوفاء بالوفيات") . وهو هو الذي سميناه في حاشية صفحة ١١ من التاج : "هلال ابن مسعر" والغلط عن الكتب التي نقلنا عنها وأشرنا إليها في تلك الحاشية .

٦ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسماً جديداً يجب ضمه إلى إخوانه وهو "عنبسة بن زياد" إن لم يكن هو "عبيد الله بن زياد بن أبيه" رجلاً واحداً . فإن تحريف "عبيد" إلى "عنبسة" ليس ببعيد .

٧ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسماً جديداً آخر ، وهو "أبو خازجة" الذي روى لنا الجاحظ أخباره وقال عنه إنه يضرب به المثل . (أنظر "الحيوان" ج ٥ ص ١٤٧) .

٨ - هذا وأنا أعتقد أن "مزوداً" الذي ذكرته في ضمن أسماء الأكلة في تلك الحاشية إنما هو "مَزَرْد" وهو لقب ضرار بن الشماخ . والتحريف راجع إلى تلك الكتب التي نقلت اسمه عنها . وأنظر "تاج العروس" في مادة - زرد - وإن كان لم يخبرنا بأنه من الأكلة .

٩ - وقد نقل ابن أبي الحديد عن كتاب "الأكلة" لدايني - الذي ذكرناه في آخر تلك الحاشية - أحوالاً وأخباراً تراها في الجزء الرابع من "شرح نهج البلاغة" (ص ٣٢٤ - ٣٢٦) .

صفحة ١٢ (حاشية ١)

عرفنا الجاحظ بإبراهيم بن السندی بن شاهك ، فقال في رسالة "مناقب الترك وعامة جند الخلافة" إنه "كان عالما بالدولة شديدا لحب لأبناء الدعوة وكان نغم المعاني ، نغم الألفاظ . لو قلت : لسانه كان أرد على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شهير وسمان طرير ، لكان ذلك قولاً ومذهباً" .

وعرف به الجاحظ أيضا في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٩) بقوله :

كان رجلا لانظيره ، وكان خطيبا ، وكان ناسبا ، وكان فقيها ، وكان عروضا وحافظا للحديث ، راوية للشعر ، شاعرا . وكان نغم الألفاظ ، شريف المعاني . وكان كاتب القلم ، كاتب العمل . وكان يتكلم بكلام رؤوبة ، ويعمل في الخراج بعمل زاذان فروخ الأعور . وكان منجيا ، طيبيا . وكان من رؤساء المتكلمين ، وعالما بالدولة وبرجال الدعوة . وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوما ، وأصبرهم على السهر .

صفحة ١٦ (حاشية ١)

أضف على البيانات التي أوردتها فيها عن استعمال لفظة "الاستكفاء" بمعنى التولية وتقليد المناصب قول الجاحظ نفسه :

قال يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاه على خراسان : إن أباك كفى أخاه عظيما ، وقد استكفيتك صغيرا . فلا تسكن على عذر مني لك ، فقد آتكت على كفاية منك . وإياك مني ، قبل أن أقول : إياي منك . فإن الظن إذا أخلف منك ، أخلف مني فيك . وأنت في أدنى حظك ، فأطلب أقصاه . وقد أتعبك أبوك ، فلا تريح نفسك . وكن لنفسك ، تكن لك . وأذكر في يومك أحاديث غذك ، تسعد . إن شاء الله !

(البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٩ ثم ص ٢٠٤) .

صفحة ١٦ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن ابن أبي الحديد روى في "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ٣٨٠) قصة الرجل الذي أراد سابور أن يمتحنه قبل أن يوليّه قضاء القضاة .

صفحة ١٩ (حاشية ٢)

أضف على ما أورده من البيانات بخصوص الآيين أن الجاحظ نفسه قد استعمل هذا اللفظ ثلاث مرات في كتاب "البخلاء" طبع ليدن فقال :

١ - الآيين فيما نحن فيه أن تكون إذا كنت أنا الجالس وأنت المأرأ أن تبدأ أنت فتسلم فأقول أنا حينئذ مجيباً لك : وعليكم السلام . (ص ٢٧) .

٢ - وإن كنت آكل ، فها هنا آيين آخر . وهو أن أبدأ أنا فأقول هلم ! وتجب أنت فتقول : هنيئاً ! فيكون كلام بكلام . فاما كلام بفعال ، وقول بأكل ، فهذا ليس من الإنصاف . (ص ٢٨) .

٣ - إحضار الجدى إنما هو شئ من آيين الموائد الرفيعة . وإنما جعل كالعاقبة والخاتمة ، وكالعلامة لليسر والفراغ ، وإنه لم يحضر للتزويق والتخريب . (ص ١٠٣) .

هذا وقد ذكر ياقوت في الجزء الثاني من معجم الأدباء (ص ٥٩) نقلاً عن الفهرست أن أحمد بن محمد ابن نصر الجيهاني ألف "كتاب آيين" و"كتاب الزيادات في كتاب آيين في المقالات" .

صفحة ٢٠

الحكاية الواردة في متن هذه الصفحة قد أوردها الجاحظ بنصها ونفسها مع زيادة كلمتين فقط (في "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٣٢) . ثم أوردها أيضاً في كتاب "البخلاء" (ص ١٩٣) .

وعنه نقلها ابن عبد ربه في "العقد الفريد" بدليل نقله أيضاً للكلام الذي عقب به الجاحظ في موضوع آخر من باب الاستطراد .

صفحة ٢٠ (حاشية ١)

أضف إلى ما كتبه عن بلال بن أبي بردة ما ذكره لنا الجاحظ من أنه خطب بالبصرة يوماً، فرأى الناس قد استحسنوا كلامه، فقال لهم: "لا يمنعنكم سوء ما تعلقون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا".

(البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٨)

وقد ذكره الجاحظ في مواضع كثيرة من كتاب "البخلاء" (ص ٧٥ و ١٦٣ و خصوصاً ص ١٦٩) حيث أورد له كلمة ضافية في المقارنة بين البخل والكرم، وتفضيل الكرم.

صفحة ٢٠ (حاشية ٢)

كان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا مفضل - من أبين الناس وأحسنهم حديثاً. وكان راوية علامة، شاعراً مفلحاً. وكان من رجال الشيعة. ولما استنطقه الحجاج قال: ما ظننت أن بالعراق مثل هذا. وكان يقول: ما أمكنني وإل من أذنه إلا غلبت عليه، ما خلا هذا اليهودي (يعني بلال بن أبي بردة). وكان عليه متحاملاً. فلما بلغه أنه (أي الحجاج) وهقه (أي بلالا) حتى رقت ساقه وجعل الوتر في خصيه أنشأ يقول:

لقد قرَّعني أن ساقيه رقتا * وأن قوى الأوتار في البيضة اليسرى

بخلت وراجعت الخيانة والحنأ * فيسرك الله المقدس للعسرى

فاجذع سوء خرب السوس جوفه * يعالجه النجار يبرى كما تبرى

وإنما ذكر الخصية اليسرى، لأن العامة تقول إن الولد منها يكون.

(البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٧)

صفحة ٢٤ (حاشية ١)

الشائع عند العرب استعمالهم "الأساورة" بصيغة الجمع . ولكنهم كانوا يستعملون المفرد أيضا . والامثلة كثيرة ، نختار منها ما أورده الجاحظ في كتاب " الحيوان " (ج ٦ ص ١١٤) حيث قال " بصُرْتُ بفهد على قاب غلوة ؛ فسعيتُ إليه ، وأنا أسواركا تعلمون . فوالله ! ما أخطأتُ حاقَ لهزمه حتى رزق الله عليه الظفر " .

صفحة ٤٣ (سطر ٨)

مما يجب تعليقه على ما رواه الجاحظ بخصوص تهاون الأمين بإبان محاصرة الجيوش له في بغداد ، أن صاحب "بدائع البدائه" روى القصة الآتية (في صفحة ٦٨) وهي :

خرج كوثر ، خادم الأمين ، لينظر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين لبغداد ، فأصابه سهم غرب ، فخرجه . فدخل على الأمين يبكي لألم الجراحة . فلم يملك الأمين أن جعل يمسح عنه الدم ويقول :

ضربوا قرّة عيني ، * ومن أجلى ضربوه !

أخذ الله لقلبي * من أناس أوجعوه ...

ثم أرتج عليه . فاستدعى الفضل بن الربيع وأمره بإحضار شاعر يُجيزُ البيتين . فاستدعى لذلك عبد الله بن محمد بن أيوب النيميّ وأنشدهما له فقال :

ما لئن أهوى شبيه ، * فبه الدنيا تتيه !

وصله حلو ، ولكن * هجره مر كرية !

من رأى الناس له الفضل * عليهم حسدوه !

مثل ما قد حسد القا * ثم بالملك أخوه .

فأمر الأمين له بوقر ثلاثة أبغل دراهم .

صفحة ٤٣ (حاشية ٣)

أضف على ما أورده في هذه الحاشية شرحاً للفظه "بأر" ما أورده الجاحظ في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٣٧) وهو :
قال جعدة بن هيرة :

أبي من بني مخزوم، إن كنت سائلاً، * ومن هاشم أمي، لخير قيل !
فن ذا الذي "يأى" على بخاله، * وخالى على، ذو الندى، وتقبل ؟

صفحة ٤٤ (حاشية ١)

الشجرة المعروفة عند العرب بأسم "السرحة" تكلم عنها علماء النبات من الإفرنج مثل العلامة "فورسكال"
قديماً، والأستاذ "شوينفُرت" الموجود الآن .

فقال الأول :
CADABA farinosa ; foliis ovatis, oblongis, farinosis.
Descr. Folia alterna, semipollicaria, farinosa-tomentosa, plana, integra, obtusa, alterna. Pedunculi racemi ramorum terminales. Rami recentes tomentoso-farinosi. Nectarium album, parvum lingua tubo angustiore revoluta. Petala 4, undulata. Stamina inserta pedicello germinis in fra medium.

Arab. Asal. alūs Korrah vel Særah سرح Usus antitoxicus : dum rami recentes & minores masticantur ; vel pulveris forma eduntur.

(P. Forskal, *Descriptiones plantarum flora Aegyptiaco-Arabice* : pp. 68)

Sserahh. Saerah سرح 140 Cadaba c) farinosa Forsk. وقال الثاني مانصه :
(Schweinfürth G., *Arabische Pflanzennamen aus Aegypten, Algerien und Jemen* : p.p. 117)

ولكن شرح هذين العالمين ينطبق على نجم أى شجيرة، مع أن المفهوم من كتب اللغة العربية أنها شجرة كبيرة .

صفحة ٤٧ (حاشية ٤)

أضف على ما بها من المعلومات أن الجاحظ أورد البيانات الخاصة بأبي أحيحة وعمامته (في "البيان والتبيين" ج ٢ ص ٧٧) فقال مانصه : "وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص إذا أتم بمكة لم يعم معه أحد . هكذا في الشعر . ولعل ذلك أن يكون مقصورا في بني عبد شمس . وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة ، قد علمتم ، * بمكة غير مهضم ذميم .
إذا شد العصابة ذات يوم * وقام إلى المجالس والخصوم ،
فقد حرم على من كان يمشي * بمكة غير مدخل سقيم .
وكان البخترى غداة جمع ^(١) * يدافعهم بلقان الحكيم .
هو البيت الذي بنيت عليه * قریش السرى الزمن القديم .
وسطت ذوائب الفرعين منهم ، ^(٢) * فانت لباب سرهم الصميم !

صفحة ٤٨ (حاشية ٦)

أضف ما أفادناه صاحب كتاب "الفهرست" عن أبي حسان الزياتي أنه . كان "قاضيا فاضلا ، أديبا ناسبا ، جوادا كريما يعمل الكتب وُدمل له ، وكانت له خزانة حسنة كبيرة ... ومات ... سنة ٢٤٣ ، وله سبع وثمانون سنة وأشهر . وله من الكتب : كتاب مغازى عروة بن الزبير ، كتاب طبقات الشعراء ، كتاب ألقاب الشعراء ، كتاب الآباء والأمهات" . (عن كتاب "الفهرست" ص ١١٠) .

(*) يغلط كثير من باسحق الكتب وطابعها فيقولون "العاصي" في هذا الرجل وفي عمرو بن العاص وغيرهما من أبناء هذا البيت . والحقيقة أنه من "العوص" لا من "العصيان" . ولذلك يقال لهم "الأعياص" (راجع "الأشتقاق" لأبن دريد و"لسان العرب" وغيرهما من كتب الأنساب واللغة والأدب) .

(١) البخترى الحسن المشى والجسم . (أنظر اللسان ج ٥ مادة - ب خ ت ر -) .

(٢) أى توسطت فكنت أنت الواسطة بين الفرعين .

هذا ، وقد أوهمتني عبارة أبي المحاسن عند كلامه على السنة الثانية من ولاية عنبسة بن إسحاق على مصر أن المتوكل وثى أبا حسان الزياتى هذا قضاء الشرقية ، أن المقصود هو إقليم الشرقية بديار مصر . ذلك خاطر سبق إلى وهى ، وأنا أبرأ إلى الله منه . لأن الشرقية التى تولّى قضاءها أبو حسان الزياتى هى أحد شقّ بغداد . وقد وصفها يعقوبى (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب) فقال : ” وإمّا سُميت الشرقية لأنها قُدرت مدينةً للمهدى قبل أن يعزم [أبو جعفر المنصور] على أن يكون نزول المهدى فى الجانب الشرقى من دجلة . فسميت الشرقية ؛ وبها المسجد الكبير ، وكان يُجمع فيه يوم الجمعة ، وفيه منبر . وهو المسجد الذى يجلس فيه قاضى الشرقية “ . (أنظر كتاب البلدان لليعقوبى طبع ليدن سنة ١٨٦٠ صفحة ١٧) .

صفحة ٥٢ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ قد شرح لنا ” التتابع “ بقوله : فالتتابع ، لا يشبه زجر وليست له غاية دون التلف . (كتاب ” البخل “ ص ١٨٣) .

صفحة ٥٣ (سطر ١٤)

أورده الجاحظ ” فى البيان والتبيين “ أيضا (ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٤ (سطر ١ - ٢ من المتن)

روى الجاحظ مقولة الشعبي فى ” البيان والتبيين “ (ج ١ ص ١٦٦) . ولكن طابعه أورد ” تنابذا “ بدلا من ” تناقدا “ التى فى طبعتنا نقلا عن ص . والظاهر أن هذه الثانية أفضل ، لأن السياق يدل عليها .

صفحة ٥٤ (سطر ٣ - ٧ من المتن)

روى الجاحظ أيضا في "البيان والتبيين" الحديث الذي كان بين المأمون وبين سعيد بن سلم بشأن استحسان الخليفة له فيما يديه من "حسن الإفهام وحسن الفهم". (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦ ، وفيها اختلاف طفيف في بعض الألفاظ مما لا عبرة به) .

صفحة ٥٤ (حاشية ١)

أضف إلى الرواية التي أشرنا إليها أن الجاحظ روى كلمة عمرو بن العاص أيضا في "البيان والتبيين" برواية ثانية فيها اختلاف في اللفظ لا المعنى ، وهي مغايرة لرواية المبرد التي أشرنا إليها في تلك الحاشية . (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٦ (حاشية ٤)

في "المخصص" لأبن سيده شرح "السهم العائر، والسهم الغرب" (ج ٦ ص ٧٦) . [وأنظر عن "السهم الغرب" ما أورده في صفحة ١٩٤ عن تكميل صفحة ٤٣ س ١٠] .

صفحة ٥٨ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبها على أبي بكر الهذلي ما قاله الجاحظ عنه في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٦) أنه كان قاصًا وعالمًا بينًا وعالمًا بالأخبار والآثار . وقد سباه (ج ٢ ص ١٢٠) "سلي" ونقل عنه هذه الكلمة : "إذا جمع الطعام أربعة ، فقد كل : إذا كان حلالا ، وكثرت عليه الأيدي ، ومسمى الله على أوله ، وحده على آخره" . وأضف على ذلك ما قاله الجاحظ في ذلك الكتاب أيضا (ج ١ ص ١٣٦) من أنه كان خطيبا قاصًا وعالمًا بالأخبار والآثار ؛ وأنه لما ناظر أهل الكوفة قال : "لنا الساج والعاج

والدياج والخراج والنهر العجاج“ . وقد روى الجاحظ هذه الكلمة في كتاب “الحيوان” (ج ٧ ص ٧٢) على هذا المثال : “نحن أكثر منكم عجا وساجا ودياجا وخراجا” . ونسبها للأحنف بن قيس فيما نخر به على أهل الكوفة ، ثم قال الجاحظ : ويقال إنها من كلام خالد بن صفوان أو من كلام أبي بكر الهذلي . وقد أورد الجاحظ هذه الكلمة في كتاب “البيان والتبيين” (ج ١ ص ١٨٤) ولكنه اقتصر على نسبتها للهذلي هذا ، دون غيره .

صفحة ٦٠ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبها عن روح بن زُبَاع ما رواه الجاحظ من أن معاوية هم به فقال له رَوْحُ : “لَا تُشِمِّنِي بِي عَدُوًّا أَنْتَ وَقَمَّتْ^(*) ، وَلَا تُسَوِّأَنَّ بِي صَدِيقًا أَنْتَ سِرَّتَهُ ، وَلَا تَهْدِمَنَّ مَنِيَّ رِجَاءًا أَنْتَ بَنَيْتَهُ ! هَلَّا أَتَى حَلَمُكَ عَلَى جَهْلِي وَإِسَاءَتِي ؟” (البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٧) . وأنظر خطبته التي أستمع بها الناس لمبايعة مروان بن الحكم بالخلافة (في الكتاب المذكور ص ١٤٧) . وأنظر في “البيان والتبيين” (ج ١ ص ١٨٠) كلمة عبد الملك بن مروان التي نقلناها عن “العقد الفريد” في تلك الحاشية . فلا بد أن يكون ابن عبد ربّه قد أخذها عن الجاحظ .

صفحة ٦٠ (حاشية ٣)

أضف على ما ذكرته عن أسماء بن خازجة الفزارى أن الحجاج بن يوسف الثقفي لما بلغه موته ، قال : “هل سمعتم بالذي ناش ماشاء ثم مات حين شاء ؟” (البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٣ ، ١٧٧) .

(*) وَقَمَّتْ أَي قَهَرَتْ وَأَذَلَّتْ . [حاشية عن طابع “البيان والتبيين”] .

صفحة ٦١ (حاشية ١)

أضف عليها ما أورده الجاحظ في كتاب "الحيوان" حيث قال :

- ١ - العقرب تقع في يد السنور ، فيلعب بها ساعة من الليل ، وهي في ذلك مسترخية "مستخذية" لا تضربه (ج ٤ ص ٧٢) .
- ٢ - ولولا أن الأبنث [هو البعثة] على حال يعلم أن الصقر... قد أعطى في سلاحه وكفه فضل قوة، لما "استخذى" له ولما أطمعه فيه بهربه (ج ٦ ص ١٠٣) .
- ٣ - ولولا أن الهريمين في الحرب غاية الإمعان ثم لحقته [الهرة] ، لقطعت وهو "مستخذ" (ج ٧ ص ٤٧) .

(صفحة ٦٢ - ٦٥)

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن أمتحان أنوشروان لمن خانه في حريمه . والعبارتان يكاد لفظهما يكون واحدا . على أن النصَّ الوارد في روايتنا قد استوفى نصيبه من التصحيح والتحقيق (أنظر كتاب المحاسن والأضداد طبع العلامة نانفلوتن ص ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٦٥ (حاشية ٣)

أولا - ورد اسم خالد بن يزيد في أثناء الكلام . وقد رأيت من الواجب زيادة التعريف به لأنه من السابقين إلى إدخال علوم الفلسفة في اللغة العربية . فقد روى لنا عنه صاحب "كتاب الفهرست" بعض الشيء ووصفه بأنه "حكيم بن أمية" . ولكن المعلومات التي أوردها عنه تدل على أنه كان منقطعا إلى الكيمياء . أما الجاحظ فقد أظهر لنا فضله الكبير في خدمة الأدب والعلم ، فقال : إنه "كان خطيبا شاعرا ، وفصيحا جامعا ، جيد الرأي كثير الأدب . وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء . " (البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦) .

وأنا أزيد على ذلك أن هذا الأمير كان مرثعاً للخلافة، فلما حرمها أقطع لخدمة العلم والأدب، فأبقى لنفسه نفراً باقياً على مدى الأبد.

وليت امرء الشرق في هذا العصر يقتدون به، لينفعوا أنفسهم ووطنهم وأمتهم!!!

ثانياً - أنظروا أيضاً مكاتبات عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الأشدق (في "البيان والتبيين" ج ٢ ص ١٨٥)، وتلقب سعيد بلطيم الشيطان (ج ١ ص ١٥٢ و ١٨٤)، وأسباباً لطيفة في تسميته بالأشدق (ج ١ ص ١٩١).

ثالثاً - ذكرت في هذه الحاشية قول ابن الزبير "إن أبا ذبّان قتل لطيم الشيطان". وأعلم أن "أبا ذبّان" هو كما في "لسان العرب" (لقب غلب على عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، لفساد كان في فمه. والعرب تكنى الأبحر "أبا ذباب" وبعضهم يكتبه "أبا ذبّان". قال الشاعر مشيراً إلى هشام ابن عبد الملك بن مروان :

لَعَلَّ ابْنَ مَالٍ فِي الرِّيحِ مِثْلَهُ * عَلَى ابْنِ أَبِي الذَّبَّانِ، أَنْ يَتَنَدَّمَ.

وقال الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٨) : "يقال لكل أبحر : أبو ذبّان . وكانت فيما زعموا - كنية عبد الملك بن مروان . وأنشد قول ابن خرابة ^(١) :

أَمْسَى أَبُو ذَبَّانٍ مَخْلُوعَ الرَّسَنِ * خَلَعَ عَنَانُ قَارِحٍ مِنَ الرَّسَنِ ،

وقد صفت بيعتنا لابن الحسن .

هذا، وقد أورد الجاحظ في كتاب الحيوان معلومات عن "لطيم الشيطان" (ج ٦ ص ٥٥)، كما أن باقوت ذكر في "معجم الأدباء"، أن لوط بن مخنف له كتاب في مقتل عمرو بن سعيد بن العاص، المعروف بالأشدق وبلطيم الشيطان . (ج ٦ ص ٢٢١).

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة ، والتحرير فيهما كثير . وصحة أسم هذا الشاعر هو "أبو خرابة" (بالحاء المهملة ثم الزاي المعجمة) فإنه من الذين خرجوا مع ابن الأشعث على الخليفة عبد الملك بن مروان (أنظر "الأغاني" ج ١٩ ص ١٥٢ ؛ وأنظر "المشتبه" للذهبي طبع ليدن، ص ١٦٠).

وقد روى الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٣) أن بعض بني مروان قال في قتل عبد الملك عمرو بن سعيد :

كَأَنَّ بَنِي مَرْوَانَ إِذَا يَقْتُلُونَهُ * بَغَاثَ مِنَ الطَّيْرِ اجْتَمَعْنَ عَلَى صَقْرٍ !
[أى إن هذا من العجب] .

صفحة ٦٧ (حاشية ٣)

أضف على البيانات التي أوردتها عن "البان" أن أحد الشعراء المتأخرين قد وصفه بما يدلنا على هيئته وشكله ، فقال :

لله بستانٌ حَلَلْنَا دَوْحَهُ * فِي جَنَّةٍ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا !
وَالْبَانُ تَحْسِبُهُ سَنَانِيرًا رَأَتْ * قَاضِيَ الْقَضَا ، فَتَفَشَّتْ أَذْنَابَهَا !
(بدائع الزهور لأبن إلياس ج ١ ص ١٢٩)

صفحة ٧٥ (حاشية ٢)

أضف على الشواهد التي أوردتها ما قاله صاحب "لسان العرب" في مادة - رهن - وهذا نصه :

الرهنه الرهن ، والهاء للبالغة ، كالشئمة والشتم ، ثم استعملوا بمعنى المرهون .

صفحة ٧٨ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ نفسه تكفل بشرح "تحصن الفرس" ، فقال في كتاب "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠) مانصه : "فإن تقول في فرس تحصن تحت صاحبه - وهو في وسط موكبه - وغبار الموكب قد حال بين استبانة بعضهم لبعض ، وإس في الموكب يحجروا ولا رمكة ، فياتفت صاحب الحصان فيرى حجراً أوردمكة على قاب عرض أو عرضين أو غلوة أو غلوتين ؟ حدثني : كيف شم هذا الفرس تلك الفرس الأنثى ؟".

ففي ذلك تأييد تام لما توهمته بطريق التخمين عند شرحي كلمته هناك . وكأنني كنت أنظر بنور الله إلى هذا الشرح حينما أوردت حكاية قايتباي ، سلطان مصر .

صفحة ٨١ (حاشية ٤)

روى الجاحظ أيضا مسaire سعيد بن سلم للخليفة الهادي بنفس ألفاظها التي أوردتها في "التاج" وقال : إن الخليفة نعتَه بـ "الخائن" (اليان والتبيين ج ٢ ص ١٥) .
فأنت ترى أن جميع الروايات قد تطابقت على هذا النعت ، دون غيره .

صفحة ٨٩ (حاشية ١)

أورد الجاحظ في كتاب "الحبوان" أيضا ما قاله طويس المعنى لبعض ولد عثمان بن عفان (أعنى هو سعيد أن عثمان بن عفان) ثم عقب عليه بقوله : ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك ، لم يحسن ذلك . [وأنظر مقدمة هذا الكلام في الجزء الرابع ص ١٩] .

صفحة ٩٥ - ٩٧

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن أمتحان أبرويز لرجاله في حفظ الحرم . والعبارتان تكادان تكونان بلفظ واحد ، غير أن التي عندنا قد أخذت حظها من العناية في التصحيح .

(أنظر "المحاسن والأضداد" طبع العلامة فان فلوتن بمدينة ليدن صفحة ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٩٩ (حاشية ١)

أحلت القارئ على بعض المواطن التي يرى فيها تفاصيل شافية عن بيت النار المعروف بأسم "النوهار" . وأزيد على ذلك أن ابن فضل الله العمري تكلم عنه في "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" (ج ١ ص ١٦٦ ، ج ٢ ص ١٥٥ و ١٥٦ من النسخة المحفوظة بدار الكتب الخديوية التي نقلتها بالفتوغرافية عن نسخة السلطان المؤيد شيخ ، الموجودة الآن بخزانة طوب قيو بالقسطنطينية) .

صفحة ١٠٢ (سطر ٨) و صفحة ١٠٣ (سطر ٦)

للمحافظ شرح لطيف على قولهم : ” المغبون لا محمود ولا مأجور “ . (أنظره في كتاب ” البخلاء “ ص ٢٧ و ٢٠٣) .

صفحة ١٠٧ (حاشية ٣)

أوردت في آخر هذه الحاشية التي اتصلت بصفحة ١٠٨ معلومات عن الجعد بن درهم بحسب ما وصل إليه أجتهدى بعد مراجعة كثير من الكتب ، وذكرت المصنفات التي عثرتُ فيها على شيء من هذا القليل . ثم رأيتُ ترجمته في ” سرح العيون “ لأبن نباته (ص ١٥٩) فأحييتُ لفتَ النظر إلى ذلك ، وإن كان في الحقيقة لا يحتوي على شيء يذكر أكثر مما أتيتُ عليه .

صفحة ١٠٨ (حاشية ٢)

أوردتُ في المتن أسم ” سليم بن مجالد “ اعتماداً على رواية صه ، وأشرت في الحاشية إلى أن صاحب ” المحاسن والمساوى “ قد أورد القصة . ولكن فاتني أن أقول إنه سمى ” سليمان بن مجالد “ . وأنا أضيف الآن أن أبن أبي الحديد روى هذه القصة أيضاً في ” شرح نهج البلاغة “ وسمى مثل صاحب ” المحاسن والمساوى “ أى ” سليمان “ وقال إنه ” مولى بنى زهرة وكانت له من السَّفَاح منزلة عظيمة “ (وأورد تفصيلات أوفى . أنظرها في ج ٢ ص ٢٠٧) .

وقد أوردته في النسخة الحالية لكتاب ” التاج “ صحيحاً : ” سليمان بن مجالد “ .

صفحة ١٠٩ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ نفسه روى بعض المكاتبات التي دارت بين معاوية وبين قيس ابن سعد بن عبادَة أمير مصر من قبلَ على بن أبي طالب (في ” البيان والتبيين “ ج ١ ص ٨٢) ، وكذلك ابن أبي الحديد (في ” شرح نهج البلاغة “ ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤) .

صفحة ١٠٩ (حاشية ٣)

أضف على هذه الحاشية: "ومن خطبة أبي حمزة الخارجي: وأما بنو أمية، ففرقة ضلالة، وبطشهم بطش جبرية. يأخذون بالظن، ويقضون بالهوى، ويقتلون على الغضب، ويحكمون بالشفاعة، يأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير أهلها." (عن "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٩٥).
وقال أيضا: أثر الإمامة على ملك الجبرية. (من كتاب فضائل الترك، ص ٤١)

صفحة ١١٠ (حاشية ٣)

أضف على الخلاصة التي أوردتها عن صباح بن خاقان رأى الجاحظ فيه أنه "كان ذاعلم وبيان، ومعرفة وشدة عارضة، وكثرة رواية مع سخاء واحتمل وصبر على الحق ونصرة للصدیق وقيام بحق الجار". ("البيان والتبيين" ج ١ ص ٣٦).

صفحة ١١٦ (حاشية ١)

أضف على المعلومات التي أوردتها عن "أبن دأب" ما رواه الجاحظ في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٤، ١٢٥).

صفحة ١١٨ - ١٢٠

أضف إلى الحواشي التي كتبها عن علامات الانصراف ما أورده الجاحظ في "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٦٠).

صفحة ١١٩ (حاشية ٤)

أضف إلى شرحي لكلمة "محصرة" قول ابن سيده: "المحصرة ما يسير به الملك إذا خطب" (عن المخصص ج ١١ ص ١٨) . وأما الجاحظ نفسه فقد وفي هذا الموضوع حقه في "كتاب العصا" الذي أدمجه في كتاب "البيان والتبيين" وقال فيه (ج ١ ص ١٣٩) مانصه : "كانت المحاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها ، ولذلك قال الشاعر :

فِي كَفِّهِ خَيْرُ زُرَّانٍ رِيحُهَا عَبَقٌ * بِكَفِّ أَرْوَغٍ فِي عِرْنَيْنِهِ شَمَمٌ^(١).

وأنظر بقية الأبيات هناك . وقد أورد الجاحظ هذا البيت في "الحيوان" (ج ٣ ص ١٥٢) وعلق عليه بقوله : لأن الملك لا يختصر إلا بعود لَدُنِ نَاعِمٍ .

وأنظر أيضا كتاب "العصا" لأسامة بن منقذ ، وقد طبعه العلامة هرتويف درنبرغ Hartwig Derenbourg في ضمن كتابه على أسامة بن منقذ Ousâma Ibn Mounkidh, *un émir syrien aux premiers siècles des croisades*.

صفحة ١٢١ (حاشية ٢)

ذكرت في هذه الحاشية شاعر قریش "عروة بن أذينة" . وما يجب التنبيه إليه أن هناك رجلا آخر اسمه "عروة بن أذينة" . وقد غلط صاحب القاموس فوصفه بأنه "شاعر" . وترتب على ذلك أن الشارح وقع في التخليط مع أن شيخه عرف الصواب فنص على (أن الصحيح أنه "ابن أذينة" تصغير أذن) . ولكن الشارح رد على ذلك بأن الصاغاني نسب هذا القول إلى العامة . (أنظر "تاج العروس" ج ١٠ ص ٣) . والتحقيق أن "عروة بن أذينة" منسوب إلى جدته "أذينة" . وأما أبوه فهو حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة . وقد قتله زياد بن أبيه في أيام معاوية (أنظر "الكامل" للبرد طبعة ليبسك ص ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣) .

أما "عروة بن أذينة الشاعر" ، شاعر قریش ، فقد عاش إلى أيام الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان . ونسبه وأخباره وأشعاره كثيرة جدا تراها في "الأغاني" خصوصا في الجزء ٢١ ص ١٦٢ - ١٧١ (وأنظر فهرسه أيضا) .

(١) الأَرَوغ : الذي يروعك ويعجبك لحسنه أو شجاعته .

صفحة ١٢٣ (حاشية ١)

أضف على ما أورده عن استعمال "السَّكِينَة" أن صاحب بدائع البداهة (ص ٢٢٧) قد أنشد لأبن قلاقر
الإسكندريّ مرتجلاً :

أَنَا الْفَقِيرُ يَبْطِخُهُ * وَسَكِينَةٌ قَدْ أُجِدَتْ صَقَالًا ،
فَقَطَعَ بِالْبَرْقِ بَدْرَ الدُّجَى * وَنَاولَ كُلَّ هَلَالٍ هَلَالًا .

صفحة ١٢٤ (س ١ من المتن، ثم ح ١)

اتفقت النسخ على التعبير بلفظ "الحوى" عن المكان الذى قد ينام فيه الملك . وكنتُ آثرتُ استعمال
"الحاوى" لأنه من اصطلاحات الفلاسفة . والآن أرى أن الرجوع إلى اللفظ الأول أفضل . لانه وارد
في جميع النسخ الثلاث ، ولأن اللغة لا تمنع من ذلك .

صفحة ١٢٩ (س ٢)

شرح الجاحظ الملal وشهوة الاستبدال في كتاب "البيان والتبيين" . (ج ٢ ص ١٥٨) .

صفحة ١٣١ (حاشية ٥)

ترى تعريفًا لطيفًا عن ابن أبي عتيق في الجزء الثانى من كتاب "الحيوان" (ص ٢٨) .

صفحة ١٤٣ (سطر ٦ وما يليه)

قارن ما كتبه الجاحظ في "التاج" عن رأى الناس في المشهور المتداول بما أورد في كتاب "الحيوان"
(ج ٢ ص ٣٦) مما يدخل تحت هذه البابة فيندمج في ذلك المعنى

صفحة ١٥٥ (حاشية ٢٠١)

أضف على هاتين الحاشيتين أن الجاحظ يقول إن الموسوس غلفاء بن الحارث "كان يتغلف" ويغلف أصحابه بالغالية، فُسِّمَ "غلفاء" بذلك "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ١٦١).
قال في الصحاح "وتَغَلَّفَ الرجلُ بالغالية وَغَلَّفَ بها لحيته غَلْفاً ، ومعد يكرب بن الحرث بن عمرو أخو شُرَحْبِيل بن الحارث يُلقَّبُ بالغلفاء لأنه أوَّل من غَلَّفَ بالمسك ، زعموا" . ونحوه في "اللسان" (ج ١١ مادة غ ل ف).

صفحة ١٦١ (حاشية ١)

يضاف على السطر الثالث منها أن ابن أبي الحديد روى محاكمة علي بن أبي طالب مع خصمه أمام عمر بن الخطاب "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ١٣٣).
هذا، وقد صنف أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري كتاباً خاصاً في هذا الموضوع سماه "كتاب من أحكم من الخلفاء إلى القضاة" . [ذكره ياقوت الحموي في ص ١٣٧ من القسم الأول من الجزء الثالث من "معجم الأدباء" .]

وقد سهوت عن ذكر شيء مما وقع من هذا القليل بالأندلس ، مع علم الخاص والعام بفراغ هذا القطر وعن كانوا فيه . فرأيت أن أتلفي الآن ذلك الإهمال بالإحالة على ما حصل من قاضي قضاة قرطبة محمد بن بشير (المصري الأصل) مع الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ومع عمه ووزيره (وأنظر التفصيل الوافي في نقح الطيب ، ج ١ ص ٣٩٥ طبعة بولاق ، ج ١ ص ٥٥٥ طبعة ليدن ؛ وفي كتاب بغية المتمس للضبي طبع مدريد ، ص ٥١ ؛ وفي كتاب التكملة لكتاب الصلة لأبن الأتبار ، طبع مدريد ، ص ٩٠ ؛ وفي كتاب المدارك للقاضي عياض ، الذي أشار إليه صاحب نقح الطيب) . ومثل ذلك ما وقع أيضاً لمنذر بن سعيد البلوطي مع الخليفة الأكبر عبد الرحمن الناصر (وأخبر هذا القاضي مشهورة تجدد المعجب والمطرب منها في الكتب المذكورة — بمراجعة فهارسها) وأنظر على الخصوص نقح الطوب طبع أوروبا (ج ١ ص ٤٧٠) وما يليها .

صفحة ١٦٦ (سطر ٣ - ٧)

أنظر ما رواه الجاحظ في كتاب "الحيوان" عن مهارة بهرام وفروسيته في صيد الحمار الوحشي .
(ج ١ ص ٩٤) .

صفحة ١٦٦ (حاشية ٢)

أضف على المعلومات التي أوردتها عن "الطير" و"الطيرزين" :

١ - أن ابن جرير الطبري الشهير ذهب إلى أبي حاتم السجستاني ليأخذ عنه حديثاً في القياس . فأفاده أبو حاتم ، ثم سأله عن بلده ، فقال : طبرستان . ولما سأله عن سبب هذه التسمية ، قال : لا أدري . فقال أبو حاتم : إن المسلمين بعد أن فتحوا هذا الإقليم شرعوا في بناء المدينة ، وكانت أرضاً ذات شجر ، فالتسوا ما يقطعون به الشجر . فجاؤهم بهذا الطير الذي يقطع به الشجر ، فسمى الموضع به . (أنظر "معجم الأدباء" لياقوت ج ٦ ص ٤٢٨) . وقد ذكر الجاحظ "الطيرزين" و"الطيرينات" في كتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٧٦) وفي كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٥٣) .

٢ - أن أهل مصر توسعوا في القرن الثامن للهجرة فأطلقوا لفظة "طبر" على السلاح جملةً . يدل على ذلك قول تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي في كتاب "معيد النعم ومبيد النقم" (ص ٥٠ من طبعة لوندرة سنة ١٩٠٨) : الطبردار وهو الذي يحمل السلاح بين يدي السلطان لأجل حفظ نفسه .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٢)

يظهر من كلام الجاحظ نفسه أن الخباز عندهم كان هو الطاهي والطباخ ، وأنه هو الذي كان يقدم الطعام للمخدوميه .

قارن ما ذكره في صفحة ١٧٣ من كتاب "التاج" بما ذكره قبل ذلك في صفحة ٢٠ . وأعتبر كلامه في "الحيوان" (ج ٤ ص ٢٦) حيث قال : إن "العرب تقول للرجل الصانع ... خبازاً . إذا كان يطبخ ويعجن" . وقد قال في الجزء الخامس منه (ص ١٣٦) : "ولذلك صار الخبازون المذاق قد تركوا

الضأن، لأن المعز يبق شحمه ولحمه فيصلح أن يُسمَنَ مرَّاتٍ، فيكون أَرْجَحَ لأصحاب العُرسِ“. وأنظر في الجزء السادس منه (ص ١٦٦ - ١٦٧) قصة الطباخ السندى الذى اشتراه ثمامة [بن أشرس] ثم قال عنه للمحافظ: "إنه أحسن الناس خبزا وأطبغهم قدرا".

ورود في كتاب "البخلاء" للمحافظ :

- ١ - إنك لتغالى بالخباز والطباخ والشواء والخبأص | أى الذى يصنع الخبيصة [(ص ٧٠)] .
 - ٢ - قَرَبَ خبازُ أسد بن عبد الله - وهو على خراسان - شواء قد نضجه نضجا ، وكان يعجبه ما رطب من الشواء ، فقال لخبازه : أتنظن أن صنيعلك يخفى على ؟ (ص ١٦٠) .
 - ٣ - جاء الخبازون فرفعوا الطعام (ص ١٦٤) .
- فكل هذه النصوص تؤيد ما قلناه من أن الخباز عندهم كان هو القائم بخدمة الآكلين ، وأنه كان فوق ذلك قد يصنع بعض ألوان الطعام .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٣)

ذكر الجاحظ البزماورد في كتاب "الحيوان" فقال : والدجاج أكثر اللحوم تصرفا ، لأنها تطيب شواءً ، ثم حاراً وبارداً ، ثم تطيب في البزماورد (ج ١ ص ٩١) . ثم قال في موضع آخر : إن "أهل خراسان يُعجَبون بآتخاذ البزماورد من فراخ الزناير ، ويعافون أذنا بجراد الأعرا بى السمين . " (ج ٤ ص ١٥) . ثم أورد في الجزء السادس منه (ص ٢٨) أن الفضل بن يحيى استظرف بزماورد الزناير حينما كان واليا على خراسان . فلما عاد إلى بغداد كان يشتهيها ، فطلب له من كل مكان . وحنى حكاية رجل بدوى تناول الطعام على مائدة الأمير ، وقد عيره الندماء بأكل الجراد الأعرا بى . ثم مالبت الرجل أن رأى القوم أحضروا على المائدة صحفة ملائمة من فراخ الزناير ليتخذوا منها بزماورداً للأمير . فخرج البدوى وهما بىات ، تراها هناك .

صفحة ١٧٦ (حاشية ٣)

أنظر أيضا التفصيل الذي أورده الجاحظ عن قتل المنصور لأبي مسلم الخراساني في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٥٥) .

صفحة ١٨٤ (سطر ١٥)

مانى الثنوى هو القائل بالنور والظلام . والطالب يرى ترجمته في "شرح العيون" (ص ١٥٥) .
والقائلون بمذهبه يسمون "مانية" و"مانوية" . وأسمه عند الفرنسيين Maniché, Manès
وأسم أصحابه Manichéens . وكان مولده باليمن حينما كانت تابعة للفرس .

تصحیحات

لأغلاط مطبعية طفيفة وردت في المتن وبعض الحواشي، رأيت وجوب استدراكها ليكون الكتاب آية في الكمال بقدر الإمكان .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١	١٤	أبو الحسن بن بكر	أبو الحسن بن أبي بكر
٢٠	٨	ويَنسَعُ ، ويَقصر ويَجهد	ويَنسَعُ ، ويَقصر ويَجهد
٢٤	١٠	بِخاطبة ...	على مخاطبة
٣٣	١٤	بهرام جور	بهرام جور
٤٠	١١	وجاؤا ...	وجاؤوا
٤٧	٨	حتى ...	حين
٤٧	١٩	ص ٢٠ من طبعتنا	ص ٢٥ من طبعتنا
٤٨	٢١	قضاء مديرية الشرقية بمصر	قضاء الشرقية ببغداد
٧٠	١٤	حالات ...	حالات
٧٨	١٤	تنب ... تكون	يثب ... يكون
٧٨	١٥	قَدَّامها ...	قَدَّامه
٩٨	١١	خلوا ، تذاكروا	خلوا ، تذاكروا
٩٩	١٥	الأطلاع	الأطلاع
١٠٢	٩	للسفلة ...	للسفلة
١١١	١	الرويدية	الزيدية (١)
١١٦	١٢	يقروون ...	يقروون
١٢١	٩	بجارج ...	بجارج
١٢٥	١٢	أراد مرد	آزاد مرد (٢)
١٢٦	٣٤١		
١٣١	٣	غزل ...	هزل (٣)

(١) هذا التصحيح عن النسخة الحلية . ولعله قريب من الصواب . ويكون الواجب تصحيح رواية
 سه ، صـ بمقتضاه ، أى نجعل بدل " الرويدية " لفظة " الزويدية " بطريق التصغير والتحقيق لكلمة
 " الزيدية " (كما فعل في صفحة ١٣٥ س ٣) .

(٢) هذا التصحيح عن الحلية أيضا . والفُرس يسمون بهذا الاسم ، ومعناه " الرجلُ الحرُّ " .

(٣) هذا التصحيح عن الحلية أيضا . وهو وجيه جدًا ومتحمّ يقضى به السياق .

استدراك^(١)

للمهم من الاختلافات في رواية النسخة الحلبية ، وخصوصا للزيادات
التي انفردت بها دون نسختي سـ ، صـ .

(الكلمات الزائدة في الحلبية أدبجناها في الرواية بحرف كبير ، تميزا لها وتنبها على موقعها)

ص ٢ س ٩ "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات" [والآية التي
في آخر سورة "الأنعام" (آية ١٦٥ سورة ٦ من مصحف الحافظ عثمان) ليس فيها
لفظ "في" والذي أوجب الخلط على ناسخ الحلبية قوله تعالى في سورة "فاطر" :
"هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فن كفر فعليه كفره" . (آية ٣٩ سورة ٣٥)
وهي غير الآية التي يريد بها الملاحظ ، وليس فيها محل الشاهد الذي توخاه] .

ص ٤ س ٤ "أى لينا" بدلا من "قال كتيابه" . [وما أعتمدناه هو الصواب كما تراه في تفسير
الرازي وغيره] .

ص ٥ جميع الوارد في هذه الصفحة ناقص في سـ وهو موجود في الحلبية مثل ما هو في صـ ،
مع بعض اختلاف وقع من الناسخ الحلبى .

ص ٧ س ١ إقتصر صاحب الحلبية على ترجمة الباب بقوله "في الدخول على الملوك" ثم أبتدأ الكلام
بقوله : "قال رحمه الله : مما يجب لللك إن كان الرجل من الأشراف والطبقة العالية أن
يقف" . [وعندى أن ذلك الترتيب أفضل من روايتنا ولذلك أعتمدته في فذلك المضاين] .

ص ١٣ س ١ "عبد الرحيم" [مثل سـ] بدلا من "عبد الرحمن" [الذى أعتمدناه عن صـ] .

ص ١٣ س ١ "الملك" بدلا من "إسحاق" . [فكان ناسخ الحلبية أتفق مع ناسخ سـ إلا في وضعه لفظه

"الملك" في موضع البياض الذى تركه صاحب سـ ، وأنظر حاشية ٣ من ص ١٣] .

- ص ١٧ س ٤ "يعنى" بدلا من "يقندى". [وربما كانت رواية الحلبة أحسن].

ص ١٧ س ١٠ "كان" بدلا من "الحاف". [ولا بأس برواية الحلبة أيضا].

ص ٢١ س ٤ "واذوات" بدلا من "وأدوات". [وكلا الروايتين لامتغى له وأنظر حاشية ١].

ص ٢٢ س ٦ في الحلبة : "وإن كان الملك يشرب الخمر والعباد بالله ليس للرجل الواقف في خدمته أن يختار" بدلا من "وليس له أن يختار"... [وفي رواية الحلبة تمطيط لا يتفق مع الممهود من أسلوب الجاحظ].

ص ٢٣ س ٣ "حدّ يليها" بدلا من "جدليها". [وروايتنا هي الصواب وأنظر الحاشية رقم ٢].

ص ٢٤ س ١١ "عن أصلها وفصلها" بدلا من "عن فضيلتها". [وروايتنا توافق الممهود من أسلوب الجاحظ].

ص ٢٥ س ١ "وحصر كل طبقة منها قسمها" بدلا من "وخص كل طبقة على قسمتها". [فقد وافق حررنا ما في الحلبة عند ماصححتنا "خص" بكلمة "حصر" التي عينا لنا السياق . وأنظر حاشية ١ في تلك الصفحة].

ص ٢٨ س ١٠ "خرتوماش" بدلا من "حرم باش". (ورواية الحلبة مغلوطة ، وأنظر الحاشية رقم ٢).

ص ٢٨ س ١٢ » » » » » » » ») « « « « « « « « ».

ص ٢٩ س ٨ "تنقى" بدلا من "شغلى". [ورواية الحلبة تتفق مع رواية سه].

ص ٣٠ س ١٥ "بقرائن" بدلا من "باين". [فرواية الحلبة تتفق مع رواية سه].

ص ٣١ س ١ في الحلبة : "إبراهيم الموصلى" ... [وأنظر الحاشية التي وضعها في أسفل تلك الصفحة].

ص ٣٤ س ٧ "واحدا من مغنيه وبطائمه في عشر سنين" ...

ص ٣٥ س ٧ "قليل العطاء سيئ النظر" بدلا من "قليل الإغضاء سيئ الظن". [وعندى أن روايتنا أفضل].

ص ٣٥ س ٩ "لاتعطيني" بدلا من "لا يعطيني". [وعندى أن روايتنا أفضل].

ص ٤٥ س ٧ "و[لا] سيما" فقد توافقتنا مع الحلبة في إضافة أداة النفي. ولكن الحلبة عادت فأهملت أداة النفي في موضع آخر. فأوردت "سيما" في الموضع الذي أشرنا إليه في صفحة ١٥٧ من طبعتنا. وهذا الموضع قد آتفتت فيه النسخ الثلاث على إهمال أداة النفي [وأنظر الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ والحاشية، ثم س ٤ ص ١٥٧].

ص ٤٦ س ٨ لا يمسوا طيبا يتطيب به الملك دونهم ... [وهذه الزيادة في الحلبة جميلة لتخصيصها نوع الطيب الذي يستعمله الملك].

ص ٤٧ س ٢ "مثله وإلا لم يكن بين الملوك والسوقة فرق".

ص ٤٨ س ٢٩١ "وإبراهيم بن المهديّ وقد دخل عليه ابن أبي دؤاد" بدلا من "وهذا إبراهيم بن المهديّ بالأمس دخل على ابن أبي دؤاد". [فاتفق سه وصه على أن الداخل هو إبراهيم ابن المهديّ بخلاف ما جاء في الحلبة. وعندى أن روايتهما هي أقرب إلى الصواب لأن إبراهيم من بيت الخلافة، بل إنه أتى عليه حين من الدهر تبوأ فيه مقعدها وقام بأمرها. ولا شك أنه تخوف دسيسة من ابن أبي دؤاد حينما آنتقد عليه لبسة هي خاصة بالخليفة].

ص ٤٩ س ٩ "في الشرب إذا كان الملك يسكر وأن"

ص ٤٩ س ١١ "تجاوز حدّ العدل على الخاصة" بدلا من "تجاوز حق العدل على الخاصة" [ورواية الحلبة أحسن وأمتن].

ص ٥٠ س ١٠ "هذه الخصال منه" بدلا من "هاتان منه" ... [وعندى أن رواية الحلبة أكثر حسنا وأتم بيانا].

ص ٥٠ س ١٣ "ولايته اللهم إلا أن" ... [وعندى أن هذه الزيادة في الحلبة في غاية الجمال].

ص ٥١ س ٩ "ومن أخلاق الملك السعيد الكامل العقل والأدب أن لا يعاقب"

ص ٥١ س ١١ "الأمة" بدلا من "الملة" [وعندى أن كلمة "الأمة" مصحفة عن "الأئمة" الواردة في سه. وقد آستحسننت "الملة" الواردة في سه من أجل المجانسة مع الشريعة الواردة في جميع النسخ].

- ص ٥٢ س ١ "غيره" بدلا من "السوقة" ... "العالم" بدلا من "الحاكم". [وهاتان الروايتان أحسن مما أعتمدناه عن سـ و صـ].
- ص ٥٣ س ١٢ و ١٣ "والحديث عنها أقوم منهم إلى فوائد" بدلا من "والحديث عنهم أقوم وأشهى منها إلى فوائد". [ولا شك أن رواية الحلبي محرفة وصوابها "أقوم وأنهم إلى فوائد". وأنظر الحاشية رقم ٢].
- ص ٥٨ س ٣ "فارتاع من حضر" بدلا من "فارتاع ومن حضره".
- ص ٦١ س ٩ "يتق" بدلا من "يتق".
- ص ٦٤ س ١٠ "الجواميس" بدلا من "الجواسيس". [ومثل هذه السخافات كثير في الحلبي].
- ص ٧٢ س ١٠ "(باب في الخلال التي تساوى الندماء فيها الملوك : قال صاحب الكتاب رحمه الله تعالى : ينبغي أن يكون لندماء الملك وبطانته". [وهو تقسيم وجيه لطيف ، ويجب أعتماده في طبعتنا].
- ص ٨١ س ٧ "عبد الله بن حسين" بدلا من "عبد الله بن حسن".
- ص ٨٧ س ٢ "بأسم غير اسمه أو أسم أبيه" بدلا من "بأسم أبيه". [ورواية الحلبي أكل].
- ص ٩٥ س ٢ "أن لا" بدلا من "أن [لا]". [فكانت زيادتنا لحرف النفي موافقة لما في الحلبي].
- ص ٩٥ س ١٥ "التبالة" بدلا من "النأله". [وهذا التصحيف فيه تبالة من الناسخ].
- ص ٩٦ س ٣ "فأمتحن بعض الملوك". ... [وهذه الزيادة سخرية ، وهي توجد في سـ أيضا . والرواية المتعينة هي الواردة في صـ ، وهي التي أعتمدناها في الطبع].
- ص ٩٦ س ١٧ "إلى نسائه اللواتي" بدلا من "إلى بستانه الذي".
- ص ٩٨ س ٢ "التبالة" بدلا من "النأله". ... [وهو تبالة ثان من ناسخ الحلبي].
- ص ٩٩ س ٩ "نبتة لعلة صلح بخلافها ومن فسدت نبتة لغير علة". ... [ورواية الحلبي وجيهة جدا . وواجبة . فينبغي أعتمادها في طبعتنا].

- ص ١٠١ س ١٣ "دراهم" بدلا من "دنانير".
- ص ١٠٣ س ١ "أكثرُوا التغافل" بدلا من "السروُ التغافل". [وروايتنا هي الصحيحة].
- ص ١٠٤ س ٢ ولا كرامة لك
- ص ١٠٦ س ٥ ثم قال : نعم هذا
- ص ١٠٦ س ٥ "وجازوا بالراس فوضع بين يديه . فقال لمن حضره : فيكم من يعرف هذا الرأس ؟ فقام" [وهذه الزيادة يقتضيها السياق . فلتتمد في طبعنا].
- ص ١٠٧ س ١ رحمه الله : و زاد إلى مجلسه فقعد فوثب [» » » »] .
- ص ١٠٨ س ٧ "فقال : أما والله"
- ص ١٢٠ س ١٠ "والخطوة والسلطان" بدلا من "والخطوة عند السلطان". [ولعل رواية الحلبية أفضل . ويكون السلطان فيها بمعنى السلطة ، وأما في رواية سه ، صه فعناه الملك الأعظم].
- ص ١٢٢ س ١٥ "فيتواطآن على كذب" بدلا من "فيتواطآن".
- ص ١٢٤ س ٧ "ليس منها فراش إلا ومن ورائه من بعيد على الأفراد لا يشك أنه" بدلا من "ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الأفراد لا يشك أنه"
- ص ١٣٠ س ٧ • "أما ترى" بدلا من "ألا ترى". [ورواية الحلبية حسنة جدا].
- ص ١٣٤ س ٦ "هلال الحمداني" بدلا من "مهامل الحمداني". [وروايتنا هي الصواب].
- ص ١٣٤ س ١٠ "وقد" بدلا من "و [قد]". [فتصححنا جاء موافقا لما في الحلبية].
- ص ١٣٥ س ٣ "نكردى" بدلا من "كريجى". [ورواية الحلبية أقرب للصواب وإنما ينقصها التصغير للتحقير].
- ص ١٣٥ س ١١ "ولعله لا يجد" [وزيادة أداة النفي هنا وجية ومتممة].
- ص ١٣٦ س ١٠ "كل من قرب من نفس الملك" بدلا من "كل من أنفك الملك". [ورواية الحلبية جيدة والاصح اعتمادها . ويكون المعنى : كل من جعله الملك نفيسا عنده].

- ص ١٤١ س ٥ "عيسى بن برمك" بدلا من "عيسى بن نهيك". [ورواية الحلبي مغلطة في هذا المقام ولكنها صحيحة في بقية الكلام لأنها عادت فسمته عيسى بن نهيك].
- ص ١٤٣ س ٩ "لثى. هوفيه لم ندر" بدلا من "لثى. آخرلا ندرى"
- ص ١٤٤ س ١٤ "مشاهدة أو مشافهة" بدلا من "مشاهرة أو مساناة". [وسخافة الحلبي ظاهرة].
- ص ١٤٥ س ١٠ "حوادث الدهر والموت" بدلا من "حوادث المؤن".
- ص ١٤٧ س ٤ "موانيد" بدلا من "موايذ".
- ص ١٤٨ س ١٥ "يُجَدِّده ... يجَدِّدها" بدلا من "يُخْذِه ... يأديها".
- ص ١٥٠ س ١٤ "وجود النَّهْم المشاق" بدلا من "وجود القرم النهم المشتاق".
- ص ١٥٠ س ١٥ "لذة الطعام وطيبته" بدلا من "لذة الطعام وأطيبه". [ورواية الحلبي أطيّب].
- ص ١٥١ س ١٢ "جمعة يوما وليلة" بدلا من "يوم وليلة مرة". [ورواية الحلبي أحسن].
- ص ١٥٣ س ٦ "الجمعة وربما لم يشرب في بعض البواقي من أيام الجمعة. فأما هذان اليومان فلم يكن ليشرب فيهما بته" ... [ورواية الحلبي أجود وأكمل].
- ص ١٥٣ س ١٣ "فإذا ذهب رونقه وبعض ما به رمى" ... [ولعل الصواب "وبعض مائه" كما في نسخة ص. والماء هنا بمعنى الروق والهاء كما يقال في الجواهر الكريمة والأحجار النفيسة. وحينئذ فلا يكون هنالك وجه لما أوردناه في حاشية تلك الصفحة من الظن باحتمال أن "مائه" محرفة عن "بهائه"].
- ص ١٥٤ س ١١ نادرا معجزا معجبا غريبا ... [ولا معنى لوضع "معجزا" في هذا المقام بل هي زيادة من الناسخ تدل على عجزه].
- ص ١٥٥ س ٢ "اختلاف الملوك" بدلا من "أخلاق الملوك".
- ص ١٥٥ س ٣ "فن الملوك من كان إذا" ... [وزيادة "كان" واجبة].
- ص ١٥٩ س ٤ "من أبناء الملوك وأهل الشرف"

ص ١٥٩ س ٧ "من ملوكهم قبله وبعده"

ص ١٦٢ س ١ في الملكة بالباطل

ص ١٦٣ س ٧ "النحس الكبير" بدلا من "النحس الباركر". [ورواية الحلبة ربما لاتزيل الإبهام].

ص ١٦٥ س ٣ "لتقوى منك" بدلا من "لتقوى نيتك".

ص ١٦٦ س ٣ "فأخذ التاج" بدلا من "فأخذوا التاج".

ص ١٧١ س ٢ "وحدثني أبو الترب الشاعر : كان يُجْرى على أرزاقا فدخلت عليه"

"يوما . فقال ، بعد أن أنشدته وسألني عن عيالي : تحتاج عيالك في كل"

"شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا ومن كذا إلى كذا".

"فأخبرني بشيء من أمر منزلي جهلت بعضه وعلمت كله".

[وقد وضعت هذه الزيادة في طبعتي نقلا عن "المحسن والمساوي" لليهقي . وليس

بين رواية الحلبة وبين رواية اليهقي خلاف كبير إلا في أسم الشاعر ولست أدري صحته

أهو أبو البرق أم أبو الترب ؟ وأما العبارة التي أوردتها في طبعتي فهي أصح وأوجه].

ص ١٧١ س ١٢ "وفيا ذكرناه كفاية والله أعلم بالصواب". [وهنا وقف الحلبة مبتورة].

التعريف بكتاب

”تنبيه الملوك والمكايد“

المنسوب للمحافظ

ذكرتُ هذا الكتاب في ”التصدير“ وأكثرُ من الإشارة إليه في الحواشي التي حليتُ بها ”التاج“ .

فلا بدّ أن يكون القارئ قد تشوّف إلى الإسلام بشيء عنه . فلذلك رأيت أن التعريف به قد تكون فيه فائدة .

عثرُ على النسخة الأصلية - وهي الوحيدة فيما أعلم - بمخزاة الكوبريلي بالقسطنطينية تحت رقم ١٠١٥^(١) .

وقد وضع بعضهم فوق حرف الباء من لفظة ”كتاب“ عبارة بخط حادث هذا نصّها. ”تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ“. ثم جاء رجل آخر فأيد هذه الرواية إذ كتب تحت العنوان سطرا ثالثا بخط جديد أيضا يغير خط النسخة من أولها إلى آخرها، وهي ”للمحافظ رحمة الله عليه“ .

ظننتُ أنني ظفرتُ بدرة يتيمة من تلك الدرر التي تفرد بها الجاحظ . فأنشأتُ أتصفّح الكتاب ، ولكنني ما قرأتُ منه سطرين حتى نقضتُ الحكم ورجعتُ عن الضلال الذي أوقعني فيه ذاك الجاهلان المجهولان .

(١) نقلت بالتصوير الشمسي نسخة من هذا الكتاب ، هي الآن محفوظة بدار الكتب الخديوية بالقاهرة .

بل هذه مقدمة الكتاب بنصّها وفصّها :

”بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذى أفتح بالحمد كتابا ، وفتح للعبد إذا وافى إليه بابا ،
قسم بين خليقته فطوّروا أطوارا وتحزّبوا أحزابا . أنفذ فيهم سَهْمَهُ ، وأمضى فيهم حُكْمَهُ ، وجعل لكلّ شئ :
أسبابا . فهم دائرون فى دائرة إرادته لا يستطيعون عنها انقلابا . داهشون فى بدائع حكمته ، ومشيتة
وإرادته ، يُعزّ من يشاء ، ويُذل من يشاء ، ويرزق من يشاء ، ولم يزل كريما وهّابا . نحمده على ما أُولى وأنعم ،
ونصلّى على نبيه المبعوث إلى العرب والعجم ، صلى الله عليه وعلى آله وشرف وكرم ! (أما بعد) فهذا كتاب
يشتمل على ذكر تنبيه الملوك والمكاييد ، ليحصل عند مطالعته الاحتراس من كل صديق ورفيق وما تحت ثيابه
من البُغض والتحاسُد . فنعوذ بالله من ذلك ، ونستعين بالله ، ونتوكل على الله ، ومن يتوكل على الله
فَوَّ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا “ .

فهذه المقدمة وحدها تنادى بلسان الحال أن الجاحظ لا يمكن أن يكون هو المؤلف لهذا الكتاب .

تعالى الجاحظ أن يجرى قلمه بمثل هذا السجع المرصع أو بمثل هذه العبارات المنمقة ! فهو أعلّ كعبا وأرسخ قدما من أن يتنازل لأفتتاح أحد كتبه بمثل هذا الكلام . هذا الحكم يؤيده الكتاب نفسه . ففى تضاعيفه أحوال كثيرة عن خلفاء وملوك ورجالات لم يخلقهم الله إلا بعد وفاة الجاحظ بسنين وأعوام . مات الجاحظ فى سنة ٢٥٥ للهجرة ، فكيف يصح فى الأذهان أنه يسرد فى صفحة ٣٠٥ بعض الحوادث التى وقعت فى سنة ٢٦٨ ؟ ثم كيف يعود فى صفحة ٤٣٠ فيفصل الوقائع التى حصلت فى سنة ٣٥٨ ؟ ويا بُعد ما بين ابن طولون وكافور الأخشىدى والمتنبى وبين الجاحظ ! ومع ذلك فقد تضمن الكتاب لَمَعًا من أخبار هؤلاء الرجال !!!

حينئذ لم يبق لدينا أدنى شبهة في أن المؤلف كان متأخرا عن الجاحظ بزمان مديد .
وكيف لا وقد أفاض في شرح المكاييد والحوادث التي وقعت بعد وفاة الجاحظ ،
شرحا يدل على أن المؤلف كان محيطا بأحوال عصره ، واقفا على ما جرى دهره ؟
نعم إن المؤلف سطا على كثير من الحوادث التي رواها الجاحظ في كتاب "التاج"
فأوردها في النصف الأول من كتابه ، وقد وضعنا جدولا للسرقات ^(١) تراه في غير هذا
المكان .

ولكن هذا السطو الجزئي هل يكون مبررا للسطو الكلي ، فيجعل لبعض المتأخرين
المتأخرين مساغا في نسبة الكتاب برمته إلى الجاحظ ؟ كلا لعمري !

هذا . والكتاب في حد نفسه وفي بابه مفيد ، وجامع للغرض الذي توخاه المؤلف ،
وجدير بأن يظهر في عالم المطبوعات العربية . وهو يقع في ٤٣٨ صفحة في كل صفحة
١٥ سطرا . ولكنه يحتاج اعناية في التصحيح والتهذيب .
أما موضوعاته هذا المؤلف فتتخصر في أربعة أقسام :

(١) مكاييد الفرس وملوكهم (من صفحة ٣ - ٤٩) .

(٢) » الهند » (٤٩ - ٥٤) .

(٣) » الروم » (٥٥ - ٦٣) .

وما بقي من الكتاب ، قصّره على أخبار العرب في مكاييدها سواء كان في أيام الجاهلية
أم في صدر الإسلام أم بعده . وأسهب الكلام في المكاييد التي وقعت من خلفاء

(١) أنظر جدول السرقات في صفحة ٦٩ من التصدير الذي وضعناه في أول هذا الكتاب .

الإسلام أو من رجالاتهم في أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية والعباسيين، ثم في زمن أحمد بن طولون وكافور الأخشيدي . وقد ختم كتابه بقوله في صفحة ٤٣٠ :

”فهذا ما قصد إبداعه في هذا الكتاب ! ولعلم أن كل ما يصنع من هذه المكاييد نصرا لكلمة الدين وإقامة لعمود الملك فهو حسن عقلا وشرعا : لأن في المكاييد سلامة الأولياء من المخاطرة بالمهج ، ولهذا صار أهني الفتوح ما بلغ بالمكاييد فيه الغرض المقصود . فإن قصي بن كلاب إنما غابت على أهل مكة حيث آتزعها بالمكيدة التي آستعملتها . وكذلك أردشير مؤسس ملك آبن ساسان المرتجع له من أيدي الذين آقتسموه من ملوك الطوائف ، إنما وصل إلى ما وصل إليه من جمع المملكة كلها له بما آستعمله من المكاييد . قال النبي صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ” الحرب خدعة “ . وقد أكد عليه السلام من ذلك بأفعاله التي كان يستعملها في محاربة أعداء الدين من التورية عن مقصده عند مسيره في غزواته ، وخصوصا ما آستعمله في فتح مكة “ .

ثم قال في صفحة ٤٣٨ :

فقد بان أن الشرع والعقل يمدان المكاييد إذا صرفت على الوجه الذي يعز به الدين وينتفع به المسلمون . وآرتفع بهذا وجه اللوم في جميع هذه المكاييد في هذا الكتاب .

نجز الكتاب ” تنبيه الملوك “ .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، في ” سلخ ربيع الآخر سنة أربعين وستائة “ .

أما المؤلف في ذاته فلم أتوصل إلى معرفته مع إنعام النظر في كتابه . وغاية ما توفقنا إليه أنه عرفنا بنفسه عن نفسه تعريفا مبهما مجهولا نستنتج منه أنه من الشيعة ، كما أنه آكتفى بتسمية نفسه مرتين بأسم ” جامع الأخبار “ .

روى ” جامع الأخبار “^(١) أنه سهر ليلة عاشوراء بخندق الموالى القصرية وأطال التفكير فيما عرض لأهل النبوة ومعدن الرسالة والإمامة من آستيلاء أعدائهم عليهم

حتى تلاعبت به الظنون في وجه الحكمة والعدل في ذلك . فاستولى عليه النوم ورأى الإمام علياً في صفة الساخط عليه لاعتراضه . وما زال المؤلف يستعطفه حتى حظى بنعمة الرضوان . ثم استيقظ وكان بجانبه قاضى "الناحية المذكورة" فاستعلم منه عن سبب انزعاجه وقلقه فشرح له الأمر . فقبل القاضى بيده ، لأنها لمست يد الإمام علي . ففى ذلك دليل على أن المؤلف كان موجوداً بالقاهرة في أيام الفاطميين ، وأنه كان من الشيعة .

ثم عاد المؤلف (في صفحة ٣٥١) إلى تسمية نفسه بجامع الأخبار فقال :

" هذا الكتاب يبين فضل المجلس العالى السيدى الصالحى خلد الله ملكه الذى ينزه بأن يخدم بمثل هذه المحاولات ولهذا يقول فى بعض قصائده .

ولا خدعتنا منه قط ملاحم * تسدى بأصناف المحال وتلحم .
فأضعفها ما كان فيه رواية * وأسقمها الخط الذى هو أقدم .

فهذا القول ، أعنى "المجلس العالى السيدى" لا ينصرف بحسب الاصطلاح الرسمى المقرّر فى ديوان الإنشاء إلا لصاحب الوزارة الكبرى فى أيام المماليك أو الأيوبيين أو الفواطم ، كما يشهد بذلك ابن فضل الله فى "التعريف بالمصطلح الشريف" والقلقشنديّ فى "صبح الأعشى" .

أما المماليك ، فلا شأن لهم هنا . لأن دولتهم إنما كان مبدؤها فى سنة ٦٥٥ أى بعد ١٥ سنة من تاريخ نسخ هذا المخطوط فى سنة ٦٤٠ .

وأما الأيوبيون ، فقد قضوا قضاءً مبرماً على مذهب الشيعة بديار مصر . فلا يمكن أن يكتب أحد المؤلفين فى أيامهم شيئاً مثل العبارة الأولى التى نقلناها عن وجود

صاحبنا بين القصرين . وفضلا عن ذلك ، فإن صلاح الدين هدم القصرين ،
وعبارة مؤلفنا تدلنا على تمام العمران بهذه الخطة حيث كان لها قاض خاص بها
في أيامه .

فلم يبق لدينا أدنى شبهة في أن التأليف إنما ظهر في أيام الفواطم باسم أحد
وزرائهم الأكابر .

فلننظر من هو هذا الوزير حتى نتمكن من تعيين تاريخ التأليف بغاية ما يمكن من
التقريب والتحقيق .

أشار المؤلف إلى هذا الرجل باسم "الصالحى" وأنشد له شعرا . فهذا النعت
لا ينصرف إلا إلى الصالح طلائع بن رُزَّيْكَ ، خصوصا وقد شهد ابن خلكان بأنه
ممن كانوا ينظمون الشعر الجيد ، وأورد لنا غررا من أقواله ، وعرفنا بأنه رأى
ديوانه في جزأين .

فهذا الوزير تولى الأحكام على عهد الفائز الفاطمى ، وأستقل بالأمور وتدير
أحوال الدولة ؛ وكانت ولايته في ١٩ ربيع الأول سنة ٥٤٩ . وبعد وفاة الفائز ،
استمر الصالح على وزارته وزادت حُرْمَتُهُ وتزوج العاضد الفاطمى ^(١) ابنته . ثم دس
العاضد عليه من قتله . فكانت وفاته في ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ .

وحينئذ يتعين القول بأن مؤلف كتاب "تنبيه الملوك والمكايد" قد أخرج
كتابه للناس في أخبار الدولة الفاطمية بمصر ، وأن تأليفه كان في أواخر النصف
الثانى من القرن السادس للهجرة .

(١) أنظر ترجمته في ابن خلكان ، في حرف الطاء .

التعريف بكتاب ”محاسن الملوك“ لبعض الفضلاء

هذا تعريفٌ وجيزٌ عن ذلك الكتاب الذى أشرتُ إليه كثيراً فى ”التصدير“ وفى الحواشى . كتبته ليكون القارئ محيطاً بجميع العيون والمستندات التى لها علاقة بكتاب ”التاج“ .

عثرْتُ على النسخة الأصلية لكتاب ”محاسن الملوك“ فى خزانة طوب قيو بالقسطنطينية ، تحت رقم ٣٠٥٢ . وهو عبارة عن القسم الأول من مجموعة تشتمل أيضاً على كتاب آخر يتعلق برسل الملوك وسفرائهم^(١) .

فأما ”محاسن الملوك“ فيقع فى ١٢١ صفحة ، وفى كل صفحة منها ١٥ سطراً . وعلى طرته أنه ”جمعه بعض الفضلاء“ . وقد ابتدأه مؤلفه بعد البسملة بقوله :

”الحمد لله المتطهر بالعوارف ، المميز بالمعارف ، وجاعل الملوك قائمين فى الأرض بالوظائف التى على الخلاف ؛ الأمر بإعظام السلطان لقيامه بأعباء الإيالة ، وانتضائه للخلق بالكفالة ؛ وتقلده ما تنظم به أحوال العالم فى المعاش الذى هو وسيلة معادهم ، وسبب إحرازهم لأصل الخير وأزدياده . أحمد على نعمه“

ثم نوه بالملك الذى ألف له هذا الكتاب وسماه ”مولانا السلطان الملك العزيز“ . وقد نعت المؤلف نفسه ”بالمملوك“ . ثم ختم الكتاب بالدعوات لهذا السلطان ، وكثر فى غضونها التنويه به إذ قال : ”ولا زال مولانا العزيز“ .

(١) وقد نقلت نسخة من كل من هذين الكتابين بالتصوير الشمسى وأحضرتهما إلى دار الكتب

وقد تصفحنا الكتاب فلم نجد أثرا آخر يدلنا على المؤلف أو عصره . فبحثنا عن
هو "السلطان الملك العزيز" هذا .

فرأينا أن هذا الاسم لم يكن إلا لثلاثة من ملوك الإسلام : إثنان منهما من بني
أيوب ، والثالث من سلاطين المماليك .

فهذا الثالث هو الملك العزيز بن برسباي . تولى سلطنة مصر في سنة ٨٤١ هجرية ،
ولكنه لم يجلس على سريرها سوى ٣ شهور فقط . فلا يكون حينئذ هو المعنى بالتعظيم
والتعظيم الذي أورده المؤلف ، خصوصا أن الكتاب منسوخ في سنة ٧٩٥ هجرية ،
أي قبل أن يأتي هذا السلطان إلى الوجود بنصف قرن تقريبا .

أما السلطان الثاني المسمى "بالمملك العزيز" فهو ابن الملك الظاهر غياث الدين
غازي الأيوبي . تملك حلب في سنة ٦١٣ ، بعد وفاة أبيه غياث الدين .

وكان هذا السلطان صغيرا فانتزع عمه الأفضل المملك منه في سنة ٦٣٤ . ثم صارت
حلب لعمه العادل . وتوفي الملك العزيز هذا في سنة خلعه ، أي ٦٣٤ . فتكون مدة
حكمه ٢١ سنة . وقد كان يكون القول بأن الكتاب مؤلف له وباسمه وجيها وصحيحا ،
لولا شهادة التاريخ بأنه تولى الملك وهو في سن الطغولة مما جعل عمه ينتزع العرش
منه . وفوق ذلك فإن الأوصاف الملوكانية والنعوت السلطانية الواردة في أول الكتاب
وآخره لا تطلق مطلقا على صاحب حلب ، ولا يمكن أن تنطبق على غير سلطان مصر ،
فإنه هو الذي كان متفردا بلقب "السلطان الملك" . وأما من عداه من أولياء الأمر
في الأصقاع الأخرى مثل حلب وحماة وغيرهما فإنما كان لقبهم الوحيد هو "المملك فلان"
أو "فلان صاحب حلب أو صاحب حماة" لا غير ، دون إضافة لقب "السلطان"

على أسمهم مهما كانت الأحوال . تشهد بذلك الكتب المؤلفة لهم والتاريخ يؤيد هذه الشهادة التي تستفاد بالصراحة وبالبداهة من اصطلاح القوم في تلك الأيام ، على ما تراه في ” التعريف بالمصطلح الشريف ” لأبن فضل الله العمرى ، وفي ” صبح الأعشى ” للقلقشندي .

لذلك لم يبق لنا سوى القول بأن الكتاب مؤلف بأسم ثالث الملوك المعروفين ” بالملك العزيز ” وهو الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي . ذلك الذي جلس على عرش مصر بالنيابة عن أبيه في حياته ، ثم أستقل بملكها من سنة ٥٨٩ إلى سنة وفاته وهي سنة ٥٩٥ ، أي إن مدة حكمه كانت ست سنين .

وقد جرت عادة المؤلفين في الأيام المتقدمة أن يُسمّى الواحد منهم نفسه ” المملوك ” إذا خدم بتأليفه أحد الأكابر وخصوصا أحد الملوك أو السلاطين . وهذا الاصطلاح كان متفشيا بمصر خصوصا في عصر المماليك ، وعلى الأخص في أيام الأيوبيين من قبلهم .

والمتصفح لهذا الكتاب يرى من أسلوبه ومن عباراته أنه مَصُوغ على الطريقة المألوفة في أيام الأيوبيين بمصر ، ولا يمكن القول - كما قد يستفاد من عبارة الختام - بأن تأليف هذا الكتاب كان في ” شهر المحرم أول سنة ٧٩٥ ” . لأن هذه السنة لم يكن فيها رجل من الملوك في العالم الإسلامي يسمى ” بالملك العزيز ” . فوجب حينئذ الجزم بأن هذه السنة هي سنة انتساخ الكتاب ، لا سنة تأليفه . ويكون قد مضى قرنان بين وقت تأليفه وبين وقت انتساخه

أما الكتاب ، فهذه موضوعاته :

- الأدب في استعطاف الملوك . - أدب من أسدى إليه الملك يدا . - أدب من رفع الملك قدره . - الأدب في مازحة الملك . - أدب الصلاة مع السلطان . - الأدب في مسaire السلطان . - أدب حجاب الملك وحجابه . - الأدب في الرسول . - أدب الملك في منامه . - الأدب في آتخاذ الكاتب . - الأدب في استعمال الملك الأناة وترك العجلة - سخاء الملوك . - أدب الملوك إذا دهمهم أمر .	- أدب الوقوف على باب السلطان . - أدب الداخل على السلطان . - الأدب في تنجز وعد السلطان . - الأدب في تعهد السلطان خدّمه . - أدب من يجالس السلطان . - الأدب في الانصراف عن مجلس السلطان . - أدب من يخاطب السلطان . - أدب من سأله السلطان عن اسمه . - أدب مؤاكلة السلطان . - أدب السلطان في إقامة الحدود والتعزير . - الأدب في عزاء الملك . - أدب التعزية بالملوك . - الأدب في مسامرة الملوك . - أدب مناصحة السلطان .

وفي كل هذه الأبواب استطرادات تتعلق بالموضوع ، تعلقا قريبا أو بعيدا .

وقد سطا المؤلف على كتاب "التاج" فأخذ منه كل ما يتعلق بهذه الموضوعات تقريباً واختصر بعض فصوله اختصاراً كلياً أو جزئياً، وأضاف إليه بعض معلومات ليحلل سرقة أولاً ، وليجعل لنفسه ثانياً حقاً في إسناد التأليف إليه وفي خدمة سلطان العصر به .

(١) أنظر جدول السرقات في صفحة ٦٩ من "التصدير" الذي وضعناه في أول هذا الكتاب .

فهارس أبجدية

لكتاب "التاج"

الفهرس الأبجدى الأول^(١)

بأسماء الكتب التى أستخدمتها للمراجعة وتحرير الحواشى



الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبى

الريحان البيرونى، طبع العلامة سخاو

المستشرق الألمانى بمدينة ليسيك

سنة ١٨٧٨

آثار البلاد وأخبار العباد للقرظي، طبع

العلامة وستفلد بمدينة جوتنجن سنة ١٨٤٨

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للقدسى

المعروف بالبشارى، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٧

[وهو الثالث من المكتبة الجغرافية العربية]

إرشاد الألباء إلى طبقات الأدباء =

معجم الأدباء

أساس البلاغة للزمخشري، طبع القاهرة

سنة ١٢٩٩

أسد الغابة فى معرفة الصحابة لأبن الأثير،

طبع القاهرة سنة ١٢٨٠

الاشتقاق لأبن دُرَيْد، طبع العلامة وستفلد

بمدينة جوتنجن سنة ١٨٥٤

الأصنام لأبن الكلبي (نسخة مخطوطة

بخزانة كتي وجار طبعها بتحقيق فى مطبعة

بولاق فى هذا العام)

إنجاز القرآن للقاضى أبى بكر الباقلى،

طبع القاهرة سنة ١٣١٥

الأعلاق النفيسة لأحد بن عمر بن رُسْتَم،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن

سنة ١٨٩١ [وهو السابع من المكتبة

الجغرافية العربية]

الحاسن والأضداد للمحافظ طبع العلامة

فان فلوتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٨

الأغانى لأبى الفرج الأصفهاني، فى ٢٠

جزء طبع بولاق سنة ١٢٨٥هـ، والجزء

الحادى والعشرون منه طبع الأستاذ

رودلف برونو بمدينة ليدن سنة ١٣٠٥هـ

فهارس الأغانى للعلامة جويدى وزملائه، طبع

ليدن سنة ١٨٩٥ - ١٩٠٠

الأمالى (وذيله) لأبى على القالى، طبع

بولاق سنة ١٣٢٤هـ

الأنساب للسماقانى، طبع العلامة

مرجوليوت بمدينة لوندن سنة ١٩١٣

(١) هذه الفهارس الأبجدية كلها لم يرد فيها شئ من المسميات الواردة فى التصدير . فتنبه لذلك .

﴿ ب ﴾

كتاب البخلاء للمحافظ طبع العلامة فان فلوتن

بمدينة ليدن سنة ١٩٠٠

بدائع الزهور في وقائع الدهور لأبن

إياس، طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ

برهان قاطع (معجم فارسى - نقله عاصم

افندى إلى اللغة التركية)، وأسمه

تبيان نافع في ترجمة برهان قاطع،

طبع بولاق سنة ١٢٥١ هـ

مختصر كتاب البلدان للهمذاني المعروف بأبن الفقيه،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن

سنة ١٣٠٢ هـ وسنة ١٨٨٥ م

| وهو الجزء الخامس من المكتبة

الجغرافية العربية]

كتاب البلدان لليقوبى، طبع العلامة جُونِيُول

بمدينة ليدن سنة ١٨٦٠

البيان والتبيين للمحافظ، طبع القاهرة

سنة ١٣١٣ هـ

﴿ ت ﴾

تاج العروس في شرح القاموس، طبع

القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ

تاريخ آبن خلدون = كتاب

العبران

تاريخ الرسل والملوك لأبن جعفر

محمد بن جرير الطبرى، طبع العلامة

ده جويه وزملائه بمدينة ليدن

سنة ١٨٧٩ - ١٩٠١

تاريخ الطبرى = تاريخ الرسل والملوك

تاريخ أبى الفداء = المختصر في أخبار

البشر .

التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة،

مراراً

شرح التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة،

مراراً

تقريب التهذيب للمحافظ المسقلاني طبع

الهند سنة ١٢٩٠ هـ

تكملة المعجمات العربية للعلامة دوزى، طبع

ليدن سنة ١٨٨١

التنبيه والإشراف للسعودى، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٩٣ | وهو

الثامن من المكتبة العربية الجغرافية]

تنبيه الملوك والمباكيد، منسوب للمحافظ .

[ونسخته محفوظة بدار الكتب الخديوية،

منقولة بالفتوغرافيا عن مكتبة الكوبرىلى

بالقسطنطينية]

﴿ ح ﴾

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

للسيوطى، طبع حجر بالقاهرة بدون تاريخ

سنة الطبع

الحماسة (شرحها للتبريزى)، طبع العلامة فريتاج

بمدينة يون سنة ١٨٢٨

الحيزان للمحافظ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ

سيرة ابن هشام ، طبع المرحوم الزبير
رحمت باشا بولاق سنة ١٢٩٥ ، وطبع
العلامة وستفلد بمدينة جوتينغن سنة
١٨٥٦ - ١٨٦٠ م

﴿ ش ﴾

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي
الفلاح عبد الحمى بن أحمد بن محمد العسكري
المعروف بأبن العماد الحنبلي [مخطوط
بدار الكتب الخديوية نمرة ١١١٢ تاريخ]

شرح القاموس = تاج العروس

شرح نهج البلاغة = نهج البلاغة

شفاء الغليل للنفاجي ، طبع القاهرة
سنة ١٢٨٢ هـ

﴿ ص ﴾

صبح الأعشى للقاقدندي (الجزء الأول ، طبع
بولاق سنة ١٩٠٥)

الصحاح للجوهري ، طبع بولاق سنة ١٢٨٢

صحيح البخاري ، طبع السلطان عبد الحميد الثاني
بولاق سنة ١٣١١ - ١٣ في تسعة أجزاء

﴿ ط ﴾

طبقات الشافعية للسبكي ، طبع القاهرة
سنة ١٣٢٤

الطبقات الكبرى لأبن سعد ، طبع العلامة
سبحا وزملائه بمينة لندن من سنة ١٣٢١ هـ
[ولا يزال العمل فيه جاريا إلى الآن]

﴿ خ ﴾

خاتمة الأشموني (كتاب في النحو) طبع
القاهرة ، مرارا .

خزانة الأدب للبغدادى طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ

الخطط للقريزي ، طبع بولاق سنة ١٢٧٠ هـ
وطبع فيث بالقاهرة سنة ١٩١١

﴿ د ﴾

ديوان حسان بن ثابت طبع تونس

سنة ١٢٨١ هـ ، وطبع القاهرة سنة ١٣٢١

ديوان الفرزدق ، طبع العلامة بوشير ومعه

ترجمته له إلى اللغة الفرنسية في باريس
سنة ١٨٧٢ - ٧٥

﴿ ذ ﴾

ذيل الأملى للقال = الأملى

﴿ ز ﴾

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك

للخليل بن شاهين الظاهري ، طبع بولس
راويس بمدينة باريس سنة ١٨٩٤

﴿ س ﴾

سلوان المطاع في عدوان الأتباع

لأبن ظفر الصقلي طبع الحجر في القاهرة

سنة ١٢٠٨ هـ [وترجمته الإنكليزية

بمعرفة العلامة ميشل أماري الطلياني ، طبع

لوندرة سنة ١٨٥٢]

الفصل فى الملل والنحل لأبن حزم الأندلسى

طبع القاهرة سنة ١٣١٧ - ١٣٢١

كتاب الفهرست لأبن النديم، طبع العلامة فلوجل

بمدينة ليبسيك سنة ١٨٧٠

فوات الوفيات لأبن شاكر الكنتى، طبع بولاق

سنة ١٢٨٣ هـ

﴿ ق ﴾

القاموس للفير وزابادى، طبع القاهرة

سنة ١٣١٩ هـ

قاموس الثياب = معجم الثياب عند

العرب

﴿ ك ﴾

الكامل فى الأدب للبدر، طبع العلامة ريت

المستشرق الإنكليزى بمدينة ليبسيك من

سنة ١٨٦٤ - ١٨٨١

الكامل فى التاريخ لأبن الأثير طبع العلامة

تورنبرج بمدينة ليدن سنة ١٨٥١ - ١٨٧١

الكلمات الطليانية المأخوذة عن اللغة

العربية للدكتور رينا لدى طبع مدينة

ناپولى سنة ١٩٠٦ م

كليلة ودمنة، طبع العلامة ده ساسى بمدينة

باريس سنة ١٨١٦

كليلة ودمنة، طبع بولاق سنة ١٢٨٥ هـ

كليلة ودمنة، طبع العلامة الأب لويس

شيخو بمدينة بيروت سنة ١٩٠٥

طراز المجالس للنفاجى، طبع القاهرة

سنة ١٢٨٤ هـ

﴿ ع ﴾

كتاب العبرودىوان المبتدا والخبر فى أيام العرب

والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى

السلطان الأكر لأبن خلدون، طبع بولاق

سنة ١٢٨٤ هـ

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

للقرنوى، طبع العلامة وستفلد بمدينة

جوتنجن سنة ١٨٤٩

كتاب العصا لأسامة بن منقذ، طبع باريس

كتاب العصا للمحافظ (فى ضمن كتاب البيان والتبيين)

العقد الفريد لأبن عبد ربّه، طبع بولاق

سنة ١٢٩٣

عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء لأبن

أبى أصيبعة، طبع العلامة أغسطس ملر

فى القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ

﴿ غ ﴾

غزر أخبار الفرس وسيرهم للعالى، طبع

العلامة زوتنبرج مع ترجمته له إلى الفرنسية،

بيارس سنة ١٩٠٠

﴿ ف ﴾

فتوح البلدان للبلاذرى، طبع العلامة ده جويه

بمدينة ليدن سنة ١٨٦٦

الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى، طبع

القاهرة سنة ١٩١٠

محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر لعل

دده ، طبع القاهرة سنة ١٣٠٠

المخصص لأبن سيده ، طبع بولاق سنة ١٣١٦

١٣٢١ -

مسالك الممالك لإبراهيم الإصطخرى المعروف

بالفارسي ، طبع العلامة ده جويه بمدينة

ليدن سنة ١٨٧٠ [وهو الأول من المكتبة

الجغرافية العربية]

كتاب المسالك والممالك لأبن حوقل ، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدين سنة ١٨٧٣ [وهو

الثاني من المكتبة الجغرافية العربية]

المسالك والممالك عن ابن خرداذبه ،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدين

سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م [وهو

السادس من المكتبة الجغرافية العربية]

المشتبه في الأسماء للذهبي ، طبع العلامة

ده يونج بمدينة ليدين سنة ١٨٨١

مطالع البدور في منازل المرور لعلاء الدين

على الهائي الغزولي ، طبع القاهرة

سنة ١٢٩٩ - ١٣٠٠

المعارف لأبن قتيبة ، طبع العلامة وستفيلد بمدينة

جوتنجن سنة ١٢٦٧ هـ - ١٨٥٠ م

المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، لعبد

الواحد المراكشي طبع العلامة دوزي

بمدينة ليدين سنة ١٨٨١

معجم الأدباء لياقوت الحموي طبع العلامة

مرجوليوت بالقاهرة ، من سنة ١٩٠٧

[ولا يزال العمل جاريا الآن]

(ل)

لسان العرب لأبن المُكَّرم المعروف أيضا

بأبن منظور ، طبع بولاق سنة ١٣٠٠ -

١٣٠٨ هـ

لق الفهات في تصحيح ما تستعمله العامة من

العرب والديخل والمولّد والأغلاط ، للسيد

حسن صدّيق خان صاحب مملكة بهوپال

بالهند (وعليه هوامش للسيد نور الحسن)

طبع ، حجر بالهند سنة ١٢٩٦

(م)

مبادئ اللغة لأبن الخطيب الإسكافي طبع

القاهرة حديثا سنة ١٣٢٥ هـ

المحاسن والأضداد ، المنسوب للمحافظ ،

طبع العلامة فان فلوتن بمدينة ليدين

سنة ١٨٩٨

محاسن الملوك لبعض الفضلاء [نسخة محفوظة

بدار الكتب الخديوية نقلا بالفتوغرافية

عن الاصل المحفوظ بخرانة طوبقوبو

بالقسطنطينية]

المحاسن والمساوي لإبراهيم بن محمد البيهقي ،

طبع العلامة فريد بك شوالى بمدينة جيسن

سنة ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م

محاضرات الأدباء للراغب الإصفهاني ، طبع

محمد عارف باشا رئيس جمعية المعارف

بالقاهرة سنة ١٢٨٧ هـ

﴿ ن ﴾

نقائض حرير و الفرزدق طبع العلامة بيفن

بمدينة ليدن سنة ١٩٠٥

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ،

لأبى المحاسن تفرى بردى ، طبع العلامة

جُونُولَ بمدينة ليدن سنة ١٨٥١ -

١٨٦١

النهاية فى غريب الحديث لأبن الأثير ، طبع

القاهرة سنة ١٣١١

نهاية الأرب فى فنون الأدب للنورى ،

[عن النسخ المنقولة بالفتوغرافيا المحفوظة

بدار الكتب الخديوية]

نهج البلاغة (شرحه لأبن أبى الحديد ، طبع

القاهرة سنة ١٣٢٩)

﴿ و ﴾

الوسيط فى تراجم أدياء شنقيط للرحوم الشيخ

أحمد الأمين الشنقيطى ، طبع القاهرة

سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبع بولاق

سنة ١٢٧٥ هـ

معجم الثياب عند العرب للعلامة دوزى

طبع مدينة أمستردام سنة ١٨٤٥

المعجم الفارسى العربى الانكليزى

لرتشارد صن ، طبع لوندرة سنة ١٨٢٩

المعرب من الكلام الأبحمى للجوالقى طبع

العلامة سخاو بمدينة ليسيك سنة ١٨٦٧

معيد النعم ومبيد النقم للسبكى ، طبع لوندرة

مفاتيح العلوم للخوازمى ، طبع العلامة فان

فولتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٠

مفردات أبى البيطار [الترجمة الفرنسية

للعلامة لوسيان لوكير] طبع باريس

سنة ١٨٧٧ - ١٨٨٣ م

المفضليات ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٤

مقدمة أبى خلدون ، طبع بولاق سنة ١٢٨٤ هـ

الملاهى للضبي [نسخة مخطوطة بدار الكتب

الخديوية نقلا بالفتوغرافيا عن الأصل

المحفوظ بخزانة طوب قيو بالقسطنطينية]

مناقب الشافعى لأبى عبد الله محمد بن عمر

الرازى ، طبع حجر بالقاهرة فى ١٧ شوال

سنة ١٢٧٩

الفهرس الأبجدى الثانى

بأسماء المصنفات المذكورة فى متن الكتاب أو فى حواشيه وتكميله

الأغانى (كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصلى . وأصله فيما يقال لأبيه وأبن جامع وأبن العوراء ، هذبه إسحاق بأمر الخليفة الواثق . وقال أبو الفرج إنه ليس له ، بل هو مصطنع عليه . ونسبه المسعودى له)	كتاب الآباء والأمهات لأبى حسان الزيدى
ألقاب الشعراء لأبى حسان الزيدى	كتاب آيين لأحمد بن محمد بن نصر الجيهانى (وأنظر كتاب الزيادات فى هذا الفهرس)
كتاب البخلاء [يشير إليه الجاحظ فى صفحة ١٤٠ وهو غير الذى ألفه هو] بدائع البدائيه لأبن ظافر الجهمرة لأبن دريد	آيين الأكاسرة
درّة القواص للحريّ ، طبع الجواب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبع لىسبك سنة ١٨٧١ م	آيين الفرس
الزيادات فى كتاب آيين فى المقالات لأحمد بن محمد بن نصر الجيهانى (وأنظر كتاب آيين له)	آيين ابن المقفع
شرح العيون لأبن نباته طبع بولاق طبقات الشعراء لأبى حسان الزيدى	كتاب أخبار الأئمة للداينى
الكشاف [وحواشيه] تفسير القرآن للزخشرى ، طبع مرارا بالقاهرة	كتاب أخبار زياد بن أبيه للهميم بن عدى
مسالك الأبصار لأبن فضل الله العمرى معجم الشعراء للرزباني [توجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة باريس الأهلية]	أخبار زياد بن أبيه للداينى
مغازى عروة بن الزبير لأبى حسان الزيدى	أخبار ولد زياد بن أبيه ودعوته للداينى
مقتل عمرو بن سعيد بن العاص من أحتكم من الخلفاء إلى القضاة للمسكرى	أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة [من كتب الجاحظ]
	الأدب الكبير (لأبن المقفع ، طبع) الأدب الصغير (أحمد زكى باشا)
	الأغانى (كتاب يشير إليه الجاحظ ، هو غير الذى لأبى الفرج الاصبهانى)
	الأغانى (كتاب ذكره المسعودى ، وهو خلاف الذى لأبى الفرج)
	الأغانى (كتاب لإبراهيم بن المهدي)
	الأغانى (كتاب لإبراهيم الموصلى وإسماعيل ابن جامع وطيح بن العوراء)

الفهرس الأبجدى الثالث

بأسماء الرجال المذكورين فى "التاج" وحواشيه وتكميل الروايات

(تنبيه : الرقم الكبير يدل على الصفحة من متن الكتاب ؛ والرقم الصغير يدل على الصفحة من حاشية الكتاب ومن تكميل الروايات ؛ والشرطة - تحت الرقم الكبير أو الصغير تدل على تكرار الاسم . وهكذا الشأن فى الفهارس التالية)



كسرى أبرويز (ملك الفرس) ٩٤، ٨٢، ٩٠، ٩١

١٠٩، ٩٩، ٩٨، ٩٧، ٩٤، ٩٥

١١٠، ١١٥، ١١٩، ١٢٤، ١٢٥

١٥٣، ١٥٥، ١٨٠، ١٨١ -

١٨٥، ٢٠٣

أحمد بن أبى خالد الأحول | من مشاهير

الأئمة [١١]

أحمد بن أبى دؤاد | من مشاهير الأئمة [١١]

= ابن أبى دؤاد

أحمد بن الأمين الشنقيطى ٤٤

أحمد بن سهل = أبو زيد البلخى

الأمير أحمد بن سهل ٨٩

أحمد بن عبد الرحمن الحزانى ١٣

أحمد بن محمد بن نصر الجيهانى ١٩٢

آدم (أبو البشر) ٣٨

آزاد مرد (حاجب يزجرد) ١٢٦، ١٢٥

إبراهيم (النبى) ١٠٧، ٩٠، ٩٣

إبراهيم الحزانى ٣٦، ٣٦

إبراهيم بن السندى بن شاهك ١٢، ١٢

٨٩، ١٦

إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن

على بن أبى طالب ٨١، ١١١، ١١٦

إبراهيم بن عثمان بن نهيك ١٤١

إبراهيم بن المهدي (وهو المعروف بأين شكاة)

١٦١، ٨٥، ٤٨، ٤٣، ٤٢، ٣١، ٢٣

إبراهيم الموصلى (المنى) ٣٦، ٣١، ٢٣

٣٨، ٣٩، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢

٤٢

إسحاق بن إبراهيم الموصلى ٣١٦٣١
٣٢٦٣٧٣٩٤٢٤٣
٤٤٣٥٤٠١١٠

إسحاق برصوما = برصوما

إسحاق الحامى [من مشاهير الأكلة] ١١
أسد بن عبدالله (والى خراسان) ٢١٠
الإسكندر (ذوالقرنين) ١٩٤٢٩١٠٩
١٢٣

أسماء بن خارقة الفزارى ٦٠٤٦٠١٩٩
إسماعيل أبو القاسم بن جامع = ابن جامع
أسيد بن عبد الله الخزاعى ٣٣٣٣٣
الأشدق ٦٦١٩٨١٩٩ = عمرو
ابن سعيد بن العاص
الأشعث ١٦١

الأصمعى ٤٤٤١٥٥

الأعشى (أعشى قيس) ٢٦
الأعشى (شاعر قهندان) ٨٤

إمرؤ القيس ٣٨٤٥٤

الأمين (الخليفة العباسى) ٣١٤٢٤٧٤
١١١٤١٩٤

ابن أنس = السيد بن أنس الحميرى

الأب أنطون صالحانى اليسوعى ١٣٢

كسرى أنوشروان (ملك الفرس) ٢٨٣٨٤٦٤
٥٤٦٢٦٣٦٤٩٠
١٠١١١٩٦١٣٨
١٤٩١٥٣١٥٥١٥٨٢٠٠

إيتاخ ١٢٧١٢٧

الأحنف (وأسمه أبو بحر الضحاك بن قيس،
وهو المشهور بالحلم) ٣٩٤٣٩١٩٩
الأخوص الشاعر ١٤١

أبو أحبة ٤٧٤٧٦٦٦ = سعيد بن
العاص

الاخطل الشاعر ١١٠١٣٢١٣٢
١٣٣١٧٥

ارادمرد (حاجب يزدجرد) [صوابه آزادمرد]
أردشير بن بابك (ملك الفرس وأول بنى ساسان)
١٢٦٩١٥٢٤٢٥٢٥٤
٢٧٢٨٢٩٢٨٤٤٧٥٤
٥٥٦٨٩١١٨١٢٢١٣٤
١٤٩١٥٣١٥٥١٥٨
١٦٣١٦٧١٦٨١٦٩

الأردوان ٢٩

الأردوان الأحمر (ملك الفرس، ولعله
الاردوان الاصغر) ٢٩٢٩١١٨١٥١
الأردوان الأصغر (من ملوك فارس وهوابن
بهرام بن بلاش - آخر ملوك الأشكانية
الذى قتله أردشير) ٢٩

الأردوان الأكبر (من ملوك فارس) ٢٩
أزبك (الأنابكى، وهو منشئ الأذربكية

٢

بن إبراهيم المصعبى

سعى (حاكم بغداد فى

٣١٣١٣١٣١

﴿ ب ﴾

بُقَيْلَة = ثعلبة بن سنین
 أبو بكر الصّدِّيق (الخليفة الراشد) ٨٦
 أبو بكر الهذلي ١٩٩٦ ١٩٨٦ ١١٤٦ ٥٨
 بلال بن أبي بُردة [من مشاهير الأئمة ١١]
 ثم ١٩٣٦ ٢٠٦٢٠
 بندار بن خورشيد ٥٥
 بهرام جور بن يزدجرد (ملك الفرس) ٦٢٨
 ٦١١٩٦ ١١٨٦ ١٠٠٦ ٣٣٦ ٣٠
 ٦١٤٩٦ ١٢٥٦ ١٢٤٦ ١٢٠
 ٦١٦٤٦ ١٥٩٦ ١٥٣٦ ١٥١
 ٦١٧٨٦ ١٧٧٦ ١٦٦٦ ١٦٥
 ٢٠٩٦ ١٨٠٦ ١٧٩

بَابُكَ الْخُرْمِيُّ ١٢٧
 بابل بن قيس الجُمْدَامِيُّ ٦٠
 أبو بحر الضحّاك = الأحنف
 ابن بَحْتِيشُوع (هو جبريل الطيب) ١٦١٦ ٣٧
 برصوما الزامر (وَأَسْمُهُ إِسْحَاقُ) ٣٩٦ ٣٨
 ٤١٦ ٣٩
 أبو البرق الشاعر ١٧١
 بسرة الأحول [من مشاهير الأئمة] ١١
 بشار بن بُرد الأعمى (الشاعر) ٨٦
 بشر بن عبد الملك بن مَرْوان ٦٠
 بطرس غالى باشا رئيس مجلس النظار وناظر
 الخارجية كان ١٥٦

﴿ ث ﴾

ثُمَامَة بن أَشْرَس ٢١٠٦ ١٩٠

ثابت بن وقش الأنصاري ١٠٨
 ثعلبة بن سُلَين المشهور ببقيلة (وَيُسَمَّى أَيْضًا
 الحارث) ٨٢

﴿ ج ﴾

جبريل (الملك) ٢٤
 جبريل بن بَحْتِيشُوع (الطبيب) ٣٧
 جرير بن الحَظَفِي (الشاعر) ١١٠٦ ٨٦
 ١٣٣٦ ١٣٣
 جرير الطبري ٢٠٩
 جرير بن عبدالله البجلي الصحابي ١٣٤

الجاحظ (في مواضع متفرقة من حواشي
 الكتاب وتكميل الروايات)
 الجارود بن أبي سَبْرَة (و يلقب بأبي مفضل)
 ١٩٣٦ ٢٠
 ابن جامع (إسماعيل أبو القاسم) ٣٨٦ ٣٩٦ ٢٣
 ٤١٦ ٣٩٦ ٣٩٦ ٣٨

أبو جعفر = المنصور (الخليفة العباسي)
جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب
المالكي = ابن الحاجب
أم جندب (اسم محبوبه) ٣٨
ابن الجهم = محمد بن الجهم
أبو الجهم العدوي ٨٩
أبو جعفر بن درهم مولى سويد بن غفلة ١٠٧
٢٠٤
جعدة بن هبيرة ١٩٥
ابن جعدة ١٠٦، ١٠٧ = سعيد بن عمرو
ابن جعدة بن هبيرة المخزومي
جعفر بن سليمان بن علي ١٠٤
جعفر بن يحيى البرمكي ٤٨، ٦٦، ٦٦، ٦٦
١٤٢، ١٤١

(7)

أبو حاتم السجستاني ٢٠٩	أبو حسان الزياتي ٤٨ ٤٨٦ ١٩٤٦ ١٩٦٦
حاتم الطائي ٤٣	١٩٧٦
حاتم الكيال [لعله حفص الكيال - وهو من مشاهير الأكلة] ١١	السلطان حسن صاحب الجامع الأشهر بالقرب من قاعة القاهرة ١٥٦
الحاجب المالكي ١٦١	أبو الحسن بن أبي بكر العلاف [من مشاهير الأكلة] ١١ (وأنظر ١٨٩)
الحارث = ثعلبة بن سنين	الحسن بن سهل ٥١
الحجاج بن يوسف الثقفي [من مشاهير الأكلة ١١] ثم ٤٧ ٤٨٩ ١٣٢٦	حسن صدّيق خان (ملك بهو پال بالهند) ١٩
١٣٣ ١٦٩ ١٩٣٦ ١٩٩٦	الحسن بن علي بن أبي طالب ١٤ ١٤٦ ١٠٣٦
أبو حذيفة بن اليمان الصحابي ١٠٨	الحسن بن قريش (من أصحاب المأمون) ٤٩ ٤٩٦
أبو حزاب (وهو الصواب بدلا من ابن خرابة) ٢٠١	الحسين بن أبي سعيد (من مجاب المأمون) ٤٩
حرّرة (بنت جرير الشاعر) ١٣٤	الحصين الكلي (هو القطامي، والد الشرق بن القطامي) ١١٥
أم حرّرة (زوجة جرير الشاعر) ١٣٤	
حسان بن ثابت (الصحابي الشاعر) ٨٦	

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن
الداخل ٢٠٨

حمزة (الخارجي) ٢٠٥ أبو
حميد بن ثور (الشاعر) ٤٤
حنين (المنفى العبادي) ٨٤
حوشب (اسم رجل بني بناء) ٨٢

الخطيئة (الشاعر) ٢٠

حفص الكيال لعله حاتم - [من مشاهير
الأكلة] ١١٦، ١١٠
حفص بن المغيرة (أحد أزواج أم الخليفة
معاوية) ٨٩

﴿ خ ﴾

خرابة ٢٠١ [وصوابه: أبو خرابة] ابن

الخطفى } هو لقب والد جرير الشاعر
والخيطفى }

خلف الأحمر ١١٧

الخيزران (أم الرشيد) ٨٥

أبو خارجة [من مشاهير الأكلة] ١٩٠

خالد بن صفوان ١٩٩

خالد القسري (أمير العراق) ١٠٧

خالد بن الوليد (الصحابي) ٨٢

خالد بن يزيد (المشهور بحكيم بن أمية)

٢٠٠٦، ٦٥

﴿ د ﴾

درواس [من مشاهير الأكلة] ١١

ابن أبي دؤاد القاضي ١٦١٦، ٥٠٦، ٤٨

دورق القصّاب [من مشاهير الأكلة] ١١

ابن دأب ١٧، ١١٦، ١١٦، ١١٧، ٢٠٥

داود (النبي) ٨٨

داود بن أبي داود ٥١

﴿ ذ ﴾

أبو ذبّان = عبد الملك بن مروان

﴿ ر ﴾

رُستة (غلام كسرى أبرويز) ١٨١،

١٨٣، ١٨٢

الربيع بن خيثم ٨٩

الربيع (حاجب الخليفة المنصور) ١٤١٦، ١٢

الروح الأمين = جبريل
 رُوح بن زنباع بن روح بن سلامة الجُدَامِ
 (وكنيه أبو زُرْعَة) ٦٠، ٦٠، ١١٣،
 ١٩٩، ١٣١، ١٣٠، ١١٧
 رُوح بن القاسم (من المُحدِّثين) ٦٠
 ذو الرياستين = الفضل بن سهل
 رسول الله = محمد

الرَّشِيد (الخليفة العبَّاسي) ٢٣، ٣٧، ٣٧،
 ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣،
 ٤٦، ٥٠، ٥١، ٥٦، ٦٦، ٨٠،
 ٨١، ٨٥، ٨٧، ٩٢، ٩٣، ٩٤،
 ١١١، ١١٩، ١٤١، ١٤٢،
 ١٥٣، ١٥٤، ١٧٠
 ذو الرِّمَّة (الشاعر) ٢٠، ٢٦
 رُوْبَة بن العجَّاج ١٠٦، ١٩١

﴿ ز ﴾

زُهَيْر بن أَبِي سُلَيْمٍ (الشاعر) ٣٨
 ابن الزِّيَّات (الوزير العبَّاسي) ١٦١
 زياد ابن أبيه ١٥، ١٥، ١٦٩، ٢٠٦،
 أبو زيد البلخي ٨٩
 زيد (مولى عيسى بن نبيك) ١٤٠، ١٤١، ١٤٢،
 زيد مَنَّاة ٣٩

زاذان فروخ الأعور ١٩١
 ابن الزبير = عبد الله بن الزبير
 الزَّجَّاج (النحوى اللغوى) ٨٦
 زرزور (المغنى) ٤٣، ٤٤، ٤٤، ٤٤
 زلز (منصور الضارب بالعود من آلات الملاحى)
 ٣٨، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١،
 زهمان | من مشاهير الأكلَّة | ١١

﴿ س ﴾

سعيد بن العاص = أبو أحيحة
 سعيد بن عثمان بن عفَّان ٨٩، ٢٠٣
 سعيد بن عمرو بن جعدة بن هُبيرة
 المخزومى ١٠٦
 سعيد بن مَرَّة الكندى ٨٧، ٨٨

سابور ذو الأكتاف (ملك فارس) ١٥،
 ١٦، ٧٣، ١١٨، ١٥١، ١٩٢
 سَطِيع (الكاهن) ٨٢
 سعيد بن سَلَم (بن قُتَيْبَة بن مُسلم)
 الباهلي ٥٤، ٨٠، ٨٠، ٨١،
 ١٩٨، ٢٠٣

سليمان بن أبي جعفر المنصور ١٣٤
 سليمان بن سلامة ٣٩
 سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي
 [من مشاهير الأئمة ١١] ثم ١٠٣، ١٠٣، ١٠٣
 ١٥٥، ١٥٤، ١٥٢، ١٠٤
 سليمان بن مجالد ١٠٨، ٢٠٤
 سليمي (اسم محبوب) ٣٦
 أبو السمح = شرحبيل بن السمط
 سنيد (ضارب بالعود، فارسي) ٤٠
 السيد بن أنس الحميري ٨٨

سعيد بن وهب البصري (أبو عثمان
 البصري) ٤١، ٤١
 السفاح (الخليفة العباسي) ٣٣، ٣٥، ٣٤، ٣٥
 ٥٨، ٥٨، ٥٨، ٥٨، ٥٨، ٥٨، ٥٨، ٥٨
 ١٠٨، ١٠٦، ١٠٣، ٩٢، ٨٢
 ١٥٤، ١٥٢، ١٢١، ١١٤
 ٢٠٤، ١٥٥
 سفيان ٥٦
 سلم بن زياد ١٩١
 سلمى ١٩٨ (هو اسم أبي بكر الهذلي)
 سلمى (اسم محبوب) ٣٨
 سليم بن سلام (أبو عبد الله الكوفي) ٣٩
 سليم بن مجالد (صوابه سليمان)

ش

شكلة (هي أم إبراهيم بن الخليفة المهدي) ٢٣
 شهر براز (قائد فارسي حارب الروم في أيام
 كسرى أبرويز) ١٨٠، ١٨٠، ١٨١، ١٨٥
 شهر يار = شهر براز
 شهر يزداد (هو تحريف من التامنيخين لاسم شهر براز)
 شوينفرت (علامة ألماني) ١٩٥
 شيخو (الأتابكي سيف الدين العمري، صاحب
 المسجد المشهور باسمه الآن في القاهرة) ١٥٦
 شيرويه بن أبرويز، (ملك الفرس ويسميه العرب
 في كتبهم "شيري" أيضا) ٩٦، ٩٦
 ١١٠، ١٠٩، ٥٥، ٥٠
 شيري = شيرويه

الشافعي (محمد بن إدريس، الإمام) ٥٠
 شاه بور = سابور
 شبابة (من رواة الحديث) ٤
 شبرمة ٨٤
 شجرة = يزيد بن شجرة الرهاوي
 شرحبيل بن الحارث بن عمرو ٢٠٨
 شرحبيل بن السمط (ركنيت أبو السمح
 وأبو يزيد) ٧٩
 الشرق بن القطامي أو شرقه بن
 القطامي ١١٥، ١١٥
 القاضي شريح ١٦١
 الشعبي ١٩٧، ١١٤، ٥٤

﴿ ص ﴾

الصالح نجم الدين أيوب = نجم الدين
الأيوبى
صباح بن خاقان المنقرى ١١٠٦، ١١٠
٢٠٥

﴿ ض ﴾

الضجّاك = الأحنف
ضرار بن الشماخ (و يلقب بمزرد) ١٩٠
ضرار بن عمرو (من سادة ضبة) ١١١

﴿ ط ﴾

طاهر بن الحسين ١٩٤، ٣١
طاهر ذو اليمينين ٧٤
طويس (المُتّى) ٢٠٣، ٨٩

﴿ ع ﴾

عاتكة بنت عبد الرحمن ١٣٠
العاذل الأيوبي [سلطان مصر، من مشاهير
الأكلة] ١١
أبو العالية [من مشاهير الأكلة] ١١
عائشة أم المؤمنين ٦١
الحاج عيسى بن حليمى الثانى خديوم مصر ١٥٦
١٥٧
العبّاس بن عبد المطلب (عم رسول الله) ٨٨
أبو العبّاس = السفاح
أبو العبّاس = عبد الله بن طاهر ٧٥، ٧٤
أبو العبّاس ٩٢ = عبد الله بن مالك الخزاعى
أبو العبّاس (كنية فرعون موسى) ٤
عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كزيز
القرشى ٢٠
عبد الجبار بن عبد الرحمن (والى خراسان)
٥٩
عبد الحميد الثانى (سلطان آل عثمان) ٤٢
عبد الرحمن الخزانى ١٣
عبد الرحمن بن على الهاشمى (عم الخليفة
المصور) ٥٩
عبد الرحمن بن محمد (الأشعث) ١٧٥، ٥٩
عبد الرحمن الناصر، أكبر خلفاء الأندلس
٢٠٨
أبو عبد الرحمن = عبد الله بن عمرو بن الخطاب
أبو عبد الظاهر (صاحب كتاب الخطوط الذى يروى
عنه المقرئى) ٦٤

عبد الملك بن مهمل الهمداني ١٣٤

عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي
٣٥٦٣٤

عبد الملك = مروان بن محمد
أبو الجعدي

عبيد (القوى) ٢٤ أبو

عبيد الله بن زياد بن أبيه | من مشاهير
الأئمة [١١] (وأنظر ١٩٠)

عُتْبَةُ بن غَرْوَان ١٠٩

عتيق ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ٢٠٧ ابن أبي

عثمان بن شيخ الشيوخ (نجر الدين)
وهو أستاذ دار السلطان نجم الدين
الأيوبي وكان إليه أمر المملكة ١٦١

عثمان بن عفان (الخليفة الراشد) ٥٩
٢٠٣، ١١٩، ١٦٦، ٧٩

عثمان بن نهيك ١٤٢، ١٤١

عدى بن زيد (الشاعر العبّادي من أهل
الحيرة) ٨٤

عُروَةُ بن أَدِيَّة (وهو عروة بن حدير
أحد بني ربيعة بن حنظلة) ٢٠٦

عُروَةُ بن أَدِيَّة (شاعر قریش) ١٢١

عز الدين (وهو عبدالعزيز بن عبد السلام
المشهور بـ لطان العلماء) ١٦٦، ١٦٢

العُزَي (من آلهة العرب) ١

عقيل ١٩٥

عُقَيْل ١٣٢ ابن أبي

عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب
٨١، ٨١

عبد الله بن الزبير ٥٩، ٦٠، ٦٥، ١٩٨،
٢٠١

عبد الله بن طاهر (وكنيته أبو العباس) ٧٤،
١٥٠

عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن

أبي بكر الصديق = ابن أبي عتيق

عبد الله بن علي الهاشمي (عم الخليفة المنصور
العباسي) ٥٩، ١٤٣

عبد الله بن عمر بن الخطاب ٦٠، ١٣٠،
١٣١، ١٣٠

عبد الله بن مالك الخزاعي ٨٠، ٨١،
٩٣، ٩٢

عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي
(شاعر الأمين) ١٩٤

عبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن بَقِيلَة
الغسان ٨٢

عبد الملك = مروان بن محمد الجعدي

عبد الملك بن صالح الهاشمي ٤٨، ٨٥،

عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي)

٣٢، ٣٦، ٤٧، ٥٠، ٥٩، ٦٠،

٦٥، ٦٥، ٩١، ٩١، ١١٧،

١١٩، ١١٩، ١٢٠، ١٣٠،

١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٣،

١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٩،

١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢،

عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق

٢٠٢٤٢٠١٤٦٥٤٦٥٤٥٩

عمرو بن العاص ١٩٨٤٧٩٤٥٣

عمرو بن معد يكرب [من مشاهير الأكلة]

١١

عنيسة بن إسحاق (والى مصر) ١٩٧

عنيسة بن زياد (لعله مصحف عن عبيد الله

أبن زياد) ١٩٠ (وأنظر ١١)

أبو عون = عبد الملك بن يزيد الخراسانى

الأزدى

أبن عيَّاش ١١٤٤٥٩٤٥٩٤٥٨

عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمى

٨٣٤٨٢٤٨٢

عيسى بن نهيك ١٤٢٤١٤١

عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب = أبن

دأب

العتكى ١٤٣٤١٤٣

علويّه الأعسر (وهو أبو الحسن على بن

عبد الله بن سيف) ٤٤٤٤٣

على بن الخليل (الشاعر الذى يقال له الزنديق)

٨٨

على بن أبى طالب ٤٧٩٤٥٩٤٥٥

١٠٩ ١٢٤٤ ١٦١٤ ٢٠٤٤

٢٠٨

العمامة = أبو أحيحة سعيد بن العاص

عمر بن الخطاب (ال خليفة الراشد) ٨٦٤٤٤

٨٨٤ ١١٩٤ ١٦١٤ ١٦٨٤

٢٠٨٤١٩٥٤١٦٩

عمر بن عبد العزيز (ال خليفة الأموى) ٣٣

١٦١٤١٥٥٤١٥٤٤١٥٢٤٩١٤

عمر بن هبيرة الفزارى ١٤٧

أبن عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب

عمرو الغزال ٣٩

﴿ غ ﴾

غلفاء بن الحارث = الموسوس معد يكرب بن الحارث بن عمرو، أخو شريحيل بن الحارث.

﴿ ف ﴾

الفراء ١٢٣

أبو الفرج الأصهبانى (صاحب كتاب الأغاني)

٢٣٤٢٢

فرخان (أخو شهر براز) ١٨٣

الأمير الفتح بن خاقان (الوزير العباسى، الذى ألف

الملاحظ هذا الكتاب باسمه) ١٨٦٤٤

نضر الدين = عثمان بن شيخ الشيوخ

الفضل بن يحيى (والى خراسان) ٢١٠
 فليح بن العوراء (المغنى) ٢٣
 فورسكال (عالم نباتى سويدي) ١٩٥
 فيروز الأصغر (ملك الفرس) ١٢٠

الفرزدق (الشاعر) ١٤٧٦١٣٦١١٠
 فرعون (ملك مصر) ٣
 الفضل بن الربيع (من رجالات الرشيد
 والأمين) ١٩٤٦١٤٢
 الفضل بن سهل (ذوالرياستين) ٤٩٦٤٨

﴿ ق ﴾

القرنين = الإسكندر
 القُطامي = الحصين الكلبى
 قف الملقم [من مشاهير الأكلة] ١١
 قلاقس الإسكندري ٢٠٧
 قيس بن الأسلت (الشاعر) ١٩٦
 قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى
 ٢٠٤٦١٠٩

قاسم التمار [من مشاهير الأكلة] ١٨٩٦١١
 القاسم (بن هارون الرشيد) ٤٩٦٤٩
 أبو القاسم الكعبي ٥٨
 قايتباى (سلطان مصر الشهير بآثره الجليلة
 فى خدمة العلم والأدب والفنون الجليلة) ٤٧٨
 ٢٠٢٦١٥٧
 قباد (ملك الفرس) ٦١٠٥٦٧٨٦٧٨
 ١١٨٦١٠٧٦١٠٦
 قباد بن فيروز بن يزدجرد ١٥٥
 قثم بن جعفر بن سليمان بن على بن
 عبد الله بن عباس ٦٦٦٦٦

﴿ ك ﴾

كيشاسف (لعله يستأسف ملك الفرس) ١١٩
 كيومرث ١٨

كثير (الشاعر، صاحب غزاة) ١٠٨
 كسرى ١٦٦ = كسرى أبريز
 كوثر (خادم الخليفة الأمين) ١٩٤

﴿ ل ﴾

لقمان الحكيم ١٩٦
 لوط بن مخنف ٢٠١
 الأب لويس شيخو اليسوعى ١٣٨

اللات (من آلهة العرب) ١
 لطيم الشيطان = عمرو بن سعيد بن
 العاص الأشدق

هلال بن سعد المازني [من مشاهير الأئمة]

١١

هلال بن مسعر التيمي = هلال بن

الأسعور "زوجه" [من مشاهير الأئمة] ١١

أبو همام السنوط (أو السموط) [من مشاهير

الأئمة] ١٨٩

الهيثم بن عدي (من أكابر مؤلفي المسلمين

في العصر الأول) ١٤١، ١٥

هرثمة بن أعين ١٩٤

هشام بن عبد الملك بن مروان (الخليفة

الأموي) ٣٢، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨

١١٢، ١٤٠، ١٤١، ١٥٣، ١٥٤

١٥٤، ١٥٥، ١٦١، ١٧٦، ١٩٨

٢٠١، ٢٠٦

هلال بن الأسعر (أو ابن أشعر أو ابن

مسعر) [من مشاهير الأئمة] ١١١، ١٩٠



الوليد بن عبد الملك (الخليفة الأموي) ٣٢،

٦٠، ٨٥، ٩١، ٩٦، ٩٩، ١١٩، ١٣٠،

١٥٢، ١٥٥

الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الخليفة

الأموي) ٩، ٣٢، ١٥٢، ١٥٤

أبو الوليد (كنية فرعون موسى) ٤

أبو الوليد = ابن دأب

الواثق الخليفة العباسي [من مشاهير الأئمة] ١١

ثم ١٣، ٢٣، ٣١، ٤٨، ١٢٠،

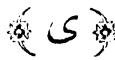
١٢٧، ١٥٣، ١٥٤

أبو وائل ٨٩

ورقاء (من رواة الحديث) ٤

الوليد بن الحُصَيْن الكلابي = الشرق

أبن القطامي



يزدجرد (آخر الملوك الساسانية) ٢٨

يزيد بن شجرة الرهاوي (وكنيته أبو شجرة)

٥٥، ٥٥٠، ٥٦٠، ٥٧٠

يزيد بن عبد الملك (الخليفة الأموي)

٣٠، ٣٢

يحيى بن أكرم ١٦١

يحيى بن خالد البرمكي ٨١

يزدجرد (أبو بهرام) وهو المعروف بالأنيم والمليم

١١٨، ١١٩، ١٢٤، ١٦٣،

١٦٣، ١٦٤، ١٧٧

يزيد بن معاوية (الخليفة الأموى) ٩١٠	ابو يزيد ١٤٢ = عيسى بن نهيك
١٩١٦١٥٤٦١٥١٦١٢٦١١٩	يستاسف ١١٨
يزيد بن الوليد بن عبد الملك (الخليفة الأموى) ٩١٠	الأمير يشبك الدوادار (الأستادار، الوزير،
١٩١٦١٥٤٦١٥٢٦١٠٦٦٩	كاشف الكشاف بمصر) ١٥٧
أبو يزيد = شرحبيل بن السمط	ذو اليمينين = طاهر

بنو العباس، العباسيون، الدولة العباسية

6 1 . 6 6 4 8 6 3 7 6 3 4 6 2 7

1876 1876 100

بنو عبد شمس ۱۹۶

٧٥ عبد الملك بن صالح الهاشمي

المعجم ١٥ ١٥ ١٩ ٢٢ ٢٤

60A 63. 629 628 627 627

6 1.0 6 A. 6 YA 6 YZ 6 79

6 129 6 120 6 122 6 118

6 173 6 187 6 139 6 138

6 178 6 177 6 170 6 178

21-61786 JV3

العرب ١٥٦١ ١٩٦٦ ٦٢٦٦ ٣٠٥٥٦٥

61.3692680670677

6 117 6 110 6 118 6 108

6 147 6 13. 6 123 6 117

2. 86 1776, 1786, 1796, 1801

العلويون الفاطميون ١٦٢

(ف)

الفُرس = العجم

الفرنج ١٦١

الفرنسيون ١٠١

بنو فزارة ٦٠

الروم ٦٥٥. ٦٨. ٦١٨. ٦١٨. ٦١٨

1806.183

الرويدة (لعل صوابه : الزويدية)

(ز)

الزنج ١٨

نو زهرة ٢٠٤

الزوائد ١١١٦١١

(س)

ساسان (آل و بنو) ۶۵۹۶۱۸۶۷۶،

6120612261.9699683

17V6 1706 1736 109

بنو سنین ۸۲

(ش)

شَبَّان ۱۱۲

ضی

ضبة ۱۱۱

ضرار بن عمرو (من سادة ضبة) ۱۱۱

(ظ)

الطُّرْدَارِيَّةُ (طائفة من جيش المماليك بمصر)

177

الطوائف (ملوك) ١٥١٦١٣٩٦٢٩

(ع)

عیاد ۸۳

بنو مروان ٢٠٢
 المشاركة ١٦٦
 المضربة ١٣٣
 بنو معاوية ٧٩
 الممالك (بمصر) ١٥٦٦١٤٢
 المنانية = المانوية
 المهاجرون ٥٧
 ﴿ن﴾
 النبط ٢٩
 ﴿ه﴾
 بنو هاشم ١٩٥٦١١٧٦٤٨
 الهولنديون ١٠١

﴿ق﴾
 قریش ٦١٣٠٦١٢١٦٨٤٦٥٦٦٥٦
 ٢٠٦٦١٩٦
 أهل القصر (أهل بيت الملك في أيام الفاطميين
 بالقاهرة) ٦٤
 قيس ١١٥
 ﴿ك﴾
 كلب ١٣٤
 الكرد ١٧٦
 بنو كليب ١٣٣
 ﴿م﴾
 المانوية ٢١٠
 المجوس ٧٧٦١٥
 مخزوم ١٩٥٦٧٥٦٧٤٦٥٦٦٥٦

. الفهرس الأبجدى الخامس والأخير

بأسماء البلاد والمدن والمواضع والأماكن ونحوها

بركة زلزل (بغداد) ٣٨

البصرة ٠٢٤٦٢٠٠٨٦٦٦٦٨٦٧٨٦٨٤
١٩٣٦١١٧

بطحاء ذى قار = ذو قار

بغداد ٢٢٠٣١٦٣٨٦٤٩٦
٠٧٨٦٨٤٠٤٠٦١٤٧٦١٦٢
٠١٧٠٠٤٦١٩٧٦١٩٤٠٩٦٢٠

بلخ ٩٩

بوشنج ٣١٠٧٥٦

البيت الحرام وبيت الله الحرام = الكعبة

بيسان ٧٩

﴿ ت ﴾

تهامة ١٢٧

﴿ ج ﴾

جامع آبن طولون (بالقاهرة) ٣٥

جامع العسكر (بالقاهرة) ٣٥

جامع الفاكهاني (بالقاهرة) ٦٤

﴿ ا ﴾

آسيا الصغرى ٥٥

أجنادين ٧٩

أحد (جبل) ٠٨٠١١٤٦

أذربيجان ٠٦٠١٠٦

أرمينية ٠٨٠٠٦٠٦٠٦٠١٠٦

الأزبكية (محلة بالقاهرة) ٧٨

إصطخر ١٥

إفريقية (تونس الآن) ١٧٥

الأنبار ٠٨٢

الأندلس ٢٠٨٠٠٢٦

إنواتيل = ذو السرح

الإيوان (بقلة القاهرة) ١٥٦

الإيوان (إيوان كسرى) ١٧٤٠٠١٦٣

﴿ ب ﴾

بدر ١١٤

برقة ٣٥

الجبابات = ذوقار

الجزيرة (أى ما بين النهرين) ١٠٧٦١٠٦٦٨٠

﴿ح﴾

الحجاز ١٢٧٦١١٦٦٦٠

حلوان (مدينة بالعراق العجمي) ٧٨

حلوان (مدينة بالقرب من القاهرة) ١٦١٦٧٨

خخص ٧٩

الخنو = ذوقار

خنو ذى قار = ذوقار

خنو القراق = ذوقار

خومل ٣٨

الحيرة ٦١٦٤٦١٥١٦٨٤٦٨٣٦٨٣٦٨٢

١٦٦

﴿خ﴾

خراسان ٦٥٨٦٤٩٦٣٥٦٣٣٦٣١

٦١٧٤٦١١١٦٨٢٦٧٥٦٧٤٦٥٩

٢١٠٦١٩١٦١٧٦٦١٧٦

﴿د﴾

دار السلام = بغداد

دار التحف العسكرية بالقسطنطينية ١٦٦

دائرة جُلجل ٤٥

دجلة ١٩٧

الدَّخُول ٣٨

دِمَشْق ١٦١٦٣٤

الديار المصرية = مصر

﴿ر﴾

رمل الإسكندرية ١٥٧

الرُّها (وهى الآن أورة) ٥٥

الرَّوَضَةُ الشَّرِيفَةُ (الحرم المدني) ١٣١

الرى ١١٦

بلاد الروم ٦٢

﴿ز﴾

الزباب (بأرض الموصل) ١٠٦

﴿س﴾

ذو السَّرح (موضع بشقيط) ٤٤

ذو السَّرح (موضع ببلاد العرب) ٤٤

ذات السَّرح (موضع ببلاد العرب) ٤٤

السَّرحَة (موضع ببلاد العرب) ٤٤

سَرَخُس ٤٩

سُرَّمَن رَأى (مدينة بالعراق) ٨٤٦٧٨

﴿ش﴾

الشام ١٤١٦٨٢٠٦٠٦١٥

شبين القناطر = شبين القناطر

الشرقية (أحد شقي بغداد) ١٩٧

الشرقية (مديرية بمصر) ٤٨ (وأنظر ١٩٧)

الشَّقِيف (قلعة بالشام) ١٦١

شَنِيط ٤٤

شبين القناطر (مدينة بمديرية القليوبية من

مصر وأسمها الآن شبين القناطر) ٧٨

﴿ص﴾

صَفِين ١٧٥٠٥٧

صَيْدَا ١٦١

﴿ط﴾

طَبْرِستان ٢٠٩

﴿ع﴾

ذات العجروم = ذوقار

العراق ٢٤٢٦٨٤٦٧٨٦٠٦١٥

بلاد العرب ٦٧٠٤٤

بادية العرب ٢٦

العسكر (موضع كان بمصر القاهرة) ٣٥

﴿غ﴾

بلاد الغرب ٢٦

الغَرِيَّان ١١٦

﴿ف﴾

فارس ٦٩٧٠٦٤٠٦٢٩٠١٣٦٩

١٠٩

الفَجَّالَة (بالقاهرة) ١٥٦

فلسطين ٦٠٦٣٥

﴿ق﴾

القادسية ٧٩

قار ١١٥٠١١٤٠١١٤

القاهرة ١٦١٦٧٨

قراقِر = ذوقار

قُرْطَبَة ٢٠٨

قَطْرَبْل ٣٩

القلعة (بالقاهرة) ١٥٧٠١٥٦

قلعة الشَّقِيف = الشَّقِيف

﴿ك﴾

كازرون (مدينة بفارس) ٧٨

الكعبة ٩٩٦٩٣٦٦٠٦٦٠٦٦٠

كلواذ ١٤٧

الكُوفَة ٦٨٣٠٦٧٨٠٦٠٠٥٨٠٦٢٤

١٩٩٠١٩٨٠١١٧٠١٠٦٦٨٤

باب كيسان (بدشق) ٣٤

pour ce merveilleux artiste dont il reproduit d'ailleurs plusieurs passages. Il aurait voulu ainsi, en écrivant ses *Mœurs des rois*, enrichir la littérature arabe d'un *Kitâb el Tâdj*, qui ferait en quelque sorte le pendant du monument des Sassanides.

Voilà la raison qui m'a déterminé à donner les deux titres à mon édition, imitant en cela l'exemple du Codex de Sainte Sophie.

*
* *

A la présente édition, j'ai ajouté des index alphabétiques, aussi soigneusement faits que possible, afin de provoquer chez les orientaux l'habitude de recourir à cet instrument de travail d'une importance capitale, toutes les fois qu'ils essayeront d'éditer un ouvrage arabe d'une certaine valeur.

AHMED ZÉKI PACHA.

Le Caire, Avril 1914.

P.S. — Je dois renvoyer les lecteurs arabisants à mes pro-légomènes arabes placés d'autre part en tête de la présente édition.

On y trouvera des renseignements détaillés et des notes critiques sur le livre et son auteur, sur les deux manuscrits conservés à Stamboul et sur celui d'Alep, ainsi qu'une dissertation documentée sur les deux titres de cet ouvrage.

Je crois avoir réussi à prouver que Djâhiz est incontestablement l'auteur du livre que je présente aux érudits de l'Orient et de l'orientalisme.

A. Z.

le copiste indiquait son nom, la bibliothèque pour laquelle il l'avait exécuté, dans la ville d'Alep, en l'an 885 de l'Hégire.

Si le texte d'Alep nous renseigne sur sa date, en revanche il ne porte aucun titre.

On verra dans mes prolégomènes arabes tout le parti que j'ai tiré, quoique tardivement, de ce manuscrit qui venait de tomber entre mes mains d'une façon si inattendue.

Qu'il me suffise ici de remercier M. Sherman qui a eu l'amabilité de mettre son manuscrit à mon entière disposition. J'ai pris les *fac-similés* de la première et de la dernière page, et je les ai ajoutés à ceux que je m'étais déjà procurés d'après les deux manuscrits de Stamboul, les deux seuls connus et dont l'un a été découvert par moi à Top-Kapou.

* * *

Les nombreux renseignements que nous trouvons dans le présent volume sont, à n'en pas douter, reproduits par Djâhiz d'après des traités persans consacrés à l'étiquette et au protocole royal. Quelquefois même, comme nous l'avons fait ressortir, Djâhiz nous induit simplement en erreur en reproduisant, comme existant à son époque, un cérémonial qui était à coup sûr tombé en désuétude. Il fait souvent allusion au آیین "Ayin" des Persans, au "Ayin" des Cosroés, à leur "Ayin" au "Ayin" tout court, livre de l'étiquette sassanide que l'auteur arabe met à contribution.

Nous savons d'autre part qu'il y avait chez les Persans un *Kitâb el Tâdj* qui a été traduit en arabe par Ibn el Moqaffa'. Il est très vraisemblable de supposer que cette version a été mise à profit par Djâhiz qui avait une véritable admiration

que le livre de Top-Kapou n'est pas mentionné dans le soi-disant *catalogue* et que le texte de Djâhiz se trouve dans un volume contenant tout d'abord deux traités d'Ibn el Moqaffa'. Il est encore à remarquer que ce titre d'*El Tâdj* n'est donné par aucun des auteurs qui ont parlé des œuvres de Djâhiz. Tous, comme lui-même d'ailleurs, font mention seulement d'un livre intitulé : "*Mœurs des rois*."

Par un hasard heureux, il m'a été donné d'utiliser encore une troisième copie, mais seulement à la dernière minute.

Depuis assez longtemps déjà, le texte de Djâhiz avait été imprimé, et lorsque dans les premiers jours de décembre 1913 mes prolégomènes arabes et les additions et index étaient enfin presque sous presse, j'eus la bonne fortune de recevoir au Caire la visite de M. Sherman. Il venait d'acquérir à Constantinople la belle collection des manuscrits orientaux de Khâlis Bey, un des favoris de l'ex-Sultan Abdul Hamîd II. Il me pria d'examiner cette collection et de lui faire le catalogue de la partie arabe. Quelle ne fut pas ma surprise et surtout ma satisfaction lorsque j'y rencontrai une nouvelle copie insoupçonnée de *Kitâb el Tâdj* !

Dépourvu de la moindre indication au sujet du titre, même de l'ouvrage, rempli d'autre part d'une foule d'erreurs, souvent grossières, présentant enfin plus d'une lacune, et amputé pour ainsi dire vers sa fin, par le copiste, qui a sauté une quinzaine de feuilles environ, le manuscrit que j'avais sous les yeux présentait cependant pour moi, un intérêt tout particulier.

A l'encontre des codex que j'ai mis à contribution pour ma présente édition le manuscrit contenait un colophon où

* * *

J'ai pris pour base de cette édition le manuscrit conservé à la Bibliothèque de Top-Kapou, que je désigne par la lettre س; il porte le titre de *Kitâb el Tâdj* (كتاب التاج).

La seconde copie de cette œuvre, conservée à la Bibliothèque de Sainte Sophie, a pour titre أخلاق الملوك "*Mœurs des rois*." J'en ai obtenu dans la suite une copie photographique qui a servi à la révision de mon édition, où elle est indiquée par la lettre ص. Les deux textes, malgré leurs nombreux défauts, se sont complétés, grâce surtout à des recherches patientes et laborieuses que j'ai entreprises dans une foule de documents imprimés et manuscrits.

Le texte de Top-Kapou portait uniquement le titre de *Kitâb el Tâdj*; celui de Sainte Sophie portait écrit de la main originale le titre de كتاب أخلاق الملوك *Mœurs des rois*, avec le mot التاج ajouté par une main moderne sur la lettre ب du titre. Nul renseignement sur la provenance ou sur la date, de l'une ou de l'autre copie, ni au commencement ni à la fin. Sauf pourtant que le copiste de Sainte Sophie a ajouté à la fin de son manuscrit cette mention: وكان بالأصل سقامة "L'original qui a servi à cette reproduction était en mauvais état."

La copie de Top-Kapou portait donc formellement le titre *Kitâb el Tâdj* qui était reproduit incidemment en tête de la seconde. Dans quelles conditions cette suscription, évidemment moderne, a-t-elle été écrite sur le manuscrit de Sainte Sophie? Mystère. L'auteur de cette indication l'aurait-il prise dans le manuscrit de Top-Kapou? Rien n'autorise cette hypothèse, puisque nous ne possédons aucun indice à cet égard. D'ailleurs cela est peu probable, étant donné

les Abbassides et nous dépeint les stratagèmes qu'ils employaient pour reconquérir la faveur du monarque ou des grands dignitaires de l'Empire. Il nous décrit le protocole qui régit les rapports des Princes avec le Souverain. Une légende est accréditée en Orient qui dépeint le khalife El Mānsour sous les traits d'un avare. Djâhiz combat cette légende avec énergie et produit pour soutenir sa thèse des preuves qu'emploieront ensuite Tabarî et d'autres.

Cérémonial employé lorsque le khalife est malade ; façon dont les persans et arabes se comportent avant et après l'Islam, dans les festivals et les réunions intimes ; visites des souverains aux grands dignitaires ; attitude des khalifes pendant les grandes crises qui ébranlent leurs trônes, etc., etc., tout cela est passé en revue par notre auteur.

Le *Livre de la Couronne* est peut-être l'ouvrage où il y a le plus d'ordre relatif, parmi les productions que nous devons à la plume féconde de Djâhiz. Le souci constant qu'il a de ne pas lasser le lecteur l'entraîne ordinairement en effet à traiter, à tout propos et quelquefois hors de propos, les sujets les plus disparates, les plus variés, comme les plus opposés et même les plus contradictoires.

Il explique d'ailleurs lui-même sa méthode dans son grand traité littéraire et indique les moyens de fixer l'attention du lecteur. "Si le livre, dit-il, est de longue haleine, l'auteur, pour captiver et tenir en éveil l'attention du lecteur, doit recourir à divers subterfuges, pour être toujours en faveur auprès de lui. Il est, par exemple, nécessaire de varier les sujets, sans toutefois dépasser les limites du cadre qu'il s'est imposé. Il faut en un mot le renseigner et l'instruire." (1)

(1) Cf. entre autres, BAYÂN, t. II, p. 154, et HAYAWÂN, t. V, pp. 50, 51, 64 et 65.

orientaux, les Abbassides suivaient les règles établies par les Sassanides. Cela s'explique d'ailleurs par la contribution armée que les Persans apportèrent pour mettre les Abbassides sur le trône. Les plus grands personnages de l'Empire, du reste, étaient d'origine persane. Mais Djâhiz n'oublie pas néanmoins de nous renseigner sur l'étiquette purement arabe.

Je me permets d'attirer l'attention du lecteur sur *l'interview* (dans le sens actuel du mot) que Djâhiz prit à l'un de ses plus illustres contemporains, Ishâq Ibn Ibrâhîm el Mawsilî. Cette *interview* rappelle les informations de nos plus grands *reporters* modernes. Elle nous initie à la vie intime des khalifes omayyades et abbassides. Nous assistons à leurs divertissements, alors qu'ils boivent en écoutant des chansons. Djâhiz mélange à sa narration ses appréciations personnelles ; il y ajoute des notes complémentaires, d'où résulte une confusion avec les paroles mêmes de l'interviewé que le système de ponctuation nous a permis de dégager et de rendre claires (voir pages 31 à 43 du texte arabe).

Djâhiz nous rapporte tranquillement quelques-unes des particularités de l'étiquette sassanide, alors que ces particularités étaient devenues incompatibles avec l'Islam. Entraîné par son sujet, il oublie même d'attirer le moins du monde l'attention du lecteur sur ce fait.

Il nous renseigne sur la toilette et le costume des souverains ainsi que sur l'usage des parfums qui leur étaient exclusivement réservés. Il nous raconte plusieurs anecdotes et cite des mots historiques. Il nous apprend qu'il ne faut jamais appeler le souverain par son nom, sauf dans la poésie. Il nous donne les raisons de la disgrâce dont furent frappés quelques courtisans sous

bution une foule d'auteurs pour agréter le texte de façon aussi rigoureuse que possible. Partout où il était nécessaire, pour obvier au défaut de lecture, provoqué par le système graphique de l'alphabet arabe, j'ai mis les points-voyelles pour fixer la prononciation de tel ou tel mot qui présentait une difficulté quelconque. De même pour l'intelligence du texte, j'ai utilisé le nouveau système de ponctuation, adapté par moi à la grammaire arabe, ce qui facilite la lecture en la simplifiant.

Les divisions en paragraphes, destinées à éviter les confusions, ainsi que les manchettes qui jouent un rôle utile pour indiquer les changements de sujet, feront de mon édition, un travail à peu près complet et soigneusement présenté.

Les notes critiques et documentaires, auxquelles s'ajoutent souvent de nombreuses références, permettront au lecteur de trouver facilement tous les détails complémentaires qu'il pourrait souhaiter.

* * *

J'avais pensé faire une analyse en français du présent ouvrage, mais cela pourrait être un excellent exercice pour un jeune orientaliste qui se trouvera parfaitement en mesure de le faire, grâce aux indications bibliographiques et aux notes explicatives que j'ai semées à profusion à travers tout l'ouvrage.

Je me contenterai donc de dire un mot sur le sujet traité par Djâhiz.

Dans ce livre, l'auteur a voulu nous faire un tableau complet de l'étiquette en usage à la Cour de Bagdad sous les Abbassides, ainsi que du cérémonial adopté par les Omayyades à Damas.

De même que nous voyons aujourd'hui employer l'étiquette européenne, française ou anglaise, à la Cour des Souverains

plus ou moins honnêtes qui lui ont été faits, depuis Tabarî lui-même qui ne le nomme pas une seule fois dans sa vaste compilation historique.

Mass'oudî reproduit souvent des passages entiers du Kitâb El Tâdj, sans indiquer l'auteur ni l'ouvrage. Lorsqu'il est amené à citer une appréciation personnelle de Djâhiz, l'auteur des "Prairies d'Or" se contente d'écrire : *des personnes érudites qui s'occupent de littérature ont dit....*

Cependant Mass'oudî consacre à Djâhiz un article élogieux où il rend hommage à sa profonde érudition et à son talent encyclopédique.

Je ne crois pas utile de citer tous les auteurs postérieurs qui sont dans le même cas, car ils sont légion. Je me suis efforcé d'ailleurs, dans les annotations du présent ouvrage, de relever, dans la mesure du possible, tous les emprunts qui lui ont été faits. Du reste, un tableau de ces emprunts a été ajouté à mes prolégomènes arabes, en tête du présent volume.

La fécondité de Djâhiz est connue de tous ceux qui ont étudié la littérature arabe. L'orientaliste hollandais Van Vloten avait annoncé son intention de dresser la liste des œuvres de Djâhiz, lorsqu'il fut surpris par la mort. Je me suis donné la tâche ardue et délicate de consacrer à ce sujet une monographie détaillée et documentée, qui paraîtra bientôt, je l'espère.

*
* *

Quant au livre même que je publie aujourd'hui, étant donné qu'il fait partie des ouvrages qui inaugurent la série de l'œuvre de la **Renaissance des Lettres Arabes**, j'ai essayé d'en faire une véritable édition nationale. J'ai mis à contri-

sentés, ces ouvrages, fussent-ils médiocres à son sens, étaient cependant accueillis avec enthousiasme. • •

Notre subtil auteur n'ignorait pas les avantages de ce que nous appelons la vogue. Djâhiz mettait à profit cette pensée juste et que devait exprimer malicieusement La Bruyère en écrivant: "Il n'est pas si aisé de se faire un nom par un ouvrage parfait, que d'en faire valoir un médiocre par le nom qu'on s'est déjà acquis."

Djâhiz se plaint d'ailleurs — et cela ne manque pas de piquant — d'avoir été obligé de recourir à cette supercherie. Il déplore que ses ouvrages les plus soignés n'aient eu vis-à-vis des jaloux et des détracteurs d'autre tort que *d'être signés d'un auteur contemporain*.

Le même subterfuge fut employé par des auteurs postérieurs qui voulurent à leur tour exploiter la célébrité que Djâhiz s'était acquise, mais la ruse eut alors moins de succès.

Djâhiz est, d'autre part, le littérateur qui a été le plus pillé par ses successeurs.

De nombreux plagiaires se font un devoir de s'approprier non seulement ses idées mais encore ses expressions et les formules qui caractérisent son style d'une manière si typique. Leur seule préoccupation en cette occurrence, c'est d'éviter soigneusement de le nommer, sauf à de très rares exceptions. C'est à la faveur d'une inadvertance heureuse qu'ils nomment parfois Djâhiz. Quand ils rapportent ses paroles, au lieu de citer son nom, ils écrivent d'habitude : *on a vu, on a rapporté, on a assisté*. Ils ont organisé à son endroit une véritable conspiration du silence.

Je me suis attaché pour le cadre restreint du livre que je présente aujourd'hui au public à faire ressortir les emprunts

ou par qui que ce soit. Ils se recommandent d'eux-mêmes. Réunissant avec un scrupule parfait tous les arguments qui peuvent être invoqués pour soutenir telle ou telle théorie, ils se distinguent en dehors de la solidité du fond par la noblesse du style et par la clarté et la simplicité de l'exposition. Ils sont aussi bien à la portée du vulgaire que de l'aristocratie ; les intelligences les plus simples peuvent en profiter comme les esprits les plus cultivés." (1)

On peut se renseigner complètement sur la doctrine de Djâhiz en consultant le vaste traité littéraire de son disciple, Ibn Abi el Hadîd qui le désigne chaque fois qu'il parle de lui, et il en parle souvent, sous le nom de "Notre maître Abou Osman (شيخنا أبو عثمان)".

La méthode littéraire de Djâhiz, adoptée par plusieurs littérateurs arabes, a pour caractère essentiel le souci constant de tenir en éveil l'attention du lecteur, de ne jamais laisser languir l'intérêt de l'ouvrage. Celui de ses disciples qui l'admirait le plus, au point qu'on peut dire qu'il avait pour Djâhiz un véritable culte, Abou Hayyân Tawhîdî, a, selon moi, réussi à l'égaliser et même à le surpasser quelquefois. Je suis heureux de posséder de ce dernier deux grands ouvrages (2), photographiés d'après les originaux conservés à Stamboul.

Comme on l'a remarqué (entre autres Mr. Van Vloten), Djâhiz, pour répandre ses idées et pour s'assurer l'accueil bienveillant du public a eu recours à un ingénieux subterfuge : il nous avoue franchement qu'il avait publié quelques traités sous le nom du grand écrivain Ibn el Moqaffa'. Ainsi pré-

(1) Cf. BAYÂN. t. II, p. 157.

(2) Le Kitâb الامتاع والموانسة de la Bibliothèque de Top-Kapou, et le Kitâb البصائر والدخائر de la Bibliothèque de Fâtih.

ou de l'autre cause, Djâhiz sait mettre en valeur et en évidence les mérites des deux tribus concurrentes.

Aussi, ses contemporains n'ont-ils pas manqué de lui reprocher cette dualité d'opinion. Mais ces attaques ne l'effrayaient nullement et il trouve la réponse judicieuse à ces critiques en déclarant "qu'il se borne à exposer les arguments de deux camps opposés, les faisant parler par sa bouche, en *reporter* fidèle, qui rapporte consciencieusement les opinions les plus diverses pour mieux les faire connaître au grand public. Quant à ses idées personnelles, ajoute-t-il, elles sont notoirement connues."⁽¹⁾

Et nous savons qu'il les défend avec tout le talent dont il peut disposer.

Le brillant khalife El Mâmoun, qui n'était pas un esprit médiocre, se fit apporter les livres de Djâhiz sur *l'Imamat* (pouvoir spirituel souverain) et les donna à un de ses hommes de confiance, Yazîdî, dont il appréciait le sain jugement, pour qu'il lui en fît un compte-rendu succinct mais exact. Vivement intéressé par ce que lui en dit ce critique éclairé, El Mâmoun voulut les lire lui-même et convoqua Djâhiz qu'il félicita en ces termes : "Des personnes dont l'esprit judicieux nous est connu et en qui nous avons la plus grande confiance, nous ont informé que vos livres étaient des ouvrages de valeur. Nous avons pensé néanmoins que la critique pouvait en être trop élogieuse, aussi avons-nous voulu les lire nous-mêmes. Nous avons constaté avec plaisir que vos œuvres méritaient ces éloges et que l'appréciation flatteuse qu'on nous en avait donnée n'était pas exagérée. Examinant ces livres avec le soin le plus méticuleux, nous avons reconnu leur grand intérêt. Ils n'ont pas besoin d'être prônés ou défendus par leur auteur

(1) Voir l'introduction de son grand ouvrage, *Kitâb el Hayawân*.

convaincre ses contradicteurs les images les plus vives et les termes les plus osés, selon ses habitudes littéraires.

Quelqu'un lui demandait un jour comment le Coran avait pu être *créé*, et Djâhiz de répondre: "Comme un homme, comme une femme, comme une vache, en un mot comme tout être quelconque mâle ou femelle."

Cette réponse, qui traduit sa pensée de la manière la plus claire, la plus crue, fut interprétée par ses adversaires de façon malveillante et leur parti-pris en dénatura le sens.

N'imaginèrent-ils pas en effet d'en conclure et de répandre *urbi et orbi* que Djâhiz professait que le Coran pouvait devenir tantôt un homme, tantôt une femme, etc. ?

L'école motâzilite de Bassora, dont Djâhiz était un des plus grands représentants, consacrait la préséance d'Abou Bakr, le premier khalife rachidite, à l'encontre notamment de l'école chéïte qui soutenait et soutient encore que la succession de Mahomet au pouvoir pontifical devait être dévolue à son gendre, Aly, le quatrième khalife rachidite. Malgré sa conviction, Djâhiz écrivit cependant un livre à l'intention de cette dernière école, livre dans lequel notre auteur réussit peut-être mieux que les partisans les plus déterminés de Aly à mettre en lumière les mérites de ce khalife et à faire ressortir les titres qui le désignaient en première ligne pour recueillir directement la succession du Prophète.

Quand éclata la grande querelle entre Omayyades et Abbassides, Djâhiz, en brillant avocat, sut exposer avec une égale éloquence et même avec une égale désinvolture, les titres des uns et des autres dans deux traités différents.

S'agit-il de faire ressortir les titres nobiliaires de telle ou telle tribu ? Mieux que n'importe quel partisan convaincu de l'une

ainsi à tout ce que lui inspire sa verve parfois outrancière, et même son extravagance.

Sa plume se complaît à nous retracer des tableaux de mœurs, des scènes de la vie publique ou privée, des incidents, des anecdotes, et il sait, à l'exclusion de la plupart des classiques arabes, trouver la formule la mieux appropriée, le mot juste, l'expression typique. Son amour de la couleur exacte est si vif qu'il ne recule pas au besoin devant l'emploi de termes crus ou grossiers et d'expressions réalistes ou même triviales. Il est en effet le seul parmi les littérateurs arabes, qui sacrifie sans hésiter la noblesse du style à la précision. C'est un réaliste épris de descriptions, et dont la verve inépuisable sait user avec hardiesse de tout ce qui peut servir à donner la note vraie à ses relations. Presque tous les autres classiques s'ingénient au contraire à éviter la moindre vulgarité dans leurs récits même les plus osés, et dans les gauloiseries arabes, s'il est possible de s'exprimer ainsi. En un mot, Djâhiz n'a jamais sacrifié, comme tant d'autres, le fond pour la forme convenue.

* * *

L'influence de Djâhiz s'est manifestée spécialement à deux points de vue différents. Il a fait double école : une école doctrinale de la secte motazilite et une école purement littéraire ; l'une et l'autre portent son nom.

Nombreux sont les adeptes de sa doctrine religieuse très hardie et qui confine à la libre pensée.

Il professait que le Coran est un objet *créé* (مخلوق), combattant ainsi la théorie qui a prévalu par la suite dans l'Islam orthodoxe, et qui soutient que le texte sacré est *incrée* (قديم = غير مخلوق).

Il défend très vigoureusement ses idées et emploie pour

PRÉFACE

Djâhiz n'a pas besoin d'être présenté au public. C'est un des rares auteurs parmi les classiques arabes dont les œuvres, très populaires en Orient, jouissent d'une faveur particulière auprès des orientalistes européens, qui y trouvent le même intérêt que les Arabes.

Il est dans la littérature arabe, ce que sont dans la littérature française Voltaire et Renan. Qu'il traite les sujets les plus arides, qu'il aborde les questions les plus ardues, il réussit toujours à captiver le lecteur et à retenir son attention. Il parle de toutes choses avec un égal bonheur et sait dire chaque fois tout ce qu'il a à dire. Le lecteur le suit avec plaisir partout où sa fantaisie l'entraîne, sans éprouver en sa compagnie le moindre ennui, la moindre lassitude. L'intérêt ne languit pas un moment dans ses écrits ; c'est un penseur doublé d'un artiste charmant. Son esprit léger, et souvent ironique, lui inspire les boutades malicieuses qui émaillent ses productions.

Il traite avec un rare talent d'exposition les questions les plus délicates et les plus subtiles qui ont divisé les musulmans aux premières heures de l'Islam, touchant le pouvoir spirituel suprême, le Khalifat. Il plaide avec succès une cause et soutient l'opinion contraire avec la même force de persuasion.

Ces tours de force sont, pourrait-on dire, la spécialité de Djâhiz, qui presque dans toutes ses œuvres s'ingénie à vanter les mérites d'un personnage ou d'une idée pour employer, immédiatement après, toute son érudition à en peindre les défauts. Quoiqu'il en soit, il sait toujours charmer le lecteur et l'intéresse

DJÂHIZ.

LE LIVRE DE LA COURONNE.

(KITAB EL TADJ.)

TEXTE ARABE

PUBLIÉ POUR LA PREMIÈRE FOIS D'APRÈS LES TROIS MANUSCRITS CONNUS,
ACCOMPAGNÉ D'UNE PRÉFACE EN FRANÇAIS
ET ENRICHÍ DE NOTES CRITIQUES ET DOCUMENTAIRES

PAR

AHMED ZÉKI PACHA

SECRÉTAIRE DU CONSEIL DES MINISTRES,
VICE-PRÉSIDENT DE LA SOCIÉTÉ KHÉDIVIALE DE GÉOGRAPHIE,
MEMBRE DE L'INSTITUT ÉGYPTIEN.



LE CAIRE.

IMPRIMERIE NATIONALE.

1914.

RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.

LE LIVRE DE LA COURONNE.

(Kitâb el Tâdj.)

۱۔ اگر کہیں میں اس مجلس فقہاء و علمائے اسلامی
 مجلس شہادت خطاب کی ضرورت نہیں ہے ایک ایسا مجلس
 ۲۔ اس بات پر عائد غرض یہ ہے کہ مجلس شہادت کے
 اگر کہیں وہ لازم ہو جس کو میں نے کہا ہے اس کے
 ۳۔ مجلس شہادت کے جسم و جوارہ میں اس کے
 مجلس شہادت کی ضرورت نہیں ہے اس کے
 ۴۔ اس بات پر عائد غرض یہ ہے کہ مجلس شہادت کے
 ایک ایسا مجلس شہادت ہے جس کے
 ۵۔ اس بات پر عائد غرض یہ ہے کہ مجلس شہادت کے
 یہ کہ مجلس شہادت کے
 ۶۔ اس بات پر عائد غرض یہ ہے کہ مجلس شہادت کے
 ۷۔ اس بات پر عائد غرض یہ ہے کہ مجلس شہادت کے
 ۸۔ اس بات پر عائد غرض یہ ہے کہ مجلس شہادت کے

